

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد  
Tlemcen Algérie



كلية الآداب و اللغات  
قسم اللغة و الأدب العربي  
مذكرة لنيل شهادة الماجستير في النقد العربي المعاصر

بغنوان:

# الرفض في شعر بشري البستاني -دراسة نفسية -

إشراف:  
أ.د: محمد عباس

إعداد الطالبة:  
شرفي كريمة

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عرابي لخضر
مشرفا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد عباس
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. بن عمر محمد
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. قريش أحمد
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د. بن عزة عبد القادر

العام الجامعي: 1436-1437هـ/2015-2015





## الإهداء

إلى الذي رصف نجوم الدياجي طريقا ألمس به نور الصباح ،  
ولم يدخر أي جهد في توجيهي وإرشادي والدي الكريم .  
إلى التي حملتني وهنا على وهن ورودي وريحانتي وتفريش لي  
الحياة زمردا حافنا أمي الغالية .  
إلى أختي الغالية حنان و زوجها ، وأخي العزيز يونس .  
إلى أختي وزوجته وابنة الكوكب أحمد ياسين .  
إلى أديبي و زملائي الذين رافقوني في مساري الدراسي .  
إلى من ينض حبه في عروقي ، ويرافقني في دروب الحياة  
زوجي الكريم .  
أهدي لهم جميعا ثمرة هذا الجهد المتواضع .

## شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والحمد لله الذي فطرني وعلمني ووفقني لإنجاز هذا البحث.

قال الشاعر :

تم للمعلم وفه التبجيلا      كاد المعلم أن يكون رسولا

أقدم شكري إلى أستاذي الفاضل الدكتور : محمد عباس ،  
على العون الذي قدمه لي وعلى كل التوجيهات والإرشادات  
التي رافقتني بها طيلة عملي في هذا البحث المتواضع ، وأتقدم  
بشكري إلى لجنة المناقشة التي وافقت على قراءة هذه  
المذكرة .

وأقدم شكري إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد .

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله عليه نتوكل و به نستعين والصلاة  
والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والرسل أجمعين

أما بعد :

يشرفني ويسعدني أن اشكر اللجنة الموقرة على منحها لي فرصة  
المناقشة من السيد الرئيس: ا.د. العرابي لخضر والأعضاء أ.د: بن عمر  
محمد و اد : قريش أحمد د: بن عزة عبد القادر كما أوجه شكري إلى  
إستادي المحترم المشرف اد: محمد عباس على سعة صدره و قدر حلمه  
اتسعت أفكارى و اشهد الله العظيم أنني سعدت بكم كلجنة تصوب  
اخطائي وتوجهني بفضل علمها إلى ما غاب عني .

ويمتد شكري إلى عائلتي وأصدقائي على تكبدهم مشقة وعناء الحضور  
فمرحبا بالجميع.وبعد:

فقد شهدت الدراسات الأدبية والنقدية في الفترة الأخيرة تطورا  
ملحوظا في مجال الدراسات النصية التي تحتل مركزا مهما في الأبحاث  
المعاصرة وهذا راجع بالضرورة إلى أهمية تلك الدراسات في خدمة  
البحث اللغوي والأدبي و النقدي.

جاء اختياري لهذا الموضوع لما له من جمالية وعمقا في الدلالة و هو  
ما يسعى وراءه الشعراء غالبا، فركزت في دراستي على الأدب النسوة  
خاصة حتى أجعل منه منطلقا لدراسات أخرى ، وحددت اهتمامي بشاعرة  
من الشاعرات المعاصرات التي أبدعت في مجال الشعر وقدمت الكثير  
للأدب النسوة وهي الشاعرة بشرى حمدي البستاني التي

أولت عناية كبيرة لنصوصها التي تمس الواقع بكلماتها وصورها وإيقاعها

وانطلاقاً من هذا الأساس تبادرت إلى ذهني عدة فرضيات همني إيجاد توضيحاً لها عبر الخوض في غمار ظاهرة من ظواهرها الفنية المتميزة كون نتاجها الشعري الوفير يحتاج إلى أكثر من محاولة للبحث فقر اختياري على الرفض في شعرها فوقفت على خصوصياته ودواعي توظيفه ودلالاته ومصادر ووسائل تشكيله أو حتى إشكالية تلقيه ، فهي ظاهرة أخذت أبعاداً متنامية تستحق طرق دروبها والوقوف على ومغزاها لنسأل ماذا يريد الشاعر من وراء الرفض ؟ هل يريد ابتكار صورة جديدة تدهش المتلقي ؟ أم يريد تغيير صورة لا يستصيغها ؟ أو ترك المتلقي أمام أبواب تحاصره ليرفضها ويهرب من الواقع ، ليكون الأول مفروض علينا والثاني من اختيارنا وصنعنا بالكلمة وخيال الصورة ومرتكزا أساساً على العلاقة التي تربط بين الشعر والمجتمع .

إن غاية هذه الدراسة ، هي استقصاء هذه الظاهرة الفنية في المتن الشعري للشاعرة وربما نبشها في وعائها التاريخي ورصد عناصرها الزماني في حقبة المختلفة ، مع تتبع تطوراتها التي مرت بها حتى حدود المعاصرة فيه ، إضافة إلى محاولة تقديم قراءة للرفض في خطاب بشري البستاني وأبعاده الاجتماعية والسياسية والفنية ، لكشف خباياها وما تريد الشاعرة إيصاله من وراء هذا .

ونظراً لما اكتساه هذا الطرح من أهمية بالنسبة لي ، حاولت الإطلاع على كل الدراسات المتاحة لأقارب بين المفاهيم المعطاة ، والخروج بمعرفة كافية توضح حدود توظيف الرفض في الشعر ، ولا أنكر أن المراجع في هذه الدراسة قليلة وخاصة ما تعلق بالشاعرة ،

غير أن هذا العامل لم يمنعني من بذل جهد أكبر في إتمام بحثي فكان لزاما علي أن أستضيء بدراسات جادة وثيقة الصلة بموضوعي لتكشف لي بعض الغموض ، وتبرز لي بعض السبل وأهمها :

- دواوين الشاعرة .
- الرفض ومعانيه في شعر المتنبي ليوسف حناشي .
- حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة لياسين بوعلي .
- ينابيع النص وجماليات التشكيل قراءات في شعر بشرى البستاني لهياس خليل شكري.
- في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية لرمضان الصباغ .
- الصورة في التشكيل الشعري لسмир علي الدليمي .

كما كانت للدراسات المترجمة ، خير معين لي في بيان وتوضيح الرفض منها :

- فلسفة الرفض لغاستور باشلار .
  - ألبير كامر وأدب التمرد لجون كروكشانك .
  - نهاية الحداثة لفاتيمو جيافي .
- إذ تعتبر هذه المصادر الدراسية التي احتفت بالرفض مذهباً وفناً ، فبعضها شملها الموضوع والبعض الآخر أورد فصلاً أو مبحثاً فهي بهذا تتفاوت في الأهمية عندي .

وعرفت هذه الدراسة الموسومة ( بالرفض في شعر بشرى البستاني – دراسة نفسية-) حضوراً للمنهج الوصفي التحليلي الكفيل بتسجيل الظاهرة وتتبعها واستقصاء ما كان منها



واستدعت المنهج الفني الذي كان قالباً يحيط بتقنيات التعبير والوقوف على جماليات القصيدة .

وانطلاقاً من طبيعة الموضوع ، توزع البحث على مقدمة ومدخلا وثلاثة فصول وخاتمة ، بالإضافة إلى ملحق يعرض نبذة لحياة الشاعرة ونماذج من قصائدها ، وقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها ، وفهرس للمحتويات :

وعقد المدخل على دراسة ماهية الرفض في اللغة والاصطلاح والفرق بينه وبين التمرد ثم أقرنت الشعر بالرفض متتبعاً مراحل القصيدة عبر مختلف العصور ، لأختتمه بعوامل الرفض عند الشاعرة .

أما الفصل الأول بعنوان ( الاتجاه الشعري لدى البستاني ) فقد خصص للدراسة الفنية لشعرها منطلقة من بدايات الشعر الحر في العراق ثم أعرج على الجديد في شعرها بداية باللغة الشعرية ، مروراً بالإيقاع وأنهيت المبحث بدراسة الصورة ، ثم تعرضت إلى الجانب النقدي للقصيدة وخاصة بنائية النص الشعري عند الشاعرة .

١ وجاء الفصل الثاني الذي يدور الحديث حول الجانب السياسي ، وتفرع على ثلاثة أبعاد : دينية ووطنية وإنسانية .

أما الفصل الثالث فاهتمت فيه بالجانب الاجتماعي ، والاضطهاد الذي تعانيه المرأة والطفل ، مع الحث على المقاومة والإصلاح في المنظومة الاجتماعية كما تدعوا إلى التحلي بالأخلاق وتجنب الخيانة التي نهشت جسم الأمة .

وقد أنهيت هذه الدراسة بخاتمة تعرضت فيها لأهم النتائج المتوصل إليها بدعم الدراسة بجانب تطبيقي في كل الفصول الذي يرسم مجالها الحيوي .

## مقدمة

---

وكل بحث علمي لا يسعني سوى القول إنه لم يخل من صعوبة حصر  
الظواهر الفنية والجمالية التي احتوتها بعض النصوص .

ولا يفوتني – وأنا أقدم دراستي هذه – أن أرفع خالص شكري لأستاذي  
الكريم الذي كان لي خير معين ، وأتقدم له بامتناني لقاء الجهد الذي بذله  
من أجل هذه الدراسة حتى تصل إليكم ثمرة من ثمرات البحث العلمي .

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها : هي أن الدراسة الأدبية والنقدية  
والنصية لا تزال تحتاج مني إلى جهد أكبر في المستقبل .

الطالبة : شرفي كريمة

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة تلمسان

يوم : 17 - 12 - 2015م

## أولاً: ماهية المصطلح

يشكل شعر الرفض أحد أهم مرتكزات التحالف بين الفن و الحياة، وأحد أبرز الأدوار الفاعلة للشاعر الملتزم من خلال توظيفه لأداته التعبيرية ليوائم بين الصدق النفسي و الصدق الفني والاجتماعي أي " الاقتران بين الصدق الفني، والصدق الاجتماعي"<sup>1</sup> وليوحد و يتوحد مع مبادئه وأفكاره التي في كثير من الأحيان لا تنسجم مع الواقع السياسي والثقافي و الاجتماعي و الديني .

أودّ الكشف عن معنى مصطلح الرفض لغة واصطلاحاً، قبل الولوج في تقديم نماذجه، ثم ذكر علاقته بالشعر، لأختتم التمهيد بالإجابة على السؤال المطروح وهو ما هي عوامل الرفض لدى شاعرنا بشرى البستاني ؟

## 1 - لغة:

ورد في معجم التفنية: " الرَّفْضُ مصدر رَفَضْتُ الشيءَ أَرَفُضُهُ رَفْضاً إِذَا تَرَكْتُهُ "<sup>2</sup>. وجاء عن الجوهرى: الرَّفْضُ (بتسكين الفاء) الترك، والرَّفْضُ (بفتح الفاء) الشيء المتفرق . وروي عن الأصمعي: أن قوم من الشيعة سمّوا بالرَّوْفِض: لأنهم تركوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>3</sup> و ذكرهم ابن المعتز في قوله:

<sup>1</sup> إحسان عباس ، "محاولات في النقد والدراسات الأدبية" ، دار العرب الإسلامية ، ط1 ، 2000، ص152 .

<sup>2</sup> أبو البشر اليمان بن أبي اليمان البندنجي ، "التفنية في اللغة" ، تح د خليل إبراهيم العطية ، مطبعة العاني بغداد ، ط 1 ، 1976، ص494 .

<sup>3</sup> ابن منظور ، "لسان العرب ، باب الرء ، مادة رفض" ، تح عبد الله علي الكبير، هاشم محمد الشاذلي ، محمد أحمد حسب الله ، دار صادر بيروت للطباعة و النشر ، ج6، ط5، 2005 ، ص190\_191 .

لَقَدْ قَالَ الرَّوَافِضُ فِي عَلِيٍّ      مَقَالًا جَامِعًا كُفْرًا وَمَوْقَا .  
 زَنَادِقَةٌ أَرَادَتْ كَسْبَ مَالٍ      مِنْ الْجَهَّالِ فَاتَّخَذَتْهُ سَوْقَا .  
 وَأَشْهَدُ أَنَّهُ مِنْهُمْ بَرِيٌّ      وَكَانَ بَأَنَّ يَقْتُلُهُمْ خَلِيقًا <sup>1</sup> .

وورد في أساس البلاغة تعريفه للرفض بقوله : " رَفُضَني فُلَانٌ فَرَفُضْتُهُ، وَيَرَفُضُنِي، وَيَرَفُضُنِي، بِمَعْنَى يَتَرَكُنِي وَأَتْرَكُهُ، وَرَفُضَ ابْنَهُ: تَرَكَهُ. وَرَجُلٌ رَفُضَةٌ يَأْخُذُ الشَّيْءَ ثُمَّ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَدَعَهُ <sup>2</sup> ، وَأَبْلَغُ تَعْرِيفٍ لِعَوِي لِكَلِمَةِ الرَّفُضِ مَا جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ إِذْ أورد ابن منظور أربعة مفاهيم متقاربة المعنى ومختلفة الدلالة للفظه الرفض:

أ\_ الرَّفُضُ: "تَرَكَ الشَّيْءَ" تقول رفضت الشيء: أَرَفُضُهُ (بضم الفاء)، وَأَرَفُضُهُ (بكسر الفاء)، رَفُضًا (بتسكين الفاء)، وَرَفُضًا (بفتح الفاء): تَرَكَتُهُ وَفَرَقْتُهُ.

ب\_ رفضت الشيء أَرَفُضُهُ وَأَرَفُضُهُ رَفُضًا، فهو مرفوض ورفيوض: كسرتَه.

ج\_ والرفض: أَنْ يَطْرُدَ الرَّجُلُ رَجُلًا غَنِمَهُ وَإِبْلَهُ إِلَى حَيْثُ يَهْوَى، فَإِذَا بَلَغَتْ لَهَا عَنْهَا وَتَرَكَهَا قَالَ الرَّاجِزُ:

سُقْيَا بِحَيْثُ يُهْمَلُ الْمُعْرَضُ      وَحَيْثُ يَرَعَى وَرَعِي وَ يَرَفُضُ.

د\_ والرَّفُضُ: الْقَوْتُ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الرَّفُضِ الَّذِي هُوَ قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَوَرَدَتْ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِ ابْنِ الْعَرَابِيِّ:

<sup>1</sup> محمد بديع شريف ، "ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي" ، دار المعارف (د.ت)، ج2، ص 456\_457 .

<sup>2</sup> أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، "أساس البلاغة" ، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت 1998، ط1 ، ج1-2 ، ص14 .

فَلَمَّا مَضَتْ فَوْقَ الْيَدَيْنِ، وَحَنَفَتْ إِلَى الْمَلَاءِ وَامْتَدَّتْ بِرَفْضِ غُصُونِهَا<sup>1</sup>.

وإذا تدبرنا هذه التعريفات الواردة في معاجمنا وقواميسنا العربية حول كلمة الرفض لا يسعنا إلا أن نسلم بهذه الحائق:

1-الرفض في معناه العام هو الترك، أي عدم القبول.

2-والرفض لا يكون اعتباطيا وإنما بدافع الوصول إلى غاية يرمي إليها التارك(الراض).

3-كما يحمل معنى العنف والغضب إذ يقول ابن منظور"رفضت الشيء: إذ كسرتة".

4-وكذلك ورد بمعنى التغيير والبحث عن البديل وندلل على ذلك ب"رفض وضع من الأوضاع يعني الموافقة على وضع آخر يخالفه."<sup>2</sup>

### ب\_اصطلاحا:

اختلفت الرؤى حول معنى الرفض اصطلاحا، والعلاقة الواردة بين مصطلح الرفض والتمرد، يرى الفلاسفة أن الرفض:"مقاومة الإرادة لدافع معين ورفضها التصديق بالأمر أو تأييده والانقياد له مما يوجب إنصاف صاحبه بقوة الإرادة لا يضعفها"<sup>3</sup>، وهذا يظهر أن الرفض في جوهره مواجهة الانقياد - أي الانقياد لما هو سائد حولنا- والمرء في بحث دائم عن البديل، لما يحوم حوله من نزاعات وصراعات، وعادات وتقاليد تشبث بها المجتمع، فهو في صراع كبير ومتواصل مع الذات التي بدورها تنزع إلى ما تجد فيه راحتها... .

<sup>1</sup> ابن منظور. المرجع السابق ص190\_191.

<sup>2</sup> جون كروكشانك: "ألبير كامو وأدب التمرد". ترجمة جلال العشري، مطبعة الوطن العربي، دب، ص128.

<sup>3</sup> د:جميل صليبا، "المعجم الفلسفي"، دار الكتاب العربي بيروت، ج1، 1978، ص618.

أما الماديون فقد نظروا إلى الرفض من موقف موضوعي "الذي يؤدي إليه الوعي بالضياع في واقع يكبل الفرد أخلاقيا وماديا"<sup>1</sup>. وهنا يشار إلى دور الوعي-العقل- في عملية الرفض لما حول الإنسان ومحاولة تغييره.

في حين نظر الوجوديون إلى الرفض من خلال ظاهرة-التمرد أو الثورة- وكان-ألبيير كامو<sup>2</sup>- منظرا لهذه الظاهرة منطلقا من فكرة(من هو الإنسان المتمرد؟ فأجاب هو من يصرخ ب"لا") كما يؤكد "على أنّ الثائر إذا ما رفض ألا يتراجع". وفي رأي آخر يقول : أن هذه الظاهرة لا تولد عند من كان مضطهدا وإنما من كان شاهدا عليه.<sup>3</sup> بمعنى أن الرفض لا يتأصل في نفسية المضطهد وإنما من يجاوره، أي الذي يعيش تلك المرحلة من بعيد، فهو الذي يسعى إلى الرفض و التمرد.

و هذا ما انعكس على لسان شعراءنا في محاولة منهم إلى رفع الهمم وشد الأزر، داخل مجتمع أصبح يعاني من سبات رهيب بحثهم على النهوض والصراخ و الثورة والرفض لما يحدث من تجاوزات، وذلك عن طريق التحرر الذي يشير إليه الوجوديون على أنه قيمة أخلاقية أكثر منها مادية.

<sup>1</sup> ينظر: كارل ماكس ، "مقدمة في الاقتصاد السياسي" ، نقلا من "الرفض ومعانيه في شعر المتنبي" ، يوسف حناشي، الدار العربية للكتاب، تونس ، 1984، ص 50.

<sup>2</sup> ألبيير كامو: أشهر شاعر إنجليزي في أوائل القرن الثامن عشر ميلادي، تسخر أشعاره الهجائية الرائعة بالعديد من الحماقات البشرية، أما نقده اللاذع فقد جعله واحدا من أكثر الكتاب إثارة في إنجلترا في عصره، هو مترجم إلياذة هوميروس. ينظر : ألبيير كامو، "الإنسان المتمرد" ، تر نهاد رضا ، مطبعة كرم لبنان ، ط1، 1963 ، ص 27 .

<sup>3</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ص 27 .

في حين تحدث - كولون ولسون<sup>1</sup> - عن الشخص الراض والاعتبره فرد غير منتمي، وشطره نصفين: الأول مقبل وفعال، والثاني سلبي لا يرى إلا الفوضى .  
وصفوة القول من هذه الآراء إنه يمكن تجزئة الرضا إلى ثلاثة وجوه:

1\_ اكتشافه لمعاني الحياة والموت ومنزلة الإنسان في الوجود.

2\_ موقفه من الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

3\_ الرضا المكتمل الذي لا يتوقف عند حد التنكير للقديم أو الموجود وإنما يقترح البديل ويخطط للمستقبل<sup>2</sup> .

وهذه الوجوه الثلاثة تؤكد على أن الرضا منهج يهدف إلى البناء وليس هرباً أساسه الغضب واليأس والشك، ومن منطلق هذه التعريفات الموجزة نلاحظ أن لفظة التمرد تتشارك مع لفظة الرضا في مدلولها اللغوي، غير أنه يوجد بينهما فروق شاسعة من الوجهة الاصطلاحية والفلسفية لا يمكن إغفالها ، حتى يزيد مفهوم الرضا وضوحاً، فعلىنا التطرق إلى مفهوم التمرد باختصار: "هو شعور بالرضا لكل ما يحيط بالفرد، وما يترتب عليه من سلوك قد يتصف بالعداء والكراهية والازدراء، لكل ما اصطاح عليه المجتمع من قيم وعادات ونظم، أو هو السلوك الرضا لكل ما استقر عليه المجتمع وألفه من عادات وتقاليد"<sup>3</sup> ، وهو كذلك: "الوضع الكامل للوضع الإنساني"<sup>2</sup> وهذا ما لم نجد له تأويلاً في الرضا الذي يستند

<sup>1</sup> كولون ولسون: "26-01-1931، 5-12-2013" كاتب انجليزي ولد في ليسيستر في انجلترا، من عائلة فقيرة تأخر في دخول المدرسة، وتركها مبكراً ليساعد والده، عمل في وظائف مختلفة، ساعده بعضها على القراءة في وقت الفراغ، مما مكّنه من نشر عدة مؤلفات أهمها: "رجل بلا ظل" ، "اللامنتهي" ، "سقوط الحضارة" ، "ما بعد الحياة" ، "الشعر والصوفية"...

<sup>2</sup> ينظر: يوسف الحناشي ، المرجع السابق ، ص 51 .

<sup>3</sup> سعد عبد الرحمان ، "السلوك الإنساني" ، مكتبة الفلاح ، د ب ، ط 3 ، 1983 ، ص 46 .

إلى القبول من جهة، ويسعى إلى التغيير من جهة أخرى وفق عقيدة دينية أو مذهب فكري أو اتجاه سياسي أو ما كان من هذا القبيل. و التمرد "هو من المشكلات التي تواجه البشرية، وهو شعور الأفراد في المجتمعات المختلفة بالعجز عن تحقيق بعض أهدافهم الجوهرية في الحياة والأسباب التي تسبب هذا العجز وإن اختلفت أشكالها فإنها تولد حالة من الإحباط قد يصل إلى مستوى القنوط و اليأس"<sup>1</sup>

ومن هذا المنطلق فإن الإنسان المتمرد، إذا لم يكن له تخطيط جيد نحو التغيير سيصطدم بمجتمع لا يهوى التغيير مما يؤدي به إلى الإحباط، لأن التمرد يتميز عن الرفض في أنّ الأول يكون في الفكر والأدب، مما قد يؤدي بالإنسان-المتمرد- إلى الإلحاد حسب الفكر الغربي- "الذي يُخضعُ الله إلى معايير الحكم الإنساني، ولا يسلم بأنه الواحد الأوحد القوي..."<sup>2</sup>، رأي مرفوض في الفكر العربي الإسلامي، ولشعرائنا مواقف حاسمة اتجاه هذا الفكر، لأنهم يصبون إلى البناء، أما فكرة كهذه تسعى إلى الهدم، والتمرد ما هو إلا حالة مرضية ناتجة عن خلل نفسي أو شك عقائدي أو نظرة سلبية اتجاه واقع، أما الرفض فيقوم على مجموعة من الأفكار التي يتبناها الشخص الراض في مواجهة واقعه الاجتماعي و السياسي و الفكري: " وفلسفة الرفض ليست مذهباً من الوجهة النفسانية وهي لا تؤدي في مواجهة الطبيعة إلى مذهب عدمي"<sup>3</sup>، وكما يؤكد غاستور باشلار على أن فلسفة الرفض لا تنطلق من تناقضات ولا تثير جدالات فارغة و غامضة وإنما هي خلاف ذلك كلة مبنية على قواعد داخل منظومة منظمة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سعد عبد الرحمان ، "السلوك الإنساني" ، ص: 46 .

<sup>2</sup> قيس النوري ، "أنثروبولوجيا النفسية" ، بغداد ، د ط ، 1990 ، ص 438 .

<sup>3</sup> جون كروكشنك ، المرجع السابق ، ص 130 .

<sup>4</sup> غاستور باشلار ، "فلسفة الرفض" ، تر خليل أحمد خليل ، لبنان بيروت دار الحداثة ط 1 ، 1985 ، ص 155.



ولا يعتبر التمرد دائما حالة مرضية، فقد يكون حافزا لتغيير واقع هش أي مجتمع سئم أصحابه من ما يدور حولهم، فتعالت أصوات الشعراء في التغيير من رفضهم لهذا الواقع. والعلاقة بين الرفض والتمرد جد وثيقة، لأن يكون في حضور الذات التي تجنح إلى التعبير الذي يظهر لتغيير الواقع المرفوض فهنا يظهر التمرد و يدمج مع الرفض, لأن التمرد لا يستحوذ على معناه كاملا إلا في حال قيام ثوابت يقوم عليها<sup>1</sup> .

وخلاصة القول توضح أن الرفض ما هو إلا ثورة دينية و فكرية أو فلسفية تنشُد البديل، والإنسان الراض يَحسن قول (لا) متى تطلب الموقف ذلك و انطلاقا من قناعاته وبعيدا عن الاعتباطية .

و منطلق الرفض القوة لا الضعف المستمدة من ثقافة متنوعة الأغراض و متشعبة الموارد ، و هذه الثقافة تسمو بالرفض فتطوره إذ يصبح ضرورة دينية و أدبية لها قواعد و ضوابط، كما هو حال الحركات الجهادية و التحررية الراضة في العالم .

و الشاعر على اختلاف الأزمنة و العصور يبقى لسان أمته و ضميرها الحي الذي يسعى دوما إلى الدفاع عنها برفضه أشكال الظلم والقهر و الضياع.

### ثانيا: شعرية الرفض

لم يقتزن الشعر في مضامينه بظاهرة من الظواهر النقدية بقدر اقترانه بالرفض، وذلك منذ تاريخ وجوده إلى يومنا هذا، فهو وثيق الصلة بهذه الظاهرة، وخاصة شعرنا المعاصر، فقد استحوذت بسبب ما يكتنفه العصر من هموم و تناقضات التي شملت كل الميادين و المجالات فسارع الشعراء إلى التعبير عن آمالهم و آلامهم بكل غضب و سخط ، ومن ثم تولدت إبداعاتهم الشعرية متأججة بنيران الثورة والرفض .

<sup>1</sup> غاستور باشلار ، "فلسفة الرفض" ، ، ص: 155.

إذن فإن " اقتران الشعر بالرفض ميزة ينفرد بها الشعر أكثر من سواه من الفنون الأدبية الأخرى، ولعل أصح تعليل لذلك يرجع إلى طبيعة الشعر من جهة وإلى نفسية الشاعر من جهة ثانية ، فأما ما يرجع إلى الشعر: فلم يكن و لن يكون الشعر كذلك شعرا بحق إلا لأنه ثوري بأوسع معاني الكلمة ، فكل عمل شعريّ يستحق هذا الوصف بجدارة إنما ينطوي على رؤية للواقع ترفض فيه عنصر السكون وتتمرد عليه.... فالشعر خروج عن سكون(اللا تاريخ) إلى حركة التاريخ، وهو بهذا المعنى فعل ثوريّ من الطراز الأول ، والضمان الأدبي لاستمرار فعل الرفض الثوريّ وأطراده....."<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للشاعر، فهو مخلوق متميز عن عامة الناس - في المجتمع الواحد- بمواهبه وفكره أو بنظرته إلى الحياة ، دائم الحركة رافض للسكون والدّل والخضوع ، محبّ للتغيير، فيكون إبداعه الشعريّ ممزوجا بالسخط و الانفعال و القلق، ثم الثورة و الرفض .

و قد لاحظ نقادنا القدماء كيف أن الغضب يكون مصدرًا للشعر ودافعا لأي شاعر لقول ما يتطلبه ذلك الموقف - حكمة أو فخرا أو مدحا...- ويتحدّث ابن قتيبة في كتابه "الشعر و الشعراء" عن دوافع الشعر و دواعيه فيقول : " و للشعر دواع تحت البطيء و تبعث المتكلف منها الطمع ، و منها الشوق، ومنها الشراب ، ومنها الغضب...."<sup>2</sup> ، و يروي ابن قتيبة في موضع آخر قصة مفادها أنّ عبد الملك بن مروان قال لأرطأة بن سهيّة : " هل تقول الآن شعرا ؟ فقال: كيف أقول و أنا ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب، وإنّما يكون الشعر بواحدة من هذه "<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عز الدين إسماعيل ، "الشعر في إطار العصر الثوري" ، دار الحداثة ، بيروت، ط 2 ، 1985 ، ص 86 .

<sup>2</sup> ابن قتيبة : "الشعر والشعراء" ، تقديم الشيخ حسن تميم، مراجعة محمد عبد المنعم العريان ، دار الحياء العلوم بيروت ط 3 ، 1987 ، ص 34 .

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، ص 34\_35.

وما يهمنا هنا في هذا المقام هو كون الغضب اقترن بالشعر العربي عبر مسيرته التاريخية- وأقدم النصوص التي وصلت إلينا وتمثل هذا الاتجاه هو شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، و على رأسهم "عمر بن مالك الأزدي"<sup>1</sup> ، وكذلك " الشنفرى" وهو صاحب لامية العرب التي مطلعها :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ      فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ .

وفي الأَرْضِ مَنَأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى      وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلِي مُتَعَزِّلُ .

وصدرت ثورة هذين الشاعرين من لواعج النفس وغضبها على أحكام القبيلة التي شردتهما ، وهذين الشاعرين وغيرهم من الشعراء قد تميزوا بالصبر و الجرأة والاستهانة بالموت، والحذر واليقظة وهذه الخصائص تجسدت في شعرهم فصبح بخاصيتي الرفض و الثورة<sup>2</sup> . ونلفي في صدر الإسلام شعراء الدعوة الإسلامية الذين اعتنوا بالدين الجديد - الإسلام- فدافعوا عنه بكل ما أوتوا من قوة ، وكانوا أكثر تعلقا بالنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- و بالمبادئ التي جاء بها و المناقضة لجاهليتهم.

وعندما احتدمت المعركة بين المسلمين و الكفار، و اشتدت المواجهة بينهم ، أوجب على الرسول -صلى الله عليه و سلم- ، اختيار شعراء لهذا المقام إذ قال صلى الله عليه وسلم: "لِسَالِحِ الْبَيَانِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ السَّهَامِ فِي غَبَشِ الظَّلَامِ"<sup>3</sup> . إذ كلف حسان بن

<sup>1</sup> عمر بن مالك الأزدي شاعر جاهلي يمني ، من فحول الطبقة الثانية، كان من فتاك العرب و عدائهم ، وهو أحد الشعراء الذين تبرأت منهم عشائريهم قتله بنو سلامان ، وقيل أنه ليلة مقتله قيست قفزاته وتوفي سنة 70ق هجرة . ينظر: جواد علي ، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" ، جامعة بغداد ، ج4 ، دط ، دت، ص 6007 .

<sup>2</sup> عمر فروخ ، "تاريخ الأدب العربي" ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج1 ، ط5 ، 1984، ص103 .

<sup>3</sup> أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري (194هـ -256هـ)، "صحيح البخاري" ، دار ابن الكثير ، دمشق \_ بيروت ، ط1 ، 1424هـ - 2002م ، ج5 ، ص 420 .

ثابت و كعب بن مالك للهجاء بالأيام و المثالب ، وابن رواحة لهجاء الكفر، فليس من الطبيعي أن يترك الشعر بمنأى عن هذه الأحداث لأنّه في ذلك الزمان كان أقوى سلاح من السيف<sup>1</sup>.

وإذا انتقلنا من العصر الإسلامي إلى العصر الأموي ، وجدناه قد اشتمل على حركة شعرية واسعة متسمة بالرفض و الثورة و الانتقاد ، لما شهدته العصر من ميلاد لأحزاب سياسية متنافرة ، منها حزب بني أمية و حزب الشيعة الموالين لأهل بيت النبي (ص)، و حزب الخوارج، والزييريين<sup>2</sup>، إذ أصبح لكل حزب شاعر أو شعراء يدافعون عنه ، و يتصدون للمعارضين له....

واتسع نطاق الرفض في هذه الفترة و خاصة السياسي منه ، حتّى إنّه تم تغيير مطالع القصائد فوجهت للعقل والمنطق أكثر مما كانت موجهة للعواطف - من العواطف و الأطلال إلى الفخر أو الهجاء - " وهو من هذه الناحية يصور لنا التطور الذي أصاب العقل العربي في هذه العصور ، فهاشميات الكميّت حجاج و جدال في مسألة الهاشميين ، بالضبط كما كان يحاج و يجادل الحسن البصري زملاؤه و تلاميذه في مسألة القدر"<sup>3</sup>.

وقد لقيت هذه الظاهرة انتشارا واسعا في العصر العباسي فاقت الحدود لما وجد في العصور السابقة ، نتيجة الصراعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بخاصة (الصراع بين العلويين والعباسيين) إذ نجد زمرة من شعراء وأدباء هذا العصر، اكتنز إبداعهم ملامح التحدي والرفض. انصهرت عوامل عدة مما دفعت العديد من الشعراء بمسكون بزمام الرفض من أمثال :

<sup>1</sup> ينظر : عبد الرحمن خليل إبراهيم، " دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول(ص)" ش.و.ن.ت الجزائر، ط1، 1971م، ص267 .

<sup>2</sup> ينظر: عمر فاروق الطباع، "مواقف في الأدب الأموي"، دار القلم بيروت، ط1، 1991، ص 21.

<sup>3</sup> شوقي ضيف ، "التطور و التحديد في الشعر الأموي" ، دار المعارف ، القاهرة مصر، ط7 ، 1981، ص 276 .

بشار بن برد<sup>1</sup> ، وأبو الطيب المتبى<sup>2</sup> ، والشريف الرضى<sup>3</sup> ، ها هو ابن برد يعبر عن غضبه وثورته على ما فعله العباسيين بالعلويين في بداية حكمهم :

أَبَا جَعْفَرٍ، مَا طُولُ عَيْشٍ بِدَائِمٍ      وَلَا سَأَلٌ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَالِمٍ .  
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَجِّجٍ      عَظِيمٍ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِفَتْكِ الْأَعَاجِمِ .  
تَقَسَّمَ كَسْرَى رَهْطُهُ بِسُيُوفِهِمْ      وَأَمْسَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْلَامَ نَائِمٍ<sup>4</sup> .

اتسم معظم الشعر في هذه المرحلة بالرفض و السخط ، والذي أكثر فيه الهجاء ليكون شافيا للغليل ، ومجسدا لكل ما يموج في النفس من صراع و سخط ، دون أن يملك مانعا أو ردا لظلمهم.

كما صور الجاحظ<sup>5</sup> ما مر به آل البيت - العلويين - من معاناة بعدما ظنوا أن دولة أبناء عموماتهم دولتهم، و لكن الأيام خيبت لديهم هذا الظن- تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن- فأخرصت ألسنتهم : " بحيث أصبح صوت الشعر العلوي خافتا إلى حد بعيد، لأن

<sup>1</sup> فارسي الأصل ولد سنة (714م-96هـ) اجتمع له ذل المنبت وظلمة العين، نشأ نشأة عربية خالصة، قال الشعر في سنّ العاشرة أكثر من الهجاء . توفي (784م-168هـ). الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ج4، ط7، 1998، ص 278 .

<sup>2</sup> ولد في الكوفة (303هـ)، ونشأ فيها قال الشعر وعمره 13 سنة، توفي سنة (354هـ) ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب، دار مارون عبود، بيروت، ج2، دط، 1981، ص 309 وما بعدها.

<sup>3</sup> ولد في بغداد سنة (970م-359هـ)، من أصل يرتقي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، عرف عنه طموحه للخلافة و بإحساسه المهرف، و العزة و الإباء والعزم، توفي سنة (1016م-405هـ). ومن أثاره: حقائق التأويل في متشابه التنزيل. أخبار قضاة بغداد. ينظر: د عمر فروخ، "تاريخ الأدب العربي"، دار العلم للملايين، بيروت، ج3، ط4، 1984، ص59\_60 .

<sup>4</sup> صبار نور الدين: "شعر الرفض في العصر العباسي الأول ثنائية الثبات والتغيير"، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر دط، 2002، ص82\_83.

<sup>5</sup> ينظر إلى تعريفه في كتاب: ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، ج3، ط1، ص:

المجاهرة بعداء السلطة العباسية ، كانت تقابل بالقصاص الفوري، و إلا فما معنى أن يحيط الخليفة العباسي مجلسه بتلك الأسوار من الجند و الحراس والجلادين<sup>1</sup>.

أما المتنبّي ، " فقد تنبه إلى ما كان يهدد كيان العالم العربي الإسلامي من انحلال داخلي يمكن إرجاعه إلى التصدع الأخلاقي و السياسي و الاقتصادي و التهديد بالاحتلال من طرف أمم مجاورة كالروم و الفرس و الترك، و إهمال أمور الرعية، فتجلى موقفه من هذا الوضع الرفض و التنبيه لسلبياته..."<sup>2</sup> ، فعّد شعره طافحا بمعاني النقد و الانتقاد ، متأججا بنار الغضب و الرفض ، و الشريف الرضيّ "فطبع قصاده بطابع الثورة و الثأر ، و عد شعره شعر العاطفة الحية ، و كلمة الوجدان ، كما كان على كل، حال الشعر النفس الكبيرة التي لم تعرف إلا الأجواء الرفيعة محطّا للأنظار و مرتعا للآمال"<sup>3</sup>.

ولم تجد هذه الظاهرة ضالتها إلا في العصر الحديث ، فاستهل الشعر رفضه بالثورة على القلب القديم زاعما أنّه لا ينسجم مع روح العصر ولا يلي الاحتياجات الفكرية – فعصرنا عصر العلم و الديمقراطية و الحرية الإنسانية – وهو عصر حصلت فيه المرأة على حقوقها و الفرد على حريته ، وشعراؤنا المعاصرون تبنا هذه القيم كقناعات فكرية و من ثمة تبلور الرفض و تحتمت الثورة كصرخة موقظة الروح من سبات عميق وهذه الأفكار جسّدت لدى شعراء الرفض قناعة راسخة ، بالسخط و التمرد بحثا عن حرية افتقدوها في رحاب مجتمع غارق في دياجير الجهالة العمياء ، وأولى بوادر الرفض وإرهاصاته هي رفض القلب الشعري القديم ، وكذلك انبعث الحضارة وما أنجر عنها من هموم ومصائب اجتماعية و سياسية و فكرية لم يطقها عامة الناس .

<sup>1</sup> الجاحظ ، "البيان و التبيين" ، مطبعة الفتوح الأدبية ، القاهرة ، ج2 ، دط ، دت ، ص 329 .

<sup>2</sup> يوسف الحناشي ، المرجع السابق ، ص5 .

<sup>3</sup> ينظر: فوّاز الشّعار ، و إميل يعقوب، "الشعراء العرب ( الموسوعة العامّة )" ، دار الجيل ، بيروت ، ج1 دط دت ، ص132 .

فوجد تأوهات من العصر و أهله ، فتحولت مضامينه من مشروع الجهاد إلى المقاومة فالثورة ثم الرفض ، الذي أوجد تحركا غير عادي لكشف الواقع عن طريق الثنائيات الضدية : التكرار - الجدل الكلامي ، مما يجعل الشاعر في وجهة النظر النقدية : " أنه عندما يعبر عن تجربته الكيانية ، فيأتي بالجديد الذي يمثل عصره أصدق تمثيل ، فهو شعر إنسان عظيم " <sup>1</sup> .

ومن الراضين في العصر الحديث البياتي ، أمل دنقل ، والسياب ونزار قباني وأدونيس الذي يعدّ رفضه إنسانيا يشمل قيم الوجود وواقع الأمة في ماضيها و حاضرها وتجلي هذا الرفض في السياسة و الفكر و الدين و العلاقات الاجتماعية فيقول أدونيس <sup>2</sup> :

أفتتت العالم كي أمنحه الوجود .

ضاربا بعصاي الصخر حيث ينبجس الرفض .

يغسل جسد البسيطة .

معلنا طوفان الرفض .

معلنا سفر تكوينه .

وللطوفان دلالة خاصة ذلك أنه مصطلح ديني تداولته الكتب السماوية و هو يعني

اجتثاث الواقع وسحقه معلنا ميلاد عالم جديد .

أما كلمة (غسيل) في السطر الثالث تعني عقم الواقع وعطالته وجرده من القيم الإنسانية

والحرية. أدونيس شاعر مثير للجدل والاهتمام ، فهو شاعر ملغز و حلزوني الفكر لا يعطي سره

<sup>1</sup> ينظر : عبد المجيد زراقلط ، "ثقافة المقاومة" ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ص 126 .

<sup>2</sup> أدونيس ، "الأعمال الشعرية الكاملة" ، دار العودة بيروت ، ط 5 ، م 2 ، ص 127 .

للمداولة الأولى بل يظل متحفظا بسحره و بضبايته . واتسم شعره بالثورة و الرفض ، و الذي تحدى فيه بروح الحرية الفردية ، وحثه على البقاء ضمن الجماعة التي تعزز ذاتيته و تشحذ ذهنه للبحث عن البديل و المضمون الإنساني في العلاقات الاجتماعية .

أمّا أمل دنقل فهو صاحب الكلمة المشهورة " لا " إذ يقول :

لا تصالح على الدم ... حتى بدم .

لا تصالح ولو قيل رأس برأس .

أكل الرؤوس سواءً .

أقلب الغريب كقلب أخيك ؟

وهل تتساوى يدّ ... سيفها كان لك .

بيد سيفها أتكلك .<sup>1</sup>

إنّ نصّه هذا نصّ التمرد و السخط ، لا يتمثل لأيّ قانون و ضعي ويتم فيه القبول "بالموت ولكنّ في أسمى مساواة"<sup>2</sup>. إذ إنّها تثير فينا الضغينة ، و تحيي روحا انكسرت و شارفت على الاحتضار و الموت.

إنّ تقمص الشاعر لتلك الشخصية التاريخية - كليب بن ربيعة - ما هي إلا محاولة لمعايشة رؤيا في مصير أمة أفشلتها الخديعة و المكر. و أعطى صورة دموية قائمة لمستقبل مجهول. يعد أمل دنقل أيقونة الرفض بلا منازع . و اعتبرت قصائده قصائد غضب ممزوجة بصدق داخلي و خارجي ، فاستحضار ذاته الشاعرة في قصائده تعبير صريح و مصرح في وجه الظلم و الظالمين و المتغطرسين .

<sup>1</sup> أمل دنقل، "الأعمال الشعرية الكاملة [لا تصالح]" ، دار العودة بيروت، أو مكتبة مدبولي، القاهرة ط2، 1985، ص 326 .

<sup>2</sup> ألبير كامو ، المرجع السابق ، ص145 .



أما الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي ذلك الشاعر الذي طوّفَ في الدنيا منفياً و مشرداً من موسكو إلى مدريد و ثم دمشق ، فقد جسد في شعره و حياته حالة الرفض للقهر السياسي و استبداد الحكام و حالة الرفض لكل السلطات الدنيوية و الدينية كالإكليروس الديني<sup>1</sup> ، لأنها تمارس الإكراه على الحرية الإنسانية و تتعدى على الكرامة البشرية ، وامتد رفضه إلى الإعجاب بالرافضين من تاريخنا العربي و العالم الغربي.

كان تصوف محي الدين بن عربي الشاعر الأندلسي صاحب فلسفة وحدة الوجود وكتاب الفتوحات المكية رافضياً للثقافة السائدة و التدين الساري ، وبلغ إعجاب البياتي بهذا الشاعر و حبه له إلى درجة أنه أوصى بأن يدفن إلى جواره في دمشق .

و يرفض البياتي تخاذل المثقف في السكوت على ظلم الحاكم و التعلل لذلك بقوة السلطان و جبروته، و حاجات النفس و التماذي في هذا الموقف المتخاذل إلى درجة التحول من سيف يناضل ضد القهر و العناء إلى مروحة تجلب النسيم العليل للحاكم ، فهو يقول عن هذا المثقف:

يداعب الأوتار

يمشي فوق حد السيف و الدخان

يرقص فوق الجبل

يأكل الزجاج

ينشي مغنيا سكران

يقلد سعدان

يركب فوق متنه الأطفال في البستان

يخرج للشمس إذا مدت إليه يدها : اللسان!

<sup>1</sup> هو النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس المسيحية ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن 3م ، ففي الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية السلطة الأعلى للبابا ، أما في البروتستانت فلا يعترفون إلا بدرجتين فقط من درجات هذا النظام هما ( القص و الشاس).

يكلم النجوم والأموات

ينام في الساحات<sup>1</sup> .

إنّ هذا المثقف الذي كان يفترض فيه أن يكون طليعياً تحول من إنسان فاعل إلى بملوان يجيد الرياء والتلاعب بمشاعر الأمة و خداعهم و تمويههم ، لقد صار كالدرويش رمزاً للسذاجة والغفلة بدلا عن الفاعلية و الإصرار على التغيير و النضال.

فالبياتي شاعر مؤمن بأنّ الثقافة الحقة هي اتصاف الموصوف بالنضال ضد الطبقيّة والرجعيّة والتخلف و القهر لحساب النهضة و الحرية و الكرامة .

أما السياب فكان يرى : " رسالته أن يخلق شعر جديداً للعالم الجديد ، و عالماً جديداً يتناغم مع رؤياه الشعرية الجديدة"<sup>2</sup> فمن رؤيته هذه نفهم " أنه كان يؤمن بحتمية الثورة ، و يؤمن بأن الواقع السيء لا بد أنه يحمل داخله عوامل التغيير "<sup>3</sup> ، فقصيدته " يوم الطغاة الأخير " شاهدة على ذلك إذ يقول :

نرى الشمس تنأ وراء التلال

و بين الضلال

وقد رف مثل الجناح الكسير

على كومة من حطام القيود

<sup>1</sup> عبد الوهاب البياتي ، "الأعمال الكاملة" ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1995 ، م2 ، ص 8\_9

<sup>2</sup> عيسى بلاطة ، "بدر شاكر السياب حياته و شعره" ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، 2007 ، م1 ، ص 74.

<sup>3</sup> يوسف عوض ، "رؤاد الشعر العربي الحديث" ، مكتبة الأمل ، د ت ، ص160.

## على عالم بائد لن يعود

سناها الأخير<sup>1</sup>.

وقد كانت حياة الشاعر نزار قباني هي الأخرى تجسيدا لمبدأ الرفض ، و كان شعره بلورة له و ذهابا به إلى أقصى المعمورة صراخا و تشهيرا به ، فتجلى رفضه في موقفه من المرأة و من الحب وكذلك من السياسة ، فللشاعر صولات و جولات في عالم الرفض السياسي منذ صدور ديوانه "هوامش على دفتر النكسة" ، فكان الشاعر فاضحا للمواقف المتخاذلة مشهرا بها ، معتبرا جبن الساسة و نفاقهم هو سبب ضعفهم و خوفهم و جبنهم ففي قصيدته المشهورة " أنا متعب بعرويتي " يصور رفضه على أنه حالة ثورية عارمة و مجموعة انفعالات حادة معبرة عن عمق الجرح و نزيغه ، إذ يقول :

والله مات و عادت الأنصابُ ؟	مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الشَّعْرُ؟ يا قرطاجة
قمع و حين مسائنا إرهابُ ؟	من أين يَأْتِي الشَّعْرُ؟ حين نهارها
فبأي شيء يكتب الكتابُ ؟	سرقوا أصابعنا و عطَّرَ حُرُوفِنَا
سرًّا فنكهة خبزنا استجوابُ <sup>2</sup>	و الحَكَمُ شُرْطِيَّيْ يَسِيرُ وَرَاءُنَا

فقد كان تأثير هذه القصيدة مدويا لأنها صادفت هوى جميع العرب و عبرت عن مكنون ضمائرهم في رفض طغيان الساسة .

إذا لقد كان الشعر المعاصر يتمثله لمبدأ الرفض، شعراً تقدماً و إنسانياً و لا يمكن أن يكون شعراً إذا لم يمتزج بغضب العصر ، وكان هؤلاء الشعراء الأعلام فرسان الكلمة و رجال الموقف

<sup>1</sup> بدر شاكر السياب ، "ديوان أنشودة المطر" ، [يوم الطغاة الأخير] ، دار العودة ، بيروت ، م1 ، د ط ت ، ص377.

<sup>2</sup> نزار قباني ، "الأعمال السياسية الكاملة" ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط2 ، 1984 ، ج4 ، ص155.

نأوا بالشعر عن قصور الحكام و نَزَّهُوهُ عن تضمنه العريضة المحيبة إلى القلوب ، فطرحوا به في آفاق الإنسانية الرحبة ، و التزموا حقا - كما يلح جون بول سارتر على فكرة الالتزام في الأدب - بقضايا الوطن و تاريخه العريق و حاضره التعس و مستقبله المرهون بإيديولوجية مقبته ، و حافظ شعرهم على طراوته و نكهته الوجدانية ومضامينه الفكرية و الإنسانية ، و ساعدهم على ذلك النَّفْس الشعري و روح التجديد والوعي بالواقع وعلاقاته ، فجاء هذا الشعر في صيغته الحديثة شعرا إنسانيا - على الرغم من عثراته ونقائصه - يتضمن مواقف أخلاقية من كل الأشياء ومن كل الأحياء ، فهو طهارة من الداخل ومن الخارج ، أو صدقٌ مع النفس و مع الآخرين، و بغيرهما يصبح الشعر زيفا وخيانة للنفس و للحياة ، و إنّ الشعر احتراق يطمح إلى أن يحارب كل فساد في العالم<sup>1</sup> ، فلا ضير ولا عجب من أن يكتسح المناير الثقافية التي ينسكب فيها في جداول الرفض .

و صفوة القول إنّ الشعر و الرفض عنصران متكاملان و متجانسان ، و الراضون في العالم وعبر التاريخ هم عظماء الأمم و عمالقة الإنسانية و منهم الشعراء الذين نكروا ذواتهم ، وأعدموا أنانيتهم من أجل إعلاء صوت الحق ، و مقاومة الشرور و الرقي بمكارم الأخلاق التي هي بقاء كل أمة من الأمم .

### ثالثا : عوامل الرفض لدى الشاعرة بشرى البستاني

اقتدى شعراؤنا المعاصرون بأدباء الغرب عندما ثاروا ثورتهم العنيفة ضد المبادئ الكلاسيكية، فعملوا بها لأجل النهوض بهذه الأمة و ما آلت إليه من جمود فكري و عملي وأدبي، فرفعوا أعلامهم للاحتجاج و الرفض معبرين على ورقة بيضاء ما يختلج في نفسيتهم من

<sup>1</sup> ينظر، عز الدين إسماعيل، مقال، "مفهوم الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين"، مجلة الفصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 4ع، رمضان 1401هـ - يوليو 1981م، ص 53 .

مكابد روح و لواعج نفس ، و رفضهم هذا رفضاً ممنهجاً بعيداً عن التمرد بمعناه العام ، ولم يصدر من عبث كما وجد عند الوجوديين<sup>1</sup> ، و إنما يعد توتراً داخلياً بمن حولهم وما يحيط بهم من قبح و ظلم و عدوان ، ومصدر شعورهم هذا ما هو إلا التزامهم اتجاه قضايا أوطانهم ، وقضايا أمتهم .

وشاعرنا بشرى البستاني ، من أبرز هؤلاء الشعراء و التي تمكنت بفضل تجربتها الشعرية على العمل دائماً بلسانها و قلمها من أجل التغيير ، لما يعاينه وطنها - العراق - والعالم العربي ككل من اضطهاد غير أنّ رفضها هذا جاء ممنهجاً ومبنياً على فكر وعقيدة معينة :

واليقين هو العلم المستودع في القلوب

فكيف أنتظر تحقق الأسرار

بأحكام الغيب..!

وأنا أقاوم..

أقاوم حزناً مرّاً

حزناً رصاصياً يهبط فوق صدري

وأدعو السماء أن تطفئ حرائق الأنهار القديمة .

كي لا تتغير معالم المدن،<sup>2</sup>

و قد تتباين أسباب الرفض وتختلف من شاعر إلى شاعر آخر حسب الميل النفسي ، أو الانتماء الإيديولوجي ، أو التكوين الثقافي . والشاعر المعاصر يسعى دائماً ودوماً إلى رفض كل البنى التي أدت إلى الهزائم و التراجعات لأنّه مؤمن بالحياة و يبحث عن الأمل ، ويدحض كل

<sup>1</sup> ينظر: جون كروتشانك ، المرجع السابق ، ص 19 .

<sup>2</sup> بشرى البستاني ، "خماسية المحنة" ، [كتاب الوجد] ، دار فضاءات ، عمان ، ط1 ، 2012 ، ص 179 .

عوامل السلب من أجل بناء وهذا ما تجرد في رأي " نوري حمودي القيسي " <sup>1</sup> والذي يعد الرفض عنده ظاهرة بطولية رائدة وأحد مظاهر الانتماء للأمة ، فيقول : " الرفض من معطيات الإنسانية الكريمة إذ تتجلى صورته بشكل بطولي عبر أعمال الأمم الشعرية المتناثرة أو الأشكال والمظاهر المتفاوتة وهو الذي يدعو الأمم الحية إلى أن تقف شامخة بوجه التحديات لأنه من جوهر البطولة " <sup>2</sup> .

وهذا الذي تجسد عند شاعرتنا بوضوح في معظم دواوينها، فعبّرت عن ذلك بالصراخ والرفض و الثورة ، لأنها تنتمي إلى إحدى هذه المجتمعات التي اصطدمت فيها بجميع عوامل السلب ، ففقدت ضالتها المرتقبة داخله ، وأمالها المنشودة . فثارت ثورة مظلوم غير على ما يحدث حوله ، فأنشدت له قولاً في إحدى قصائدها تحت عنوان " ورقات مشتعلة " من ديوانها " الأغنية و السكين " :

لو تبصر جب الحزن بهذا القلب

وقروح جراح الحزن بهذا القلب

والهم الشاتي اللائب عبر القلب

لمنحت الأوسمة الخضراء لغير ملاك الرفق

وهوت أشجار الزقوم

<sup>1</sup> نوري بن حمودي بن علي القيسي، ولد في الرصافة من ضواحي العراق، سنة 1932م، أنهى دراسته بالرصافة ثم انتسب إلى كلية الآداب بجامعة بغداد، نال البكالوريوس في اللغة العربية 1954م، و الماجستير في القاهرة 1964م، ثم الدكتوراه 1967م بدأ حياته مدرساً بالتعليم الثانوي في بغداد ، ثم في كلية الآداب بجامعة بغداد، فتقلد عدة مناصب داخلها ومنها عميداً للكلية حتى وفته المنية سنة 1994م ، له ثلاثة دواوين شعرية هي " من آراجيز القادسية ، بطولات خالد ، وترتفع راية الجهاد " ، كما له عدد من القصائد المنشورة في الصحف والمجلات ، وعدد كبير من الدراسات . ينظر: صباح ياسين الأعظمي ، "المعجميون في العراق " ، مطبع الجمع العلمي العراق ، بغداد ، د ط ، 1997 ، ص 227 .

<sup>2</sup> نوري حمودي القيسي ، "من صور الرفض والتحدي في الأدب الجاهلي " ، مجلة قضايا عربية ، لبنان ، 1981، ع6 ، ص 93 .

خاوية العرق ...  
ولأشرق كل الشجر الأخضر بالدمع  
يا مطفى كل الشمع ...  
من حولي ... كل الشمع  
تعبت غزلان العرش من الصمت ...  
تعبت أحلام القلب من الصمت ...  
من حولي تعب الصمت ...  
أتضرع خلف السور :  
لو أحد يصرخ في هذا الوطن المهجور  
لو يزحف ، يزحف هذا الشعب المقهور  
كي يسقط وجه المسخ ...  
كي يرفع من لجة هذي النار ...  
قلبي المشوي بركان الرفض .<sup>1</sup>  
وفي موضع آخر تقول في قصيدتها " وراء سياج الدم " :  
عصفت سموم الحقد ..  
هذا الثور يعثر بالجباه  
أعمى وينهش بالشفاه المتعبات  
ماتت على رعشاتها الكلمات ،

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "الأغنية و السكين ، [الأعمال الكاملة]" ، وزارة الثقافة ، بغداد ، د ط ، 1975 ، ص 575 .

مات اللحن ...

مات وطني .. أيا طفلا يلوب بلا انتهاء<sup>1</sup>.

تعتبر الشاعرة في هاتين القصيدتين عن إحساسها القومي والكبير بالغبرة التي تعاني منها ذاتها، داخل العراق مما زادها ثورة وتمردا ورفضاً لما هو كائن:

وأرفض

وأرفض ضمادك أيها المجرنحي برمخ ذي حدين ..

أرفض حرير كفك أيها الزارع في بيادر شوك ..

أرفضك تجتني من السكنينة لتقذني في الطوفان ...

أنا الحاملة أوزار دولتك المنهارة دون أن تسلم<sup>2</sup>.

فهاجس الغربة عند شاعرتنا - بشرى البستاني - قد وُلد لديها أحاسيس متباينة ، انعكست بالإيجاب والسلب على أفكارها المتفاوتة بين القبول و الخضوع ، أو الرفض وعدم الاستسلام لواقع معاشٍ - الاحتلال - لأنّ الأديب والشاعر في العراق ، أصبح خاضعا لحصار عانى منه الأمرين ، تمثل الأول في الاحتلال والثاني في الحصار النفسي ، وبشرى البستاني نفسها شكت ذاتها من هذا الحصار الذي رسخ لديها شعورا قويا بالغبرة التي سقيت منها مرارة الوحدة .

والغبرة التي تعيشها - الشاعرة- ليست غربة الانفصال عن الواقع أو الزمن أو " مرضا يتصل بتصدع الذات " <sup>3</sup> ، و إنما هي على حدّ تعبير الصوفية " غربة الهمة أي طلب

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، " ما بعد الحزن ، [الأعمال الكاملة]" ، دار النهضة بيروت ، د ط ، 1973 ، ص 643.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 120 .

<sup>3</sup> العشماوي محمد زكي ، "الأدب و القيم الحياة المعاصرة" ، دار النهضة العربية بيروت ، 1980 ، ص 52.



الحق...<sup>1</sup> ، أي غربة الأديب و الشاعر العربي والرجل العادي و المرأة المقتدرة ، الغيورين على وطنهم وأمتهم و دينهم ، إذن جاءت غربتها مليئة بالأمل في غد مشرق ، وما هي إلا : " تحسين للنفس وتجنيب لها وخشية عليها من مغبة الانزلاق إلى مثل هذا الواقع الذي يمثل موتا بطيئا للإنسان " <sup>2</sup> .

فأكبر سبب لرفضها هو الاغتراب الذي أحست به داخل وطن يشهد له الجميع بعطائه الكبير في الأدب و الفكر حتى سقط بين يدي محتل غاصب مازال يسعى جاهدا لطمس شخصية الإنسان العراقي . وديوانها " مكابدات الشجر " دليل واضح على ما تعانيه ذات الشاعرة من ألم وتحسر ، وهذا الشعور القوي بالغربة دفعها إلى الالتزام في شعرها اتجاه قضية وطنها :

من يفك إसार غزلان العراق

يلم أحزان العراق

يشد جرح النخل في قلب العراق

تعال يا وطننا مضى

أنا لن أجيئ

تكسرت في النضال <sup>3</sup> .

تظهر الشاعرة في هذا المقطع ألمها و رفضها لما يحدث لأبناء جلدتها و لوطنها العراق ، فكلمة النخيل في هذا المقطع رمز للصمود و الشموخ و القوة للإنسان العربي رغم قسوة الحياة.

<sup>1</sup> ابن القيم ، "مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" ، تح :محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2، 1973 ، ج 3 ، ص 23 .

<sup>2</sup> محمد قميح ، "الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر" ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط 1 ، 1985 ، ص 406 .

<sup>3</sup> بشرى البستاني ، "زهر الحدائق" ، [الأعمال الكاملة] ، وزارة الثقافة بغداد ، 1984 ، ص 485 .

وقد دفعها التزامها نحو قضايا وطنها إلى الالتزام اتجاه قضايا أمتها التي تراها تتخبّط داخل قوقعة الجهل و قلة الوعي من ناحية وتلك الأزمات السياسية و الاجتماعية من ناحية أخرى ، إذ تقول متحسرة على ما يحدث في قصيدة و سمّتها "بالخيمة" من ديوانها "أقبل كف العراق".

يا شلال الوطن العربي..

الطالع من ليل الكفران..

المطعون بضيم حزيران..

المقتول بذل الإنسان..

القابع في خيمة البترول ..

يا شلال القلب الأخضر ..

يا شلال الفجر..

متى تجتاح القمة ..

كي ينسدل الضوء على وجهينا..

خيمة عطره..<sup>1</sup> .

إنّ اختيارها للفظّة (الخيمة) لم يكن عبثاً أو اعتباطياً ، بل جاء عن قصد لما تحمله اللفظة من دلالات مختلفة ، فهي في هذه القصيدة لها معنيان الأوّل يدل على الرسوخ والأصالة والقوة رغم قسوة الظروف ، أما الآخر فتحمل الوهن والضعف والاستسلام لقوة رياح الصحراء العاتية، فهي الألم والأمل .

إذن فالغربة والألم ما هما إلا سببان حقيقيان في الوجود ، ويدفعان أي امرئ للبحث عن البديل المرفوق بالتفاؤل والأمل ، اللذين هما شحنة الإنسان على اختلاف مذاهبه ، يقول تعالى:

<sup>1</sup> بشرى البستاني، "أقبل كف العراق، [قصيدة الخيمة]"، [الأعمال الكاملة]، وزارة الثقافة، بغداد، دط، 1988، ص450 .

" إنَّ مع العسر يسرا ، إنَّ مع العسر يسرا " <sup>1</sup> ، ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " لن يغلب العسر يسرين " ، ويقول محمد إقبال عن التفاؤل : " حول التفاؤل له ولأصحابه فرص التحدي و الاستعلاء على جميع صنوف الأذى و الآلام ، ولقد انعكست هذه الصورة على الأدب الإسلامي فتزعزع هو الآخر في أجواء كَلِّها أمل و تفاؤل بالمستقبل الإيجابي ... " <sup>2</sup> .

و ترى خالدة سعيد أن الشاعر العربي لم يبلغ مرحلة الرفض التي تقوم على تقويض أسس العالم القائم و بناء عالم جديد على أنقاضه لأنه - حسب رأيها - باقي لحد الآن مجرد عدم القبول ، و مجرد تخلٍّ عن مسلمات و بديهيات إنه ما زال في مرحلة النفي و الإنكار، إنه رفض سلمى لأن الشاعر الرفض لم يبدأ الثورة على العالم <sup>3</sup> .

سئلت شاعرتنا - بشرى البستاني - في إحدى المقابلات عن طبيعة رفض الشاعر المعاصر في هذه المرحلة هل كان رفضه تغييريا ؟ و الجواب إنَّه لم يكن كذلك و السبب يعود إلى قضية مهمة وهي دور الأدب في الحياة و هل مازال دوره سلبيا ؟ و هل تسمع كلمته ؟ فالأجوبة على هذه الإشكاليات غدت متداخلة في زمن اختلط فيه الحابل بالنابل ضمن النصوص الأدبية و منها موت المؤلف ، غياب المرجعيات كليا ، و توارى الواقع ، فقد صارت الشخصيات الأدبية ورقية ، و صارت الأمكنة و الأحداث و الوقائع كونا لغويا، لكن متى تحول الرفض من مشروع

<sup>1</sup> سورة الشرح، الآية 06 .

<sup>2</sup> سعيد محمد، "ملاحم الرفض في شعر محمد الغماري"، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في الأدب العربي، إشراف أ د، محمد عباس ، قسم اللغة و الأدب العربي جامعة تلمسان ، 2000\_2001 م ، ص 18.

<sup>3</sup> خالدة سعيد ، "بؤادر الرفض في الشعر العربي الحديث"، مجلة شعر، 1961 ، ع 13 ، ص 92 .

ثوري هدفه التغيير و البناء ، يصبح الشاعر من لعبة ورقية إلى إنسان حي و فاعل و مسموع مع العوامل الإيجابية المؤازرة داخل مجتمعات معرفية وعلمية<sup>1</sup>.

وفي الأخير فالرفض عند شاعرتنا- بشرى البستاني - توجه فكري و قناعة عقائدية تمهد لثورة معرفية لا ترضخ للواقع المهش ولتراجع اللغة العربية رمز العروبة والإسلام.

---

<sup>1</sup> مقابلة مع الشاعرة بشرى البستاني في كلية الآداب ، جامعة الموصل في 20/06/2007م .

أولاً : بداية الشعر الحديث في العراق :

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى طرأت على الحياة العامة في العراق ما يدفعها ويدعوها إلى التغيير وقد تغير معها حال الشعر ، فظهرت جماعة من الشعراء يمكن أن يكونوا نقطة تحول في الشعر العربي بين عهدين ، وقد حملوا بأمانة عبء هذه الدعوة التي اتسمت بعدم التقليد الأعمى لشعر العصور المظلمة ، وإن لم يرفضوا أساليبه رفضاً مطلقاً وإنما جعلوا مدار شعرهم الأعم والأغلب منه حياة الناس ومشاكل المجتمع ، بعد أن كان قاصراً على حياة الخاصة من الناس.

بدأت محاولة التجديد بصفة حقيقية ، بعد الحرب العالمية الثانية والتي استهدفت القوالب القديمة من حيث الشكل و المضمون " وسار شعر الثورة متمرداً و انقلابياً ... لقد تغير كل شيء ، وصار من الضروري أن يكون الشعر شعراً حقيقياً"<sup>1</sup> ، ولم تكن بالمسألة الجديدة ، فقد ظهرت بوادرها من حيث المضمون في أقوال الشعراء الجاهلين من أمثال عنتر بن شداد لقوله :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ	أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ .
يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي	وَعِمِّي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَإِسْلَمِي .
فَوَقَّفْتُ فِيهَا نَافَتِي وَكَأَنَّهَا	فَدَنْ لَأَقْضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ .
وَتَحِلُّ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا	بِالْحُزْنِ فَالْصَّمَانِ فَالْمُتَثَلِّمِ <sup>2</sup>

<sup>1</sup> رمضان الصباغ ، "في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية" ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ، 2002 ، ط 1

<sup>2</sup> أبو عبد الله الحسين الزوزني ، "شرح المعلقات السبع" ، دار صادر بيروت ، د ت ، د ط ، ص 137 - 138

ثم جاء العصر العباسي وابتدع دعاة التجديد أوزان الدوبيت و السلسلة و المخمّس والمربع والمزدوج ثم الموشحات في الأندلس ، إذ يقول في الموشح عبد الملك بن زهر<sup>1</sup> :

شباك مسك الليل كافور الصباح

ووشت بالروض أعراف الرياح

فاسقنيها قبل نور الفلق

وغناء الورق بين الورق

كاحمرار الشمس عند الشفق

نسج المزج عليها حين لاخ

فلك اللهو و شمس الاصطباح

وغزال سامني بالملق

ويبرى جسمي وأدكى حرقى

أهيف مدسل سيف الحدق

قصرت عنه مشاهير الصفاح

وانثنت بالذعر أغصان الرماح<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أبو مروان عبد الملك بن زهر بن عبد الملك الاشبيلى ولد سنة 465هـ في مدينة اشبيلية في الأندلس ولقب ابن زهر وهو كنية اسرة من العلماء المسلمين الذين نشؤوا في الأندلس في القرن الثالث عشر و أشهرهم "عبد الملك بن زهر" الذي كان طبيبا ، وعرف باسم "أبو مروان". وقد توفي سنة 557هـ - 1162م في اشبيلية ، من مؤلفاته : "مقالة في علل الكلى" ، "التيسير في المداواة والتدريب". ينظر : ابن أبي إصبعية ، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، ألمانيا ، 1995، دط ، ص465.

<sup>2</sup> عبد العزيز عتيق ، "الأدب العربي في الأندلسي" ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط1، 1976 ، ص388

وكل هذه المحاولات للتجديد لم تخرج على الإطار القديم للشعر وعلى أوزانه المعهودة حتى العصر الحديث و المعاصر ، لما شملته الحياة من ثروات مختلفة مست كل المظاهر والجوانب فيها. والشاعر العربي في سعي دائم للبحث عن البديل الذي يعبر عما يختلج في نفسه ، وما دفعه لذلك أنه وجد نفسه أسير أمور يجدر به أن يغيرها إذا أراد لنفسه و لفنه أن يأخذ مكانة بين حركة التطور العالمي ، فقد كان مدعوًا إلى النظر في جملة من القضايا الفنية التي فرضت على الشعر وقيدته على مواكبة روح العصر ، وما ساعده على السير في هذا الموكب هو احتكاكه الكبير بالآداب العالمية و تأثيره بمذاهبه الفنية .

لقد مهّد الكثير لهذه الظاهرة الجديدة من سوريا و لبنان -قبل الشعراء العراقيون - من أمثال إيليا أبو ماضي ، وفوزي المعلوف ، وجبران خليل جبران و غيرهم ، فعمل هؤلاء الشعراء على البحث عن أشكال جديدة قادرة على استيعاب طاقاتهم و قدراتهم الشعرية ، لأن الشعر القديم في أغلبه لم يكن ينبع من تجارب الشاعر و حياته وما كان يحيط به. فابتدعوا هذا النمط الذي سمي فيما بعد بالشعر الحر، والذي لا يلتزم بعدد معين من التفعيلات في البيت الواحد ولا بالقافية الواحدة.

إنّ الشعر الحرّ حسب نازك الملائكة " ظاهرة عروضية قبل كل شيء ، ذلك أنه يتناول الشكل الموسيقي للقصيدة ويتعلق بعدد التفعيلات في الشطر ، ويعنى بترتيب الأشرطة و القوافي ، وأسلوب استعمال التدوير والزحاف والوتد وغير ذلك مما هو قضايا عروضية بحتة"<sup>1</sup> ويتصف الشعر الحر بثلاث مزايا رأت فيها أنها "المزايا المخادعة" و هي :

أولاً : الحرية البراقة التي تمنحها الأوزان الحرة للشاعرة<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> نازك الملائكة ، "قضايا الشعر المعاصر" ، دار الآداب ، بيروت ، د ط ، 1962 ، ص51

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص26 .

ثانيا : الموسيقية التي تمتلكها الأوزان الحرة .

ثالثا : التدفق ، وهي ميزة معقدة تفوق الميزتين السابقتين في التعقيد ، وينشأ التدفق عن وحدة التفعيلة في أغلب الأوزان الحرة ، فإنما يعتمد الشعر الحر على تكرار تفعيلة ما مرات يختلف عددها من شطر إلى شطر<sup>1</sup> .

ويعد ظهوره شهادة مؤكدة لحيويته وقدرته على التفاعل مع الواقع المثير والغارق إلى أذنيه، في عراق حضاري ونضال ضد الاستعمار وطموح حقيقي لتقدم اجتماعي وسياسي ، وهذا اللون الذي فرضته الحياة الجديدة على الشاعر يعد " فعل إيجابي يغير الحياة ، ويساعد على تطورها ونموها إنه خلق وتأسيس باللغة والرؤيا ، وتحويل العالم إلى شعر " <sup>2</sup> ، كما أنه " ليس صحيفة تاريخية تعتمد على الأدلة و البراهين ، وإنما هو صدى المشاعر والأحاسيس " <sup>3</sup> ، وفي هذا المقام سأل الرسول الكريم \_ صلى الله عليه وسلم \_ عبد الله بن رواحه فقال : " أخبرني ما الشعر يا عبد الله ؟ قال : شَيْءٌ يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِي فَيَنْطِقُ بِهِ لِسَانِي " <sup>4</sup>

ولم يكن هذا اللون الشعري الذي انتشر بسرعة مذهلة لأسباب كثيرة بعضها زائف وبعضها حقيقي، كما لم يكن إدانة للشعر العربي القديم بل كان ثمرة لخصوبة اللغة العربية ، وتعبيرا عن الأصالة العبقريّة الشعريّة ، وهو ليس بدعة - الشعر الحر - يفضي إلى الضلال كما يصير المحافظون وما زالوا يصرون على ذلك آملين أن يسقط من حساب التطور - ثلاثين عاما الأخيرة - التي شهدت ميلاد ازدهار هذه الحركة الشعرية العميقة التي بلغت من القوة حد التجاوز<sup>5</sup>

<sup>1</sup> نازك الملائكة ، "قضايا الشعر المعاصر" ، ص 27 .

<sup>2</sup> رمضان الصباغ ، المرجع السابق ، ص 56 .

<sup>3</sup> نور الدين الصبار ، المرجع السابق ، ص 25 .

<sup>4</sup> مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ( ت 261هـ ) ، صحيح مسلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 3 ، ص 1430-1431 .

<sup>5</sup> ينظر: محمد إبراهيم أبو سنة ، "دراسات في الشعر العربي المعاصر"، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت ، ص 74.



ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول إنّ الشعر العراقي شهد وثبة البارودي و الرصافي اللذان أعادا إلى الشعر نضارته وفتح في الذاكرة الشعرية العربية طريقا واسعا إلى عصوره الذهبية فتدفقت منه جزالة المتنبي وسهولة البحتري وصور ابن الرومي ، وصفاء الشريف الرضي ، وكل هذا مهد لبناء الصرح العظيم الذي وضعت أسسه نازك الملائكة ، وصلاح عبد الصبور، ورفع جدرانها السياب و البياتي وعملوا على الرقي به من حيث اللغة والموسيقى والصورة الشعرية بالرغم من تحرره من الوزن والقافية .

وشاعرتنا قد نهلت من كل هذا الفيض الغامر وملاّت جعبتها بشتى المعاني والصور ، وقدمت لنا فيض من غيض ، الذي ميزها عن غيرها من الشاعرات والأديبات العربيات شعرا ونقدا، جسدت فيه صورا واضحة للرفض الذي هو محور بحثنا .

### ثانيا : التجديد في الشعر :

انعكس التغيير الشامل في مفاهيم الأدب العربي على الشعر انعكاسا ايجابيا تغيرت مفاهيمه ،وانفتحت آفاقه في الحياة المعاصرة، فحدثت ثورة جذرية في مجال هذا الأخير مست فلسفته الجمالية تختلف جوهريا عن فلسفة الشعر القديم، هي فلسفة صادرة عن عصارة تجارب الشاعر المعاصر وطبيعة عمله الفني وارتباطه بقضايا عصره، "فرض هذا التغيير في مضمون الشعر العربي المعاصر تغييرا في أطره الشكلية وأسسها الفنية التعبيرية ، فغدا مختلفا تمام الاختلاف عن الشعر العربي المعروف حتى منتصف القرن العشرين" <sup>1</sup> .

<sup>1</sup> أحمد أبو حاقّة ، الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1979 ، ص371 .

1- اللغة الشعرية :

اللغة هي الركن المهم والأول في كل عمل فني تؤخذ فيه الكلمة أداة للتعبير ، وبدونها لا تنهض قصيدة ذات رؤيا مؤثرة . كما تعد أعظم عنصر في بناء القصيدة في الآداب الإنسانية جميعها وبها تتجلى عبقرية الشاعر أو الأديب بصفة عامة .

فالشعر في جوهره رحلة في أعماق اللغة ، لذا فاللغة " كنز الشاعر وثروته ، وهي جنيته الملهمة في يدها مصدر شاعريته ووحيه ، فكلما ازدادت صلته بها وتحسسه لها كشفت عن أسرارها المذهلة ، وفتحت له كنوزها الدفينة " <sup>1</sup>

كما أبدع الإمام المرزوقي في حديثه عن اللغة في الشعر إذ قال : " وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال ، فما سلم مما يهجنه عند العرض فهو المختار المستقيم، وهذا في مفرداته وجعله مرعى لأن اللفظ تستكرم بانفرادها فإذا ضمها مالا يوافقها عادات الجملة هجينا " <sup>2</sup> ، وهذا التعريف يحدد لغة الشعر ويقرّ بأنها لغة مختارة ، تستوجب الدقة في إنتقاء المفردات وتراكيب الجمل بحيث تكون رائعة السبك فائقة الدباجة سليمة نقية .

تختلف اللغة من شاعر إلى آخر باختلاف البيئات والعصور المواهب والثقافات عند الشاعر، وبما أن التغيير الذي مس الشعر كان جذريا وثوريا وجوهريا اقتضى أن تتميز لغة الشعر المعاصر عن القديم ، لأن اللغة تتطور بتطور الحياة ، فهي المرآة التي يعكس فيها الشاعر مظاهر العصر وقيمه وسميات الوجه الحضاري الذي تحياه الأمة ، فمن خلالها نتعرف على هموم الناس ومشاكلهم الاجتماعيّة وقضايهم المختلفة ، وإذا كانت اللغة أهم عناصر الشعر ، فإنه يتطلب من الشاعر أن يسلك فيها مسلكا خاصا

<sup>1</sup> نازك الملائكة ، مقال : "الشاعر و اللغة"، مجلة الآداب البيروتية ، ع10 ، أكتوبر 1971 ، ص 43 .

<sup>2</sup> أبو علي أحمد بن محمد بن حسن المرزوقي ، "شرح ديوان الحماسة" ، تح : أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، 1999 ، ص 09 .

ليستطيع بها أن يؤدي المعاني بطريقة تختلف عن ماعدا الشعر من فنون القول ، " فإن عبقرية الآداء الشعري تنبع من قدرة الشاعر على هتك أستار اللغة وتفتيق أكامها ليستخرج ما بها من طاقات غنية كامنة في خلاياها ، وعلى قدر امتلاكه للحس اللغوي الشفاف ، واستثماره في الكشف عن العناق الأبدى بين اللغة والحياة فإنه يمنحها من الشخصية والكيان ما يجعلها قادرة على الاستثارة و التحريك ، وهو أروع هدف وأسمى غاية للشعر " <sup>1</sup> .

وها هي شاعرنا بشرى ، تستخدم لغة خاصة بها متفرد عن ما سواها من الشعراء ، فالكلمة لدى الشاعرة لها معنى و مدلول تعبر بها عما يجيش في نفسها مصطنعة لغة شاركت بتوليف في الموروث الأدبي الانتقالي - من الشطر والعجز إلى السطر - تقول :

لغة للرصاص

وأخرى لطعم الهزيمة

لغة لعيون العراق الرحيمة

لغة لصبايا الهوى المستلب

لغة لجراح العرب ...

فأفق يا نخيل الشام ،

وأشعل جذور الغضب <sup>2</sup>

فاللغة عند شاعرنا أشبه بـ " مسكن الوجود " <sup>3</sup> كما يرى هيدغر ، لأن سعة التعبير عندها نتاج معرفي رافق التحولات الستينية الأدبية التي بدأت تعالج رسم ثورتها الإبداعية التي استقتها

<sup>1</sup> ينظر : عدنان حسين قاسم ، " لغة الشعر العربي أصالة التراث في مواجهة التهجين " ، الكتاب والتوزيع والإعلام والمطابع ، ط1 ، 1981 ، ص7 .

<sup>2</sup> بشرى البستاني ، " أقبل كفّ العراق " ، " لغة وأخرى " ، " الأعمال الكاملة " ، وزارة الثقافة ، بغداد ، د ط ، 1988 ص443 .

<sup>3</sup> Heidegger latter sure l' humanisme , race question 3 et 4 galliard 1996 , p 67

الشاعرة من فنية ما تفرزه الأحداث من تحولات إلى أمكنة صوتية تفاعلية المفتوحة على القياسات التعبيرية ، والمحاكاة الصوتية التي تعلق معنى بمعنى ، وهذا واضح في قصيدتها " جروح الأرض " التي تمتهن فيها اللفظ كعرف في تقول :

حول مائدة الحب كنا غريبين .

ما بيننا قهوة مرة .

وعذول ..

يحدق كل بصاحبه .

أهو هذا ؟

أصابع باردة .

ليلة شاحبة .

والرياح تجيء بناي غريق <sup>1</sup> .

أعطت الشاعرة في هذا المقطع للكلمات معنا آخر غير المعنى العادي المفهوم والشائع ، " فالقهوة المرة " الصفة التي شكلت الفاصل النوعي بين المتمني ورفيقه ، ولو أن الشاعرة لم تقل "وعذول " وقالت " وزمن " لكان السياق أبلغ وأدق فصاحة ، لأن المقصود هنا الإرسال الداخلي المعالج للظاهرة في صحة الاختلاف لا في تكراره ، " وبيان شرط الدليل على المستدل لا على المعترض " <sup>2</sup> كما عبر عن هذا الآمدي <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "الأعمال الكاملة" ، ص 177 وما بعدها .

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، تح: محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، ط2008، 1، ص71، وينظر: محمد عباس، "الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني"، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1420، 1/هـ1999م، ص21.

<sup>3</sup> الآمدي : هو الحسن بن بشير بن يحيى الآمدي ، ت ( 370 – 980 ) ، أديب وشاعر ، أصله من آمد (ديار بكر) ، نشأ وتوفي بالبصرة قال فيه ياقوت الحموي : " كان حسن الفهم ، جيد الدراية و الرواية ، سريع الإدراك " ، أثاره : "المختلف و المؤتلف" ، الموازنة بين البحري وأبي تمام" ، "الخاص والمشارك في معاني الشعر" ، ينظر: ياقوت الحموي ، "معجم الأديباء" ، ص : 847.

والقهوة المرة شاركت الانزياح الدلالي إلى مرارة الحياة في معناها الحقيقي المتعارف عليه ، وأصبحت مفتوحة على معان متعددة . ولفظة ( العذول ) تحمل دلالة الصمت الحزين ، فالشاعرة من خلال هذه الكلمة تطلب الإجمال في المشاعر ، أما الأصابع الباردة فإنها تشير هنا إلى العواطف الشاحبة - الباردة - التي لا تجد حرارة تشحنها . إذن كل هذه المعاني موغلة في بلاغتها .

نسجت في هذا المقطع الشعري مفاضلة بين علم وفن ، يكون تثبيت الطاقة الإيجابية فيها ووقوعها في منطقة الخلق التكويني ، والذي متعنا الجرجاني فيه بقوله : " فإن قلت : أفليس هو الكلام قد أطرده على الصواب وسلم من العيب ؟ ، أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة ؟ قيل : أمّا والصواب كما ترى فلا ، لأننا لسنا في ذكر تقويم اللسان والتحرز من اللحن وزينغ الإعراب فنعتد بمثل هذا الصواب ، وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر بالفضائل تعرف منازلها" <sup>1</sup> . وفي هذا الصدد يضيف ابن المقفع : "إن استطعت أن تكون إلى أن تفعل مالا تقول أقرب منك أن تقول مالا تفعل فعلت" <sup>2</sup> .

استطاعت الشاعرة إذن أن توجد لنفسها لغة خاصة تميزها عن غيرها ، واللغة عندها ألفاظ ومعان وهذه الألفاظ في شكلها رموز ، والرمز بطبيعة الحال يجرك إلى الغموض الذي أصبحا سمتين بارزتين وعاملين أساسيين لظاهرة الرفض في شعرها .

### الرمز:

للرمز في تاريخ الفكر دور هام ، فما نشاط من النشاطات إلا والرمز لبه وصميمه ، أكان نشاطا دينيا أو فنيا أو علميا أو اجتماعيا ... حتى قيل إن العالم كله يتحدث من خلال الرمز ، وتعدّ قضية الرمز في الشعر إحدى الإنجازات المهمة في القصيدة الحديثة عموما ، وبلغ مكانة مرموقة إلى حد

<sup>1</sup> إبراهيم شمس الدين ، "الموازنة بين البحثي وأبي تمام للآمدي" ، دار الكتب العلمية ، 2006 ، ط 1 ، ص 304.

<sup>2</sup> ابن المقفع عبد الله ، "كليلة ودمنة" ، ضبطه : حبيب يوسف مغنية ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط الأخيرة

قول الشاعر : "إن الرمز والأسطورة والقناع هي أقانين القصيدة الحديثة ، وبدونهم تجوع وتعري وتتحول إلى مشروع أو هيكل عظمي لجثة ميتة"<sup>1</sup>. وهو من الوسائل الفنية المهمة في الشعر منذ القدم ، إذن فالرمز عند العرب يوافق إلى حد بعيد ما جاء معناه في القرآن<sup>2</sup> ، إلا أنه في القصيدة الحديثة تجاوز ذلك عبر جملة من التحولات ، أسهمت في إغناء دلالاته .

ويرتبط الرمز بالدلالة ارتباطاً وثيقاً "ولعله الوسيلة الناجحة إلى تحقيق الغايات الفنية الجمالية ، وإلى إدراك مالا يمكن إدراكه ولا التعبير عنه بغيره ، ولا سيما إذا اتحد مع وسائل أخرى في السياق ، لأن الرمز ابن السياق وهو سمة النص"<sup>3</sup> ، وفي موضع آخر يرى أنّ "الإيحاء ، أي التعبير غير مباشر عن النواحي النفسية المستترة ... والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح"<sup>4</sup> ، والرمز يدخل القارئ في عوالم لا حدود لها ، ويدفعه إلى الغوص في مضمون النص ، رغم اعتماده على الحدس والإسقاط<sup>5</sup> .

ونحن في مجال دراسة الرفض في شعر البستاني ، وبعد استقراءنا المفصل لمجامعها الشعرية تبين لنا أن الرمز عندها رمز رافض و متمرد توزع على محاور دينية ووطنية وقومية وذاتية ... وقد وظفته بأساليب متباينة تناوبت بين الكلي والجزئي والقناع .

كما حاولت الشاعرة خلق اتساع داخل اللغة الثائرة والرافضة - الظلم بأنواعه - عبر توليد دلالي لمعجمها الشعري إذ أوجدت سياقات خاصة وبيئات دلالية نسجتها بخيوط خيالها ، ومنبع

<sup>1</sup> يعني يخلف ، مقابلة مع الشاعر عبد الوهاب البياتي ، مجلة الجامعة ، ع4 ، 1977 ، ص21 .

<sup>2</sup> قال تعالى : " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ " آل عمران 41 .

<sup>3</sup> ينظر : مصطفى ناصف اليازجي ، "الصورة الأدبية" ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1983 ، ص154 \_ 155

<sup>4</sup> غنيمي هلال ، "الأدب المقارن" ، دار العودة ، بيروت ، 1983 ، ص398 .

<sup>5</sup> أ د : ناصر لوحيشي ، "الرمز في الشعر العربي" ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2011 ، ص11 .

ثقافتها التراثية ، وحسها المرهف ومكابدات ذاتها ، وكذلك تقدم لنا من خلال شعرها مختلف  
الثنائيات والعلاقة الرابطة بينهم أي العلاقة بين الشاعرة والإرث العربي ، الشاعرة والإنسان ،  
الشاعرة والقارئ، القارئ والقصيدة ...

من بابل تتصاعد الألواح .

نحو قيامة الموت المجيد .

من بابل ترقى الحجارة .

نحو تاج الأفق .

عبر سواعد النخل العتيد .

من بابل بدأ الخليل ،

وخط في سفر الحقائق :

فاعلن ، متفاعلن .

ورمى الرقائق ،

والحرائق .

والرقى ... ،

فليبدأ العزف العظيم .

هذا الظلال نشيدنا نحو الهدى .

هذا الظلال المستحيل<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "مكابدات الشجر ، قصيدة بابل" ، وزارة الإعلام دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط2003، 1،

تبدأ القصيدة ، بحضارة العراق القادمة من أعرق الحضارات ، حضارة وادي الرافدين -بابل العراق-<sup>1</sup> ، إذن فبابل هنا رمز جوهرى وحضارى يمثل البؤرة الدلالية التي تنطلق منها القصيدة ، والمقصود ب(بابل) هنا العراق بصورة خاصة والأمة العربية عامة تلك الحضارات التي تتسم بالتجديد والاستمرارية والتصاعد من خلال الفعل المضارع (تتصاعد) الدال على الاستمرارية في الفعل .

تؤكد الشاعرة على رمزية التواصل والخلود من جهة وعلى حوارية إنسان الأرض مع السماء باستلام الرسالة وتبليغها عن طريق تصاعد الألواح التي ترمز للرسالة من جهة ، ولفعل الكتابة التي اكتشفها العراقيون فنجد قوله تعالى: " وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ"<sup>2</sup> كما تحضر عملية المفارقة في نوعية الموت ، فاعتبر الموت عندها مجيدا . فكيف يكون الموت مجيدا وهو موت ؟ ، ثمه فارق بين الموت العادي والموت المجيد ، هذا الموت الذي يسمو إلى أعلى مقامات الانبعاث الحضاري ...<sup>3</sup> تؤكد البستاني هنا على رمزية هذا الموت ورمزية أبعاده بتكرار لفظة بابل إن تكرار لفظة بابل في القصيدة لها دلالات فنية وجمالية أضفت على النص دلالات مصاحبة ، ما أمكن للنص أن يعبر عنها إلا بهذه الكيفية من التكرار، وحضور

<sup>1</sup> بابل العراق: (Babil باب أبلبي) ومعناه باب الإله (Ka\_Dinger\_Ra) هي من أشهر مدن الدنيا القديمة وأكبرها مساحة ، وورد ذكرها في الكتب القديمة و القرآن الكريم قال تعالى : " يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت و ما يعلمان من أحد ... " البقرة\_102 \_ وتحدث عن عظمتها كتاب الكلاسيكيون أمثال هيردوتس HIRDOTESS وسميت البلاد باسمها ، وعدت أسوارها وجنائها المعلقة من عجائب الدنيا السبع. و تؤكد التقنيات التي أجراها الألمان أن هذه المدينة بلغ محيطها ثمانية عشرة كيلو متر مربع ومساحتها مئتين و خمسون كيلو متر مربع ، وتعد بوابة عشتار وشارع الموكب من أهم الأبنية المكتشفة . وذكرت النصوص المسمارية أن فيها أكثر من ألف معبد كبير وصغير وبلغ عدد المعابد المخصصة لعبادة الآلهة مئة وثلاثة و خمسون معبد. ينظر: الحسين طاهر، "حضارة بلاد الرافدين العراق في التاريخ" ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1983 ، ص 147

<sup>2</sup> سورة الأعراف ، الآية 145

<sup>3</sup> ينظر: عاطف نصر جودة ، "الرمز الشعري عند الصوفية" ، دار الأندلس بيروت ، ط1، 1978 ، م6 ، ص18



المكان كعنوان في القصيدة مرتبط بحضور المعرفة ، واستحضار شخصية الخليل بن أحمد الفراهيدي رمزا لكل المعارف و العلوم.

والتداخل الخاص في الإيقاع له أثره الخاص بالتنغيم التي وظفتها الشاعرة (فاعلمن) تعني هنا، الفاعل في الحضارة الإنسانية المؤثر فيها، أما حضور التنغيم (متفاعلمن) ذلك الطرف الغير منغلق وإنما منفتح في حوار دائم مع الإنسان و الحضارات الأخرى ، من خلال الفعل الماضي (رمى)الذي يدل على تحقيق الفعل في حركته وعدم جموده المرتبط أساسا باسم الإشارة (هذا) ، لتعيد تكرار لفظة (بابل) إصرارا من شاعرتنا على بعث إشعاع لحضارتها العريقة.

تحرص الشاعرة إذن على استثمار الرمز الحضاري و مكوناته الدلالية ، مما يضفي على نصها الشعري رمزا جماليا و حسا وطنيا كبيرين .

وفي قصيدتها " الحمامة " تعود للرمز من جديد بوصفه سمة بارزة في شعرها ، ويبدو اختيارها للكلمات صعبا بين الجفاء والرواء بين اللظى و الندى وبين الحب و الحجر ، ليتدفق عطاؤها الشعري وتفصح عن انتمائها وحبها لكيانها ومركز وجودها ثم تظهر حالة الغربة التي تعيشها داخل وطنها و حبيبها العراق .

إنني الآن ما بين نارين

بين اللظى و الندى

وما بين حبي و هجرك نهر و صيرة<sup>1</sup>

ثم تذكر شاعرتنا في القصيدة نفسها ما يمر بالمنطقة العربية من معاناة وإذلال للإنسان العربي ، وخاصة في هاته المرحلة العصبية التي تمر بها الأمة مشيرة إلى أهم الأماكن التي تجري فيها الأحداث الجسام :

<sup>1</sup> بشري البستاني ، "زهر الحدائق" ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 1984 ، ص 476 .

من جحيم المحيط لنار الخليج ،

من قبة القدس حتى قبور أمية ،

بيروت تنشر وجهي على حافة الجرف ،

تنشر موال حبي على كتف دبابة غازية ،

و بيروت تستلب البحر زرقته

و تنام عل الشط مذبوحة عارية

ووسط العواذل ،

وسط التحام العيون تناديك ،

خذها من الوجع القاتل ،

الوجع الدافئ ،

الوجع المر.....<sup>1</sup>

عبرت البستاني عن حبها للوطن و الأرض و الحبيب وهنا يتداخل عندها العام بالخاص بشكل لا يخفى عن القارئ المتبع لشعرها ، فيلمح في الخاص الحب ممزوجا بالمعاناة و الألم و الرهبة و الأمل ، وفي العام يتعلق بالوطن والأرض ، وهذا الأسلوب عندها يعود إلى خصوصية البيئة وكونها امرأة .

ولو بحثنا عن العلاقة بين الرمز واللغة الشعرية عندها لوجدنا إشراقة الفكرة التي تظهر في قدرة شاعرتنا على توصيل المشاعر مستندة إلى حضور لغوي عميق ووعي في استحضار المفردة المعبرة

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "زهر الحدائق" ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 1984 ، ص 476 .

المشعة المشبعة بالإيحاء ، والتي تتمتع غوص عميق بالتراث والمعاصرة أي إنها شديدة الصلة بالتراث العربي وثقافته ، فضلا عن ثقافة عصرية واعية مستترة وراء تلك اللغة الشعرية .

يلاحظ القارئ المتمعن في شعر البستاني ، أنّها قد استخدمت الرمز بشكل مكثف خلافا لما نراه عند الشعراء الآخرين لاسيما شعراء جيلها ممن قطع أشواطاً في تجربة الشعر الجديد ، كما يتبادر إلى ذهن القارئ إشكالية أساسية وهي ما الغرض الأساسي الذي من أجله وظفت الرمز بكثرة؟ هو الشعر عند شاعرنا يطفح بالرقّة والعنفوان وهي تتحدث عن الحرب والشهادة والحزن والألم (شعر الأحاسيس والعواطف) . وضمن مجموعتها " البحر يصطاد الضفاف " تظهر الطبيعة ظهوراً بارزاً وواضحاً بجبالها وبحارها وأشجارها وقمرها ولياليها

تقول : أرقص طول الليلة

وحدي ...

أنزف ...

تطلع في دمي الأشجار

وتدور معي ...

تتدلى ثمرا مرا ..

تنزف ...

في آخرة الليل ،

ندوخ معا

ونولي الأدبار .<sup>1</sup>

<sup>1</sup> البستاني ، "البحر يصطاد الضفاف" ، "قصيدة دوار" ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط2000، 1 ، ص394

تبدو معالم الوحدة المعتمدة واضحة جدا في نصها بصورة رمزية يجسدها تكرار الفعل المضارع الذي يوحي باستمرارية مأساة الوحدة والضياع ويأتي "الثمر ، المر ، النذف " في القصيدة معبرين بوضوح عن المكنونات الإنسانية وضياع العمر بمكابدات شتى في ظل حروب متلاحقة توشك أن تفني الناس جوعا ومرضاً وقهراً ، بنت الشاعرة المقطع على دراما حادة تتحرك في فضاء حصار وحرب فتقاوم حزنها وعذاب وطنها بالرقص الذي لا يشع فرحا كالمعتاد إذ يصاحب بالنزف والوجع لأنه رقص العزلة والاغتراب ، ومن النذف تطلع الأشجار رمزا طبيعيا لكن المفارقة تكمن في أن هذه الأشجار تثمر ثمرا مرا بدل الحلم والأمل ، فالمقطع ينهض على مفارقتين رمزيتين الأولى أن الرقص يؤول إلى نذف وليس إلى فرح والثانية أن الأشجار التي سقيت بالدم تنتج قمة المعانات الإنسانية .

أحسنت البستاني استخدام الرمز في شعرها الذي أضفى عليه رونقا وإيقاعا جميلا استطاعت به أن تعبر عن كل ما يختلج في صدرها من مكابدات ومعاناة وتحسر وأسى لما يحدث .

### الغموض :

يتميز الشعر المعاصر بالغموض ، وهي قضية قديمة في الأدب والشعر وأصبح سمة بارزة عند معظم الشعراء ولكن بشرط ألا يتجهوا به إلى درجة الإبهام والإغلاق ، والسؤال الذي يلح بشدة في هذا المقام : ماذا يضيف الغموض إلى الشعر ؟ الصدق والإخلاص في تصوير الإنسان المعاصر وإبراز حسه المرهف بوطأة تلك الأوضاع .

أصبح الغموض لدى الشاعر العربي المعاصر المنفذ الوحيد ، يلجأ إليه ليظهر ألمه ومعاناته مع الهرب من تسلط الحكام والساسة ، كما يحاول أن يعترض كل إمكاناته التعبيرية ويستثمر عطاءها ليتجاوز حدود مناطقها الشعورية وأبعادها الخفية .

كما أن كلورودج نظر إلى الغموض من جهة القلب ، مازال القلب في حاجة إلى لغة ومازالت الغريزة العريقة تعيد الألفاظ العريقة<sup>1</sup> في إطار هذه الفكرة أن الشعر الجديد أصبح يتعامل مع اللغة تعاملًا خاصًا وجديدًا كما يتعامل مع ظواهر الحياة بنفس المنهج ، ولو حللنا هذا المنهج لارتد بنا إلى الوظيفة الحيوية التي حققتها اللغة وحققتها الشعر في بدايته ... ، وصار الشعراء المعاصرون على وعي كاف بتلك الوظيفة ، وأدركوا أن الكشف عن لغة جديدة ما هو إلا تشكيلا جديدا يتناسب وواقع الحياة .

وشاعرتنا مثل غيرها من الشاعرات اللواتي أصبحت لغة شعرهن تتماشى وما يحمله العصر من هموم ، وشكل الغموض منعرجا حاسما فجسد متعدد ومتنوع ، يختلف من قصيدة إلى أخرى طبيعة وغاية والقارئ المتمعن لقصائدها يسجل غموضا خاصا يلف القصائد الطويلة التي توظف فيها أساليب الحوار والتضمين فتقول في قصيدتها " موسيقى عراقية "

البحر يمتشق الزبد

والرياح تشعل في السواحل

وردها ...

والأفق يعرف مواعده

والجرح ربان الحريق

إلى السواحل

آه ، من ربان هذي المصيدة .

الجرح لا يعطي لواعجه

ولا يعطي زنايقه

ولا باع المناديل التي نزت

على شرف الأماسي المترعة

<sup>1</sup> كلورودج ،

والبحر تقطعه النميمة والهزيمة  
والشراك المغرصة  
والبحر تقطعه الليالي...  
والبحر...  
يالي من رجالي...  
ارتاديه مرة...  
أو يرتدني فيه ارقد مرة ،  
وينام شوكتاً في عيوني  
من أين يأتي البحر ، كيف يجيء  
يشعلني ضح  
ولظاه يغمرني دجى  
طوراً أصدقه وأطواراً يكذبني  
واهجره... في الخلجان ،  
قال البحر للأسماك:  
كوني ، لكنها رفضت<sup>1</sup>

تشكل مفردات النص الشعري - المقطع - بتجاوزها وارتباطها نقطة مضيئة تكشف عن تلك الخواطر المبهمة التي تحتلج صدرها وتؤرق ذاتها ، وتحاول الشاعرة إزاحتها وتكثيفها محاولة البحث عن اللامحدودية ، والتي تعطي للنص الغموض والعمق للخواطر والأحاسيس ، وهذا بدوره يؤدي إلى صعوبة تتبع الشاعرة في انفعالاتها في النص الواحد وتعقبها فيما تنتج انفعالاتها من صور متلاحقة ورؤى متناقضة غامضة من خلال تراكيبها غير المألوفة .

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، الأعمال الكاملة ، قصيدة : "موسيقى عراقية" ، ص 357\_359

استعملت شاعرنا الأفعال المضارعة لتوحي بسرمدية الأحداث المتتابعة والمتلاحقة لتؤكد ما يجري وطبيعتها ( تشعل ، يعرف ، تقطع ، ينام ، يجيء ، يغمر ... ) عند حصر كل هذه الأفعال في القصيدة ، نجد أنّها تحمل زمن الحاضر ، فتتنظر شاعرنا إلى فكرة الزمن على أنّها نفسية شعورية تحكمها الظروف وتطيلها أو تقصرها اللحظات النفسية التي تعيشها ، واختارت زمن المضارع لأنه يسد مسد الماضي والمستقبل ويمتد بينهما ، فالحدود الزمانية تتحطم ، فيختلط الماضي بالحاضر والمستقبل ، أو يتبادل كل منهما المواقع ، ومن زاوية أخرى نجد تصويرا استعاريا مع إهمال لوحة الشبه الحقيقي بين طرفي الاستعارة - المشبه والمشبه به - إذ تتجرد الصور الاستعارية من المادي لتتحول إلى المعنوي .

البحر يمشق<sup>1</sup> الزيد ، البحر لا يخطف وإنما يغرق كل من يتهاون به ، وقولها (و الجرح ربان الحريق) فهل للجرح سلطة على الناس أم أنّها كناية عن الغضب المتأصل في البشر .

استطاعت وبفضل مخيلتها الشعرية أن تجسد لنا في صورها دلالات مختلفة أغلبها جاءت تحمل دلالة الهموم وكثافتها ، كما استحضرت عدة استعارات غير مألوفة في صور شعرية مركبة :  
- والريح تشعل في السواحل ، البحر تقطعه الليالي ، قال البحر للأسماءك - كأنها تنعي البحر وما أصابه من انتهاكات لحرماته وحرمات العراق المدمر بالحروب طيلة عقد من الزمن.

أرادت البستاني أن نشاركها أحاسيسها ونعيش في أجوائها ، ونرحل معها في رحلة إلى الوجدان و عالم الضمير و المشاعر لنقف على حقيقتها ، وهذا ما يسمى اكتشاف أغوار القصيدة ، وكلما ابتعدت الأوامر التي تجمعنا بالشعر لنفهم أثره .. ازداد غموضا واستغلاقا على الفهم ، وتبقى مهمة القارئ قراءة ما وراء الكلمات وفكرة الشاعر ، أو صورته التي تمثلت له فجادات بها قريحته الشعرية أو رؤاه الإبداعية بهذا الشكل الغامض كما يقول راندل جاريل **Randal**

<sup>1</sup> يمشق : بمعنى يخطف ، وامتشق الشيء من يد غيره : اختلسه واختطفه ، ينظر: "معجم الوسيط" ، مجمع اللغة العربية ، باب : م ش ق ، فعل خماسي متعد بحرف ، مكتبة الشروق الدولية ، ط : 4 ، 1425 هـ / 2004 م ، ج3 ، ص520.

**djarile** : " إن أي إنسان قضى وقتنا طويلا في اكتشاف ما يصنع الناس عندما يقرؤون قصيدة من الشعر ، وماذا يعني الشعر عندهم في الواقع لابد أنه اكتشف أن جزءا مدهشا من الصعوبة التي يجدونها تأتي من عدم التجاوب المنتظم من نفورهم الشاذ للالتفات إلى مرجع الضمائر ، ومعاني الفواصل ، وأن فاعل كل فعل إلى غير ذلك ، ولكي تقرأ الشعر فإن من الصعب أن تقرأ الشعر على الإطلاق . فأنت عندما تبدأ في قراءة قصيدة فإنك داخل إلى بلد غريب..."<sup>1</sup>.

ونتبع قصائدها لنجد غموض آخر يطبع قصائدها الومضة ، ويتسم بالتركيز وسرعة الإثارة :

من ألقى النار على الأعشاب ...

هبت عاصفة ،

واحترق العناب ..<sup>2</sup>

وتقول :

من طرق الباب ...؟

في هذه الصحو الأخضر

أعطاني غصن الفل ... وغب !<sup>3</sup>

عمدت الشاعرة في هذه الأسطر إلى مدهمة المتلقي ومفاجئته بكسر توقعه ، من خلال قلب الدلالات والمعاني فتحدث عنده الدهشة والإعجاب والتساؤل المستمر ، الذي يعطي النص فاعلية أكثر لا تنتهي فالمقطعين يرفضان الضعف واليأس . وهما في بحث دائم عن الأمل الذي هو

<sup>1</sup> راندل جاريل ، "أزمة الشعر المعاصر" ، تر : ماهر حسن ، دار الوحدة العربية \_ بيروت ، 2001 ، ص 24-25

<sup>2</sup> بشرى البستاني ، "أقبل كف العراق" ، "قصيدة:عاصفة" ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 1988 ، ص 449

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، "قصيدة:حيرة" ، ص 448



حقيقة من خلال ( غصن الفل ) المملوء برائحة وعطر الاستقلال ، فاستطاعت الشاعرة في هذه الأسطر أن تخرج الشيء من نقيضه فالنار تدل على الدمار والخراب و العشب على الإعمار والنماء، والغموض الذي أكسب نصها الشعري مظهرا آخر ومنحه فاعلية التغيير ، وقراءته تتطلب حضورا واسعا للفكر والوجدان ، جعلت منه نافذة لتحلق في عالمها الراض الضعف البشري .

## 2- الإيقاع في شعر بشري البستاني

إن لكل الأشياء الموجودة في الكون إيقاعها الخاص بها تعبر من خلاله عن نفسها بتكرار إيقاعيتها ففي الطبيعة كما يقول جون ديوي john dewey نماذج من الإيقاعات التي لا حصر لها مثل تتابع الفصول و حركات المد و الجزر ، وتعاقب الليل و النهار، و الضوء و الظلام و الظل و الحرارة، و الإيقاع "ليس علاقة شكلية موسيقية في النص بل هو إيقاع يحمل معناه و قيمته، و يتواشج مع النص بطريقة لا تقبل الفصل لأنه علامة ذات إيقاع فيه"<sup>1</sup>.

وارتباط الشعر بالإيقاع كارتباط الروح بالجسد، فهو مقوم من مقوماته تقوم عليه القصيدة الحديثة إلى جانب الوزن ، و فن مرتبط بالإنسان و نابع " من التراث الشعري كله و من البنية الإيقاعية الجوهرية للشعر ضمن الثقافة كلها ، و إن أي تغيير يطرأ على علاقة من علاقات البنية الإيقاعية يرتبط بمجموع العلاقات المكونة ضمن هذه البنية و ينبع من شروط تخص البنية الكلية لا العلاقة الجزئية ، هكذا نص الإيقاع الشعري جسدا واحدا ، أو بنية واحدة من العلاقات الأساسية " <sup>2</sup> فضلا عن أنّ الإيقاع في الشعر "يعني انتظام النص الشعري بجميع أجزائه في سياق كلي جامع يجعل منها نظاما محسوسا و مدركا ، ظاهرا أو خفيا ، يتصل بغيره

<sup>1</sup> عبد الكريم الناعم ، "في أقانين الشعر": سلسلة الدراسات الأدبية و اللغوية 5 ، دار الذاكرة ، مطابع دار العلم ، ط1، دمشق 1991 ، ص210- وهامشها 235 .

<sup>2</sup> كمال أبو ديب ، "جدلية الخفاء و التحلي دراسات بنوية في الشعر" ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1، 1979، ص101\_102.

من بنى النص الأساسية و الجزئية ويعبر عنها كما يتجلى فيها , و الانتظام يعنى كل علاقات التكرار والمزاوجة و المفارقة و التوازي و التداخل و التنسيق و التآلف و التجانس مما يعطي انطباعا بسيطرة قانون خاص على بنية النص العامة مكون من إحدى تلك العلاقات أو بعضها " 1 .

ظلت البنية الإيقاعية بؤرة الاستقطاب النوعي لجنس الشعر العربي على مر العصور , و تحولت إلى مكون جمالي و دلالي نشط في الشعرية المحدثة.<sup>2</sup> فالنظام الإيقاعي نص , بنائته الموسيقية<sup>3</sup> ذلك أنه " يضبط و ينظم جل العناصر التي يتألف منها النص و يوزعها في مقاطع , أو فواصل زمنية تتبع من توزيع عناصر الإيقاع , وهذا الترتيب الذي يعتمد على علاقات التسابع والتوالي يشكل الأسلوب , أو الأساليب التي تمتاز بها لغة النظم " 4 .

خلقت شاعرتنا - بشرى البستاني - إيقاعا خاصا بها منبثقا من تجربتها الشعورية النابعة من إحساس عميق بالحياة ونزوع نحو الحرية التي حاربت من أجلها بكل ما تملكه من طاقة , وكشفت عن معنى الفعل والوجود في الفن و الواقع معا ... وكثيرا ما كانت تتعذب وتقف عاجزة أمام القيود التي تحد من حريتها ومن التقاليد البالية , وغالبا ما تختار الشاعرة الليل زمنا للفعل على الرغم ما يرتبط به من خوف وغموض وشك ووهم , إلا أنه الفضاء الذي يجرها من ضوضاء النهار فتقول :

الزائر الغريب .

يطرق بابي كل يوم خائفا .

<sup>1</sup> علوي الهاشمي ، "جدلية السكون المتحرك ، مدخل إلى فلسفة بنية الإيقاع في الشعر العربي" ، مجلة البيان ، 1990، ع 290 ، ص 8 .

<sup>2</sup> ينظر ، صلاح فضل ، "أساليب الشعرية المعاصرة" ، دار الآداب ، بيروت ، ط1، 1995 ، ص15\_16

<sup>3</sup> ينظر ، عبد الكريم الناعم ، "في أقانين الشعر" ، ص236

<sup>4</sup> إبراهيم خليل ، "الأسلوبية ونظرية النص" ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1997 ، ص105

يطرق في منتصف الليل .

وفي الضحى

يسمع ما أقول :

لا أسمع ما يقول

أصيح من الباب ؟

لا يجيب ..

يطرق دونما كلل

وعندما أشرع شباكي له ..

يغيب ...

الطارق المريب

يطلبني في الليل

أرد ...

لا يجيب<sup>1</sup>

إن تكرار الصورة السمعية في النص " يطرق ، الطارق ، يسمع ، أسمع ، أصيح ، يجيب ، لا يجيب " يضيف إيقاعاً على النص ويؤكد إصرار الذات الشاعرة على التفاعل والتواصل مع الآخر وإثبات حرمتها التي عملت على قمعها عوامل التخلف والانحطاط .

<sup>1</sup> بشرى البستاني، "البحر يصطاد الضفاف [قصيدة:دوار]"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2000، ص1، ص401\_402.

فالنزوع إلى الحرية ظل هاجسها من خلال اقتصار كتابتها على التفعيلة و قصيدة النثر متحررة من نظام الشطرين على الرغم كونها تعشق الشعر القديم وتحفظ منه الكثير ، وشاعرتنا تملك حرية كبيرة في التعامل مع موسيقى الشعر بادية بقدرتها على اللعب بإيقاعاتها ...

إذا استعرضنا الدواوين الشعرية لشاعرنا ، فنجد تمكنها من استخدام الأوزان العروضية فاعتمدت معظم البحور الخليلية الصافية في أغلب الأحيان والمركبة أحيانا ، مما أبعد شعرها عن الجمود و الرتابة والعلل التي تحرك الإيقاع وتلونه ففي قصيدة ( الناقة ) نلاحظ تناسقا قرانيا يأتي بصفته منبها أسلوبيا يكسر التوقع ويشيع توترا في النص ، إذ إنّ الناقة تحولت من دلالتها المعروفة إلى دلالة جديدة، فالنص القرآني يقرر استحالة دخول الكافرين الجنة ، كاستحالة دخول الناقة سم الخياط<sup>1</sup>.

تمتلك الناقة في النص الشعري قدرة خارقة لم نجدها في مرجعياتها القديمة ، وقد تجسدت هذه القدرة من خلال استخدام المفارقة السيميائية التي طغت على النص :

داخلة في سم خياط

خارجة من سم خياط

طالعة في أولى

صفحات جرائدنا

تدهمنا في غرف النوم ،

وفي أدراج الكتب

وأدراج الأحزان

هذي الناقة ،

<sup>1</sup> سورة الأعراف ، الآية 4

من عصر ثمود للآن

تتلوى خلف موائدنا

ترغو في داخلنا

تغرينا

تغري سكاكين قبائلنا

بالذبح ..<sup>1</sup>

للإيقاع دور كبير في إضفاء الحركة في القصيدة ، من خلال الجوازات التي وجدناها في البحر الذي شكل القصيدة وهو ( المتدارك ) منذ بداية النص إلى نهايته ، وأكثر استخدام أسماء الفاعل بوصفها أخباراً متعددة للمبتدأ - الناقية - فرضت على النسق العروضي أن يكون واحداً ، ثم يحدث خرق في النظام الإيقاعي ليتلاءم لنا من الخرقين التركيبي والدلالي في : ( تدهمنا في غرف النوم ، وفي أدراج الكتب ) ، فسياق الأبيات تحركه الشاعرة وكأنه لعبة فتنقل من استخدام أسماء الفاعل أخباراً إلى استخدام جمل فعلية مضارعة لتحدث به خرقاً آخر في النص لنمو التجربة ووصولها إلى درجة عالية من التوتر فتنقل المشهد من حركة غير دموية إلى دموية ( تغري سكاكين قبائلنا بالذبح ) .

يغرينا ، تغري سكاكين قبائلنا باذبح

/ 0/0/ 0///0// /0/0// 0/0/ 0/0/0/

فالن فا لن فا علفا عل فا لن فاع

منح التدوير النص إمكانية إيقاعية وحقق له سرداً فنياً ، وأكد الوحدة العضوية فيه ونجح في إبراز توتر الذات الشاعرة وشعورها بالخطر إزاء المحن المحيطة بها وبوطنها وشعبها ، فضلاً عن أنه

<sup>1</sup> بشرى البستاني، "البحر يصطاد الضفاف [قصيدة:دوار]"، ص 398.

أضفى حركة على القصيدة ، وتنوعا لإيقاعها يتلاءم مع دلالتها وتركيبها ومع ما تشيعه هذه الناقاة من توتر وحركة وإزعاج وعنق في النص .

يشير طغيان حروف المد من العنوان -الناقاة - وعلى امتداد النص إلى استمرار فعل المحنة ، إذ أن الألف التي امتدت بها النون الممدودة في الناقاة تلتف حول أعناق الجميع وتقتلهم بأبشع طريقة هي (الذبح) ، بتسكين المفردة والتسكين موت ضد الحركة - الحياة - إذ أن الإطلاق الموجود منذ بنية العنوان وعلى مستوى النص مقيد بالسكون الموجود في ( خياط ، الأحران ، الآن ، الذبح )

وتلك محاولة أخرى نابعة من لاشعور الشاعرة في الحد من حركية وفاعلية الناقاة (المحنة) ، وتكرار أداة العطف الواو خلق موسيقى خاصة تلاءمت مع المعنى الذي أرادته الشاعرة ، فالصوت كما يرى (ألكسندر بوب Alexander pope) يجب: "أن يبدو صدى للمعنى"<sup>1</sup>.

ونجد الشاعرة في قصيدة ( قمر العراق )<sup>2</sup> ، توظف البحر الكامل في إعلان رغبتهم في ضم العراق من الشمال إلى الجنوب بكامله ، وكذلك تدعو من خلال هذا البحر إلى ضرورة تفعيل دور المرأة واستكمال حقوقها المهضومة :

ولولا أنني امرأة

لكنت الآن أغفو تحت آخر سرورة

بشمالك النائي ،

وآخر نخلة بجنوبك الغافي على فرش الخربير

فتقنية التدوير التي وردت كثيرا في قصائدها ذكرت بأهداف متنوعة ، فتارة من أجل اشتراك المرأة في الحياة وإبعادها عن التمزق الذي تدعو له القوى الإمبريالية :

<sup>1</sup> ترفبطان تودروف ، "الشعرية" ، تر : شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار تويقال للنشر ، المغرب ، ط1 ، 1987 ، ص40.

<sup>2</sup> بشرى البستاني ، " ما تركته الريح " ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د ط ، 2001 ، ص39 \_ 44

لكني اقتحمت الليل

عانقت الهلال

وقلت :

يوما ما ستصبح كاملا<sup>1</sup>

وتارة أخرى من أجل الكمال والاكتمال للوطن الذي لا يكون إلا بالتوحد مع الوطن العربي من الخليج إلى المحيط . وعدت هذه التقنية في شعرها رمزا لتماسك وانسياب السرد كما قد تكون دليلا للتمزق وذلك حينما يحيل تمزق التفعيلة على تمزق دلالي ونجد ظاهرة التدوير وردت بكثرة في قصائدها حتى غدت سمة أسلوبية تدل على التمزق داخل البيت الواحد ، مما يدل على حال الشاعرة مع عصرها و العكس كذلك أي ترابط البيت مع سابقه أو لاحقه ، فذكرت التدوير لربط الحاضر بالماضي المماثل والحاضر بالحاضر :

دمعة رفضت أن تسيل

/ 0 // 0 / 0 /// 0//0/

فاعلن فعلن فاعلن فاعلن فاعلن

فهبت حجارة أرض لفضي

0 // 0 / 0//0/0/ 0///

فاعل فعلن فاعل فاعل فاعل

ودرب يضيع إلى قدس

/0/ 0/ //0/ /0/0/

علن فاعلن فعلن فاعل

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، " ما تركته الريح " ، ص45

دجلة تنهض نخلا ، وحربا ،

0 / 0 // 0 / 0 / / / 0 // / 0

لن فعلن فعلن فاعلن فا

رذاذ الطبول

يسوح ...<sup>1</sup>

أبقت الشاعرة تفعيلة (القدس) ناقصة حتى أتت بما يكملها في (دجلة)، التدوير هنا جسد التكامل بين القدس ودجلة، يؤكد التمزق في التفعيلة صراع المتناقضات بين الحرب والنخل وغير ذلك من دلالات التدوير الواضحة في القصيدة وغيرها من القصائد (كقصيدة العراق)<sup>2</sup> التي انتقلت من تفعيلة إلى أخرى ومن بحر إلى آخر بانسيابية، انسجاما مع إيجاءاتها ودلالاتها المشحونة بالانفعال والتوتر، فهي لم تقسم القصيدة لكي تحتفظ بوحدة العراق من خلالها.

ففي بداية القصيدة اعتمدت شاعرتنا على البحر المتقارب، بتفعيلته الصحيحة و المقبوضة لتجسد واقعا ملموسا مليء بالصراعات والانفصال، ومعانات ذات الشاعرة، ثم تنتقل إلى البحر المتدارك - من فعولن إلى فاعلن - لتوضح به مدى قوة المواجه داخل نفسياتها، وفي نهاية القصيدة تعود إلى المتقارب لتنعطف من السلبي إلى الإيجابي حيث السلام والأمان:

أ هذا زمن الرجوع؟

إذن،

أنت تكتبيه،

<sup>1</sup> بشرى البستاني، "مكابدات الشجر"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2002، ص345

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 319\_332



وتهادن سرا يمزقنا ،

لا نوح به ...

ونسير إلى حيث تهوى المسير .

إلى حيث الريح الصبا غضة

والمناديل آمنة ...<sup>1</sup>

للأوزان في قصائدها أهمية كبيرة إذ تؤدي دورا بنائيا وداليا هاما ، أما القافية فقد اتفق النقاد على أنها شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، إلا أنهم اختلفوا في تحديدها . يرى الخليل " أنها آخر حرف في البيت إلى أول الساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن ، وهي تكون مرة بعض كلمة ومرة كلمتين " <sup>2</sup> ، أما الأخفش <sup>3</sup> فيرى " آخر كلمة في البيت ، وقيل لها القافية لأنها تقفوا الكلام " <sup>4</sup> ، أما الفراء <sup>5</sup> فيعرف القافية بأنها " حرف الروي

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، " مكابدات الشجر " ، ص 331 .

<sup>2</sup> ابن رشيق القيرواني ، " العمدة في نقد الشعر وتمحيصه " ، تح : عفيف نايف خاطوم ، دار صادر \_ بيروت ، ط2 ، 2006 ، ج1 ، ص 132 .

<sup>3</sup> الأخفش : هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الجاشعي أصله من البلخ ، المعروف بالأخفش الأوسط ، تتلمذ على يد الخليل وسبويه ، يجهل تاريخ مولده أما وفاته ففي سنة 215 هـ من آثاره : معاني القرآن - كتاب القوافي - كتاب الاشتقاق ، ينظر : ياقوت الحموي ، " معجم الأدباء " ، ج3 ، ص 1374

<sup>4</sup> أبو الحسن الأخفش (215 هـ) ، " كتاب القوافي " ، تح د ، عزة حسن ، دمشق ، 1970 ، ج1 ، ص 10

<sup>5</sup> الفراء : هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور لقب بالفراء ، ولد 144 هـ وتوفي 207 هـ ، ويقول أبو العباس ثعلب (لولا الفراء لما كانت العربية لأنه حصلها وضبطها ... ) عاش حياته كلها في بغداد ولم يخرج منها إلا قليلا . آثاره : " تفسير معاني القرآن " ، " المقصور والممدود " ، " الجمع والتثنية في القرآن " .

وتبعه في ذلك أكثر الكوفيين وخالفه أبو موسى الحامض<sup>1</sup> الذي عرف القافية بأنها ما لزم الشاعر تكراره في آخر البيت<sup>2</sup>.

وعلى أن الشاعر الحديث والمعاصر لم يلتزم القافية بصورتها التي وجدناها عند الشاعر القديم إلا أنه حرص على الإتيان بها بين الفينة والأخرى لإضفاء الموسيقى على شعره .

وما منح شعر بشرى البستاني موسيقى عالية هو اهتمامها بالقافية التي لم تكن لديها مجرد أداة أو زخرفة بل كانت نابغة من صميم تجربتها الشعرية ، تتغير في القصيدة الواحدة تبعاً لتغيير المعنى النابع من اللاشعور فتقول في قصيدتها " بانتظار القصف " <sup>3</sup> :

دقت الصافرة ...

هو الوقت لا ينتهي ...

تقطع الوقت أوردتي

و الدقائق ليست تمر .

تعلقني وق حبل مدلى ...

تسائل :

من سيموت بآخر الليل ،

طفلي،

<sup>1</sup> أبو موسى الحامض : سليمان بن محمد بن أحمد المعروف بالحامض ، أحد أئمة النحاة الكوفيين لم يعرف عنه تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته ، تتلمذ على يد أبي العباس الثعلب وخلفه في مقامه بعد وفاته ، أثاره : "كتاب خلق الإنسان" ، "المختصر في النحو" ... إلخ ، ينظر: ياقوت الحموي ، الفراء ، ج6 ، ص2812 ، الحامض ، ج3 ، ص1400

<sup>2</sup> الخطيب التبريزي ، "الكافي في العروض والقوافي" ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط2 ، 2000 ، ج8 ، ص105

<sup>3</sup> بشرى البستاني ، ديوان " مكابدات الشجر " ، ص339\_343 .

أخي ..

جارتني ... ؟

تكسر شباك بيتي ،

لكنهم ذعروا من يقيني ،

تكسر شباك بيتي ،

لكن ورد عيوني ،

تناثر فوق الرياح التي عصفت بالغصون .

يوحي النص بزمان متوتر يلفه الغموض والخوف ، زمن العدوان الذي يغدو ثقيلًا وتخلو الساحة له ليفعل ما يشاء بشاعرتنا ... تكرار ياء المتكلم في ( طفلي ، أخي ، جارتني ) يدل على توحيد الذات الشاعرة بالناس المقربين إليها ... وما تناوب القافية في ( بيتي ، أوردتي ، جارتني ) إلا محاولة منها لتوحيد بيتها ووطنها وما يحويه ويحيط به .

أنا - الذات - هنا ليست هي أنا المنعزلة بل هي ( أنا ) المتشكلة في صميم المجموع ولذلك تتحول القضية من الذات إلى العام فتختفي ياء المتكلم وتأتي القافية الساكنة (الغصون) لتوحي بالقضية المشتركة بين الشاعرة والمتلقي ، وخطورتها وجديتها ... كما قد وجدنا في شعرها القافية المترادفة ، وهي التي لا يفصل بين ساكنيها فاصل من قولها في قصيدة ( الحركات )<sup>1</sup> :

التمساحة .

لم تقدر أن تبتلع الطاغوت .

فابتلعت شجر التوت .

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، ديوان "البحر يصطاد الضفاف" ، ص403

شجر البلوط .

يتهراً في الصيف .

يمشي في عكاز .

يهوي ، ثم يموت .

إن الساكنين المتتالين في القافية يوحيان بمحنة تتمثل بالطاغوت الذي استعصى على  
التمساحة، فلجأت في حالة يأسها من النيل منه إلى شجر التوت فانهار كل ما هو عظيم :

شجر البلوط ← القوة ، الشموخ ، التماسك ، الرسوخ ، العلو ، الحياة .

يتهراً في الصيف ← الجفاف ، الظمأ ، الانفصال ، التفسخ ، المرض ،  
السقوط ، الموت . وتتجاذب في النص ثنائية الحياة والموت فالعنوان يوحي بالحياة بالحركات  
بجمعها و تعريفها (أل) التعريف ، هي حياة ضد السكون ، - الموت - وعلى الرغم من أن تفعيلة  
البحر الكامل (متفاعلن) تقوم على الحركات مرتكزا ثم تجرأ إلى الساكن حيث الزحافات والعلل  
والساكنان في القوافي :

أوزان البحر الكامل

عامت فيها الحركات

سيطر فيها الساكن

عبر التفعيلات

يلتفت المتنبى نحو خطاه

فلا يبصر غير العلات

تريك كل الأسباب ، وكل الأوتاد .<sup>1</sup>

ونجد في قافيتها الجناس الذي أضفي على النص الشعري إيقاعا ودلالات تعبر عن تجربتها

فتقول :

والأفق أصفر ، أصفر ،

غايته انكشفت

فتحت ساعديها لرعد الفلاة النرف

ومات من الحب ،

ماتت ...

فلا تفرعي ...

أوقفي النرف ،

وانتظري العزف .<sup>2</sup>

توحي الشحنات الإيقاعية المنبثقة من الجناس في الألفاظ ( النرف ، العزف ) بتحول تجربة

الشاعر من الحياة المهتدة بالموت إلى الأمل بحياة أفضل .

ونجد في شعرها غنائية ليس بمفهوم الغنائية القديم ، بل بكل ما توحي به هذه اللفظة من

لغة راقصة نابعة من إنسانية الألفاظ ، وموسيقاها الناتجة من توظيف تقنيات الإيقاع التي تثير

الشعر ، وتزيده كثافة .. كالتكرار والتوازي وقدرتهما على هندسته في تشكيل النص الشعري بأنواعه

وصوره المتمثلة بالتوازي الصوتي الناتج من تكرار الحروف .

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، ديوان "البحر يصطاد الضفاف" ، ص 403\_404 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 368\_369 .

نلاحظ في قصيدتها (الليل) من ديوانها "ما تركته الريح" التجمعات الصوتية، من خلال تراكم حروف المد وتضافرها مع القافية المتصلة ببياء المتكلم للتعبير عن هموم شاعرتنا إذ تقول:

يستبيح سكوني

ويفتح درج شجوني

وينشرها فوق جبل عصي

أطاوله ،

أستفز مواجعه ، يتربع أرضا ،

ويشعل لفاقه ، ويواصل ،

ثم ... على حين غرة .

يلم عباءته ، يستريب ...

ويقفل نافذتي ، ويغيب ...<sup>1</sup>

فالأفعال المضارعة المنتشرة بكثرة في النص ، جاءت لتضفي إيقاعا عليه وتواجه سكون الليل، فمرة يأتي مضعفا ( يظل ، يلم ... ) ليؤكد فعل الليل ، ومرة أخرى بدون تضعيف (يستبيح ، يفتح ، يشعل...) كما نجد عندها تكرار الحروف ( اللام ، العين ، الحاء ، الراء ...) التي تحقق طاقة صوتية وإيقاعية للنص .

أضفى التكرار الذي وجد بكثرة في قصائدها ، على النص نغما خاصا وإيقاعا متميزا يؤكد جرح الوطن واهانة للإنسان فيبعثان حزنا في ذات شاعرتنا وعلى متلقيها .

ونلخص إلى أن بنية الإيقاع الشاعرة قد تلون بانفعالات رافضة ، والمفردات والمعاني المتمردة، وتشبع بفنون المد والشد والتنوين ، وهذا لما حملة العصر من توتر ونزاعات والتوترات التي سجلت في قصيدة شعر التفعيلة ، ما أحدث عندها صوت جرى رافض ومتمرد .

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "ما تركته الريح" ، ص 14-15 .

لقد أوجد عندها الاختلاف في الموسيقى والأساليب الشعرية ، وهذا التنوع مرتبط أساساً بالتنوع في التجربة النفسية والشعورية ، فأحدث انسجام مع إيقاع العصر ، وإيقاع الشحنة الشعورية المنسجمة مع المواقف المجتمع المنادية للتغيير .

### 3 - الصورة الرفضية في شعر البستاني :

الصورة هي قوام البنية المركزية لأي عمل أدبي ولاسيما الشعر منه ، فمجمال أجناس الخطاب الأدبي تشترك في مبدأ التصوير ولكنهما تختلف فيما بينها في استعمال الصور كما وكيفا<sup>1</sup>.

لا نجد للشاعر وهو يؤلف من الألفاظ كلاماً جديداً وساحراً ، مكاناً للمصادقة في نسجه ويضني نفسه في تحديد اللغة وبنائها، ليهدف إلى خلق جو صاف وكائن أنيق<sup>2</sup> حتى يعطي لصوره قوة تميزه عن غيره لأن " قوة الشعر تقوم أساساً على الإيحاء بالأفكار عن طريق الصورة لا التصريح بأفكار مجردة " <sup>3</sup> ، ولما كانت مهمة الشعر حسب هوسمان **Housman** : "تكمُن في تنسيق أحزان العالم" <sup>4</sup> ، فإن الشاعر العربي أدرك هذه المهمة واستحدث لنفسه صوراً تبرهن على قدرته باستعمال اللغة استعمالاً فنياً لتخلق تأثيراً واستجابة في المتلقي . والصورة تكتسب جدتها وأصالتها من تلك اللغة المتجددة.

تستمد الصورة أهميتها من طريقة تقديم المعنى ، بهدف التأثير في المتلقي لتثير خياله وتوجهه عاطفياً وشعورياً<sup>5</sup> إلى محاكاة ذات الشاعر وما يرتسم في عقله وقلبه من أحاسيس عميقة يشكلها

<sup>1</sup> ينظر: محمد العبد، "الصورة والثقافة والاتصال"، مجلة الفصول، ع62، 2003، ص134.

<sup>2</sup> ينظر: فيليب فان تيغم، "المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا"، تر: فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1968 ، ط1 ، ص 277\_305 .

<sup>3</sup> عبد الفتاح صالح نافع ، "الصورة في شعر بشار بن برد" ، دار الفكر ، عمان - الأردن ، 1983 ، ص 57 .

<sup>4</sup> سي دي لويس ، "الصورة الشعرية" ، تر: أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن ابراهيم ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، 1982 ، ص 38 .

<sup>5</sup> ينظر د: سمير علي الدليمي، "الصورة في التشكيل الشعري"، دار الشؤون الثقافية العامة \_ بغداد ، ص 87

من تلك الأكوام من مختلف الأحاسيس والأفعال والأفكار التي تتحاور وتتفاعل أثناء عملية الإبداع<sup>1</sup>.

والصورة عند البستاني رسم قوامه الكلمات على رأي سي دي لويس<sup>2</sup> تخطت حدود الوصف المجاز فلم تعد تتشكل من علم البيان والبديع فقط ، بل أصبحت تحتوي على بعث الفوارق والمتناقضات والصيغات الجديدة – العلامات والرموز والسمياء والموسيقى والعاطفة – تجمعها علاقة خاصة قد تكون صريحة أو ضمنية ، كما واكتسبت الصورة عندها طابع متميز وأصبحت مغشاة بمسحة انفعالية شديدة التعقيد لاحتلاط الواقع بالخيال ، ولم تنفرد شاعرنا بهذا وشاركها الشعراء المعاصرين فيه للتعبير عما يختلج في ذواتهم لأن الذات هي محرّكة الأفكار والشعور لينطق اللسان بصور وتعبيرات تتسم بسمات الرفض والتغيير والثوب والثورة<sup>3</sup> وعليه فصور البستاني صور انفعالية شديدة التعقيد تستمد نسجها من المستجدات التي تحوم حولها ، كتطور الفكر الاجتماعي والفلسفي . ولم تعد الصورة تقليدية تكتفي بالغايتين التعبيرية والجمالية .

فالمتتبع للمنجز الشعري عندها يسجل أن نصها اعتمد على أسلوب الممازجة بين السرد والدرامي لأن " الشعر القديم كان يتكلم على العالم وشعرنا الحديث يكلم العالم " <sup>4</sup> ، وشاعرنا إحدى اللائي استندن إلى رؤية فنية انطوت تحت جناح الحداثة في سبك وتماسك لتتبع صورتها ، كما شاءت ذاكرتها أو شاءت الظروف المتراكمة ، فمزجت الذات بالأشياء إذ تقول :

لا تلتفتي .

<sup>1</sup> ينظر : محمد حسن عبد الله ، " الصورة والبناء الشعري " ، دار المعارف \_ القاهرة ، 1981 ، ص 28 .

<sup>2</sup> سي دي لويس ، " الصورة الشعرية " ، ص 21 .

ينظر د : ناصر لوحيشي ، " الرمز في الشعر العربي " ، عالم الكتب الحديث الأردن ، 1432 هـ - 2011 ، ط 1 ، ص 185 - 186<sup>3</sup>.

<sup>4</sup> نور عبد الرزاق محمود القيسي ، " الصورة في شعر بشري البستاني " ، رسالة ماجستير ، إشراف : علي متعب جاسم ، جامعة ديالى العراق ، قسم اللغة والأدب العربي 2014 ، ص 126- 127



وراءك ذئب .

لا تتقدمي .

أمامك هاوية .

### كيف ستصفح الوردة عن جرحها إذن ...<sup>1</sup>

اعتمدت في هذا المقطع على حوار خارجي محاولة منها بالخروج إلى حوار داخلي ، على الرغم من عدم الاختلاف على مضمونها الدلالي المحمل بالهموم الذاتية .

فالصورة في دواوين البستاني رمز مصدره اللاشعور ، ومهما أخذت من الواقع فإنها تبقى بعيدة عن بناء الصورة الشعرية الحقة ، فمزجت كل العوامل المحيطة بها انطلاقاً من الذات إلى الخيال مروراً بالواقع المر الذي يعيشه الإنسان العراقي والعربي واتخذت من هذه العوامل دافعاً لرفضها وثورتها ودينامية الذات وحركتها تظهر بوضوح في شعرها ويمكن تمييزها بوصفها ثمرة من ثمرات الاضطراب النفسي والصراع الداخلي نتيجة للأوضاع المضطربة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فبعض النقاد يرون أن على الشاعر أن يكون ذاتياً في صورته غير ملونة بوجوه شبه خارجي وإلا فقد الشعر روحه ، وانتقل من ميدان القلب إلى دائرة التفكير والتلاعب بالألفاظ<sup>2</sup> ، فتقول:

الزائر الغريب

يطرق بابي كل يوم خائفاً

يطرق في منتصف الليل

وفي الضحى

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، الأعمال الكاملة ، قصيدة : "الوحشة آنية" ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ص 80

<sup>2</sup> غنيمي هلال ، "النقد الأدبي الحديث" ، دار الثقافة - بيروت ، 1973 ، ص 451

أسمع ما يقول

لا يسمع ما يقول

أصيح : من بالباب ...؟

لا يجيب ...

يطرق دونما كلل

وعندما أشرع شباكي له ... يغيب ...<sup>1</sup>

تبدأ الشاعرة قصيدتها بفضاء أبيض يدل على الفراغ يمتد طيلة الصفحة بأكملها موازاة مع حالة الترقب والانتظار التي تعيشها للآخر والقلق الذي تحياه الذات بالصمت ، والصمت هنا يعني السكوت والتأمل فتبقى ذات الشاعرة في دائرة القلق والحيرة ، فالقلق أمرا يرافق الشاعر لأنه مرتبط بالزمان والقلق " الذي يملكه المرء يلازمه طيلة حياته " <sup>2</sup> ويستمر الزائر في الطرق دون إحساس بالتعب وعندما تقرر الذات الاستجابة لندائه والتجاوب معه بعد أن اطمأنت له قررت فتح الشباك إلا أنه يقرر الانسحاب أخيرا . فيغيب وتعزز الشاعرة تأثير فعل الغياب في نفسها بالنقاط التي تلت فضلا عن سكون الحرف الأخير الذي شكله البياض معطية الفرصة لنفسها كي تتأمل في أمر هذا الزائر الغريب الذي ولد داخلها حالة من الارتباب والخوف ، وهو كناية عن طيف كبير ودلالة القصيدة توحى إلى طبقة يزورها لكنها لا تجد فيها الجرأة وهي دلالة واضحة على عدم اكتمال صورة الحب من الطرف الآخر وتسترسل الذات في عملية السرد لتفتحها بالفعل

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، الأعمال الكاملة ، قصيدة : "الوحشة آنية" ، ص 401 \_ 402 .

<sup>2</sup> ينظر : فرانسواز داستور ، "هيدغر السؤال عن الزمان" ، تر : سامي أدهم ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1993 ، ص 63.

المضارع ( يطرق ) ليدل على عملية دورية يقوم بها الآخر الخائف، فالذات في حالة مهادنة مع النفس والآخر ومع السواد الممتد طول القصيدة متأكدة من أن الآخر يسمع ما تقول ، فهي حقيقة واقعة تستقر لها الذات وينعكس هذا الاستقرار على تشكيلة النص الذي يظهر في حالة الصمت بسؤالها عن الآخر الغريب المجهول ، إلا أنه لا يجيب ناجيه تأسيسا لجدلية الذات والواقع<sup>1</sup> ، وكثرة استخدام الأفعال المضارعة في القصيدة ( يطرق ، يسمع ، يقول ، يجيب ، يغيب ... ) لها انعكاسات دلالية فالشاعرة تقف على عكس حالتها النفسية ، لتؤكد للمتلقي بأن الزائر مازال يزورها حتى زمن السرد هذا . وبعد ظهور الحركة الرومانسية تبوأَت المكانة الأسمى في عملية إنتاج القصيدة فتحوّلت الذات الفردية للشاعرة من كونها مسندا للذات الجمعية داخل القصيدة لتصبح هي المحور التي تدور حوله وهكذا تأكدت مركزية الذات وبالتالي تغير شكل العالم الذي يتم تناوله شعريا فقد أضحى متغيرا تبعا لرؤية كل شاعر، فحين يصبح العالم موضوعا للذات فإنه بالضرورة يصبح موجودا بها ، بمعنى أن وجوده الشعري يصبح خاضعا للمنظور الذاتي<sup>2</sup> كما أن الأفعال المضارع هذه جاءت كلها في زمن الماضي ، لتؤكد لنا شاعرتنا من خلالها رفضها التوقع والانغلاق النفسي المؤدي إلى فقدان الأمل وشيوع اليأس ، لأنها تصر على الانفتاح<sup>3</sup> ليكون الخير الحالم الذي تعيشه صدى للخير التائه، فهي لا تعبر عن الحياة بل تحاول خلق حياة أخرى أكثر صدقا وجمالا في المستقبل.

إن الذات قد تتخذ موقف الرفض من العالم لكنها لا تستطيع أن تتخذ موقف النفي منه ، لأن الرفض يؤكد على وجود العالم مع ضرورة التمرد عليه أو الطموح في تغييره ، أما " النفي فيعني

<sup>1</sup> إخلاص محمود عبد الله ، "جدلية الغياب والحضور في شعر بشرى البستاني" ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، ط1، 2011 ،

ص23

<sup>2</sup> عبد العزيز موافي ، "الرؤية والعبارة مدخل إلى فهم العام" ، الهيئة العامة للكتاب ، 2010 ، ص74\_75

<sup>3</sup> بسام قطوس ، "إستراتيجية القراءة والتأويل والإجراء النقدي" ، دار الكندي والتوزيع ، الأردن ، 1998 ، ص4

التجاهل عن وجود الآخر والأشياء وبالتالي يبقى إمكانية التواصل أو الجدل معها<sup>1</sup> وهذا ما نجد صداه في قصيدة ( المخاض ) فتقول :

وأثور ...

وأغني ...

ألعن الصمت الذي يزرع في الأرض تمنى ...

ألعن الحزن الذي يسكن جوف المقبرة ...

والليالي المقفرة

أعين البرق التي تفطر في قلبي نور

مرت اليوم على أشلاء موتانا وعادت

تملاً الحقل بذور ...<sup>2</sup>

إنّما تعيش حالة من الثورة والانفتاح والعنفوان، إنّها كذلك تثور وتغني وتلعن الصمت الذي يزرع في الأرض هذا الذي يشعنا بالفراغ ، فصورتها النابضة بالحركة تقوم على لعن الحزن الذي يسكن المقبرة التي تدل على الفراق ونهاية الحياة والظلمة ، أما لعنة البرق فهي إشارة واضحة إلى عدم معرفة الطريق المؤدي إلى الخلاص فهي كلها مجاهيل كل ضد يوحى بضده .

لم تنغلق شاعرنا على نفسها رغم تقمصها في أشعارها عامة أروقة وفضاءات التحليق الرومانسية ... وشفافيتها ووعيها المتعالي قادها إلى هذا التوظيف والتوغل في ملذات العذوبة الغنائية بيد أنّها وعبر تحولات والنقلات الأسلوبية داخل كل نص استطاعت ببراعة الإفلات من هيمنة الرومانسية باتجاه الانفتاح على أغراض وسميات معرفية باستخدام: الرمز والشخص والامكنة.

<sup>1</sup> عبد الواحد لؤلؤ ، "موسوعة المصطلح النقدي"، وزارة الثقافة والإعلام \_ بغداد ، 1982 ، مج 1 ، ص 54

<sup>2</sup> البستاني ، "الأعمال الكاملة" ، ص 627

اعتمدت الشاعرة في تشكيل صورها على الخيال والواقع ، فيعد الخيال عنصرا فاعلا لأنها واحدة الشعراء الذين استقوا بعض صورهم من منبع مخيلتهم الخصبه لاسيما أن شاعرنا يمكن أن تعد من الشعراء الرومانتيكيين مما حققه علم النفس من حضور الشاعرة إلى الإفادة من مفهومه والتي تحاول من خلاله التحليق في فضاء التفرد والانزياح عن قيود الواقع ، إذ بمجرد اصطدام المطلق الخيالي بالواقع القياسي نلتمسها ترمي ي أحضان الخيال لتحقيق كل أمنياتها و طموحها بعيدا عن واقعها وواقع أمتها المر ، فاتجهت إلى الخلاص من الواقع والذاتية محاولة منها إلى هدم الذاتية .

وأصبحت الصورة عندها تتشكل عن طريق الخيال الذي من شأنه أن يحدث توازنا بين الطبيعة ونفسيته فلو وقفنا على دواوينها ستطالنا الحنة التي تعذبها إذ تقول :

غيمة من عبير

تدور بأرجاء بيتي ...

تؤطرها الجدر المرمية

يسجنها السقف ،

تهبط فوق جيبي

تنال مني الشك

تبحث إذ تستدير مكبلة عن يقين

افتح الباب

على الطيور التي هجرني

تعود إلى جرفها

أفتح الباب على الغمامة تخرج من سجنها<sup>1</sup>

وبفعل مخيلتها حولت المشهد الواقعي إلى خيالي في توسيع الصورة المجازية عن طريق التقاط الصورة (غيمة من عبير)، (تدور بأرجاء بيتي) فجاءت بلفظة غيمة من الواقع لتحولها إلى الخيال، فأصبحت الغيمة عبيرا حرًا غير مقيد ثم ما تلبث أن تصير مقيدة (ويسجنها السقف) الشاعرة من خلال النص تصور مناجاة ذاتها للطبيعة ومشاركتها أحزانها، مؤكدة " أن الخيال الذي يشكل الصورة هو العقل في أعلى حالات تبصر المبدع وهو لا يفتأ بالكشف عن نفسه في تفكيك ما يحيط بنا من مألوفات في إعادة صب المادة الخام في كليات جديدة حية"<sup>2</sup>، ومن هذا الفهم استطاعت شاعرتنا أن تقف أمام الأشياء لا سيما البحر فتعكس رؤية خيالية عميقة من خلال احتضان الجزئيات والتفاصيل للبحر أن تنسجها مع العلاقات الخفية، فهو نقطة التقاط بين عالمين عالم كائن وآخر كائن غير ممكن.

حاولت شاعرتنا إعطاء تجربة وصورة صادقة مفعمة بالعاطفة، فتركت العنان لخيالها وصورها المتعددة " لأن الخيال انطلق من حريات يرفع فيها العقل الكلفة مع الطبيعة المتجسدة لإستجلاء معانيه العميقة المنخبوءة"<sup>3</sup>، تنبع الصورة المتخيلة هنا من مراقبة بشرى البستاني للطبيعة ومحاولة توظيفها لخلق أجواء تجسدها عبر وصف متوازن بين موقفين، يتم الإتحاد بين الشاعرة والطبيعة عبر عملها توحد وصهر بين عناصر متنافرة من خلال التشكيل الخيالي لها.

وتتوق الشاعرة في نص آخر بخيالها هذه المرة للعيش في كون متصالح لا يعرف الأضداد:

ينهمر النغم .

فجر يشتعل .

<sup>1</sup> بشرى البستاني، "الأعمال الكاملة"، ص 87

<sup>2</sup> د: عاطف جودة نصر، "الخيال مفهومه ووظائفه"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1984، ص 240\_241

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 303

يتردد الصوت مرة أخرى ...

استغيث بما عندي وحق لي .

في بحيرة البجع بجعة مذبوحة تحاول .

القبض على الزرد .

في بحر مجهول تنزف أعتابه في القاع دما .

في الليل تتحول امرأة بأجنحة ملائكية .

يأخذها الأمير إلى سريره ... .

أهذا أنت إذن .

يرتدي معطف حبي<sup>1</sup> .

استطاعت الشاعرة من خلال الاستعارات التي همت على النص أن يوحي بتجربة أساسها الشعور المستند إلى الخيال والمؤمن باللغة وطاقاتها في بناء جديد للعالم ولذواتنا يمكن في تحول اللغة والصورة الحسية المتراسلة إلى وحي يحيا في مجهول العالم ، فيظهر النغم في معمارية القصيدة لتؤلف مشهدا يتداخل فيه الدم (بجعة مذبوحة) مع الحب (يرتدي معطف حبي) ، إذ يصعب الفصل بينهما لأن جذورها تمتد من خيال الشاعرة لذلك قيل " إن المبدع وحده يمر بتجربة العلو فوق الأشياء لأنه بعيد تشكلها في عالمه الشعري وبصورها من خلال احتراقه الداخلي ليكون الحقيقة التي تحدث في العمل الفني"<sup>2</sup>.

وفي الختام نلاحظ أن الشاعرة استطاعت بفضل مخيلتها الشعرية تجسيد صور دالة على انتشار

الخراب والقهر الذي لانهاية له لتدعو إلى الثورة والتحرر .

<sup>1</sup> بشرى البستاني، المرجع السابق ، ص160 .

<sup>2</sup> مارتن هيدغر، "نداء الحقيقة"، تر د : عبد الغفار مكاي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1977 ، ص183

فالثورة والتحرر لا يتجسدان إلا من خلال الواقع لأن الواقع ينعكس فيه كما تنعكس الأشياء في المرآة وكلما نضجت صورة الواقع بما فيه من الحقائق في ذهن الأديب ازداد صدقه الفني والوجداني<sup>1</sup>، امتثلت شاعرتنا للواقعية الجديدة واقعية حية متطورة التي كانت وما زالت مرآة عاكسة لصورة الواقع الذي نعيش فيه بين النزاع الجدلي والتقاتل والتصارع بين الإيرادات تصارعا ينتج منه انتصارا للخير والتقدم على عوامل الشر مستندة إلى نظرية ( تين ) التي مفادها أن الأدب هو التعبير عن الواقع أو المجتمع ومن الصعب على الشاعر أن ينكر هذه الصلة مهما حاول التقليل من شأنها، وأكدت أن البيئة والظروف العامة للعادات وروح العصر هي العوامل التي تحدد نوع الأعمال الفنية فلا يبقى منها إلا ما يتوقف مع هذه الظروف<sup>2</sup>.

إنّ شاعرتنا إحدى اللائي عبّرن عن أحداث العصر، فنجد لها تجارب لمواقف اجتماعية وتاريخية، ذلك أنّها تلظّت بنار الوطن والأرض قبل كل شيء، تقول في قصيدتها "الشهيدة" :

لماذا تأخرت هذا الصباح .

مكتب مقفل .

وندى فوق ورد الجراح ...

وخطى تتفقد طلابها دمعة .

دمعة .

وتسائل حيرتهم بحنان ...

صعبة هذه الأسئلة ... ؟<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إبراهيم خليل، "النص الأدبي تحليله وبنائه مدخل إجرائي"، دار كرم، 1995، ص 63

<sup>2</sup> صلاح فضل، "منهج الواقعية في الإبداع الأدبي"، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1980، ص 25. وينظر: محمد مندور، "الأدب و مذاهبه، القاهرة"، ط2، ص 90 \_ 91.

<sup>3</sup> بشرى البستاني، "الأعمال الكاملة"، ص 285.



جعلت بشري من النص بأكمله قصة لها هيكلها العام، فقد مهدت الشاعرة لقص حكايتها بصورة وصفية للزمان والمكان الذين انطلق منه الحدث لنقل ألمها للمتلقي ، وهي تصور لنا صورة واقعية لرحيل زميلتها ونلاحظ وجود حوار نابع من عملية التلقي بين الراوي والمروي له، إذ يصور صوت الشاعرة المشاهد كما هو ، فشاعرتنا من خلال هذه الصور التي عكست انفعالها وألمها ، تؤكد مقولة من يري "أن الشعر يبدأ غنائيا مطلقا ثم غنائيا مقيدا بحدث ثم يميل إلى الحكاية والحبكة والسرد والروح القصصي والملحمي ثم يقترب من الدراما عفويا ... ليفرغ منها أنواع شعرية"<sup>1</sup> ، كما تعتمد في بعض صورها الواقعية للتعبير عن معانات الفرد العراقي رغم الحياد إلى ما يسمى " وجود تركيبة ذروية أي أن البيت الشعري الأول يأتي ناقصا فيحاول الشاعر استكمالها في البيت الثاني أو الأبيات اللاحقة وهكذا تسير القصيدة في نسق متصاعد وصولا إلى الذروة ثم تعلن بعد ذلك نهايتها "<sup>2</sup> ، وهذا ما ظهر واضحا في قصيدتها ( الامتحان ) التي تقول فيها :

وسط الجامعة .

والشبان يدورون حول الحديقة .

قمصانهم بيض .

كتب ، كراريس ...

بعد دقائق يبتدى الامتحان ...

يتفقد أقلامه الطالب .

يتفقد أحلامه آخر ...

<sup>1</sup> جلال الخياط ، "الأصول الدرامية في الشعر العربي" ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، دط ، 1983 ، ص57

<sup>2</sup> فهد محسن فرحان ، " الإبداع الشعري المحكم قراءة في شعر محمود البريكان" ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2001 ،

وتناول طالبة شعرها لنسيم الصباح ...

تدوي القنابل

تحفر دغل الحديقة ، تزحف نيرانها والشظايا

أكف تطير وأشلاء لحم طري

جروحا تنزف دما ...

والكراريس تلقفها النار

يهوي الشباب وقمصانهم حمر ...

تبكي الحديقة ... ما أصعب الامتحان<sup>1</sup>

اقتبست الشاعرة موضوعا واقعيا - الانفجار والقنابل - لصورتها المنطلقة بحركة من زمان ومكان الجامعة لتصل إلى صور لاحقة ومتراكمة ( الكراريس ، دوران الطلاب ، الكتب ... ) ثم يتبعه الحدث الشعري ( تدور القنابل ، تحفر ، تزحف ، أكف تطير ، لحم طري ... ) ثم تعلن النهاية ( يهوي الشباب ) فتنتهي قصيدتها بما يسمى التوقيع الشعري - ما أصعب الامتحان - القصيدة تصور لنا كل شيء في وطنها لحقه الدمار والخراب وما الاحتلال إلا هدم للمثقف العراقي بخاصة والعربي بعامة .

تعلن البستاني بصراحة واضحة التزامها بتيار وعي الإنسان وذلك عن طريق إيقاظ المجتمع ، مما يجعل تربية الوعي الجمالي في الإنسان مقترنا بتربية الوعي السياسي والاجتماعي ، فالتربية الجمالية هي الأساس الأول للتربية السياسية ، إنه التزام لا يخلف عداوة مصطنعة بين الذات وأزماتها الفردية وعواطفها من جهة وقضايا المجتمع ومشكلاته من جهة أخرى ، عن طريق اتجاه الشاعرة إلى

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "الأعمال الكاملة" ، ص 313 \_ 314 .

تصوير الواقع العراقي والدعوة إلى إصلاحه التي مثلت ثورة خيرية للكيان العربي<sup>1</sup> ، والتعبير عن همومه وألمه محاولة من الشاعرة للتخلص من شرقة الذات التي تغلفت بها أغلب تجاربها الشعرية<sup>2</sup>.

يتبين لنا من خلال عرضنا لنماذج من قصائد شاعرتنا، أن أغلب القصائد ذات منبع ذاتي خاصة أنها رأت في الطبيعة وتجلياتها منفذا لشاعريتها، فقابلت بين الطبيعة وبين مناظراتها وإحساسها كاسفة عن أن ديناميت هذه العلاقة وحركتها يمكن تمييزها ووصفها ثمرة من ثمرات الاضطراب الداخلي نتيجة للواقع السياسي والاجتماعي .

<sup>1</sup> جبرا إبراهيم جبرا ، "الرحلة الثامنة" ، المكتبة العصرية بيروت ، 1967 ، ص 8 .

<sup>2</sup> عبد الله المهنا ، "دراسات في الشعر والشاعرة" ، شركة الريحان للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط1، 1985، ص 67 .

ثالثا : الجديد في النقد

لكل أديب وجهة نظر نقدية ، يتطلع بها إلى قراءة أي عمل أدبي كان، وبشرى البستاني كغيرها من الأديبات امتزج إبداعها الشعري بالنقد فكما برعت في الشعر- وهذا ما ذكرناه في المبحث الثاني حين أوضحنا تميزها في عبقريتها الشعرية - برعت في النقد الذي يعد عندها وسيلة من وسائل التعبير والغرض الذي يعزز من دورها كمبدعة فضلا أن العمل النقدي جزء من إثبات الهوية الثقافية للمرأة والتعبير عن وعيها ، وهي ترى أن النقد نوع من أنواع التخلص من الصمت والتهميش الذي فرض على المرأة ، كما عدته جزءا من النشاط الإنساني على نحو عام والنشاط المعرفي على نحو خاص ، إذ تعده مكملا لعملها الإبداعي فضلا عن كونها شاعرة تمارس العمل النقدي إلى جانب عملها الأكاديمي فهي تؤمن بالوسطية على مستوى التأثير النقدي .<sup>1</sup>

- النص الشعري :

ظلت الروافد النقدية متعددة ومتراكمة ومتضاربة حول قضية اللفظ و المعنى ، ونحن لسنا بحاجة إلى مناقشة هذه القضية التي حظيت بمساحة واسعة من البحث والدراسة .

ويتحدد موقف النقد من النص من خلال قراءته وفهم أهدافه ، ليتضح لنا أن قراءة النص قراءة نقدية عارفة هي نشوء علاقة بين النص وقارئه ، ومشاركة حقيقية بينه والمتلقي . والنص الأدبي بشكل عام والشعري بشكل خاص يشكل عالما بأكمله ، فيقدم لنا تودروف ثلاث مصطلحات تشكل فيما بينها مناهج قراءة النص وهي : " الإسقاط ، والتعليق ، و القراءة الشعرية " <sup>2</sup> ، وهذه الحقيقة أكدها عبد المالك مرتاض في منهجه التركيبي فجنح إلى تعددية القراءة ، وبيّن بأن النص الواحد " يجب أن يظل مفتوحا إلى ما لا نهاية ، وأن كل قارئ يمكن أن يقرأ النص

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "تحليل النص الشعري" ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2002 ، ينظر المقدمة .

<sup>2</sup> عبد الله الغدامي ، "الخطيئة والتكفير" ، المركز الثقافي العربي \_ المغرب ، 2006 ، ط6 ، ص132 .

بمنظاره أو منظوره الخاص " <sup>1</sup> يؤكد مرتاض من خلال منهجه هذا تجدد القراءة وتعددتها إحصابا لها ومن ثمّ إشباع النص بتفجير عطائه من طرف القارئ ، اختار النص منهجه قبل أن يخلق الكلام واختيرت الأسماء قبل المسميات وهذا ما طبع في ذهن آدم قال تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها " <sup>2</sup> ، وانطلاقا من هذه الآية فالنص تقاسم عدة دلالات منها الرفع والمنصة ... <sup>3</sup> وهذه الدلالات لم تبقى محصورة في النص الأدبي بل شملت كل فنون التعبير الأخرى مما ساهم في ظهور مصطلح النص الفني ، وهذا ما ظهر عند يوري لوطمان ومن بعده رولان بارث الذي عداه " لوحة زيتية وقطعة موسيقية ولقطة سينمائية " <sup>4</sup> .

ونحن في دراستنا هذه نعالج جانب الرفض في شعرها وذكرنا لهذه التعريفات لم يكن الهدف منها إلا التقرب من مكونات نصها ومحاولة تفجيرها لإظهار هذا الجانب في شعرها ، والدارس لدواوينها يلاحظ حقيقة تميز مجمل أعمالها الشعرية وهي انحيازها إلى النص الأثوي الذي تجسد فيه سمة الرفض بوضوح لمعاننات النفس العربية خاصة والذات البشرية عامة إذ تقول في قصيدتها "الحلم :

وعيناك نافورتان ألملم أطراف ثوبي ،

يجيء الندى والنداء

ألملم شعري يجيء الندى والنداء ،

فيشعل في عمق قلبي ،

الأسى ، الشجر ، الذكريات ...

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض ، "التحليل السميائي للخطاب الشعري" ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2001 ، ص 15 .

<sup>2</sup> البقرة الآية 31 .

<sup>3</sup> ابن منظور ، "لسان العرب" ، ج 7 ، ص 42\_44 .

<sup>4</sup> عبد المالك مرتاض ، "في نظرية النص الأدبي" ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 ، ص 47 .

تصير الغيوم براكين تندلع النار فيها

فتغدو السموات مرجل شوق ،

وتسقط أوراقنا في الهشيم ...

النهايات واد تطل عليه نوافذ مكسورة الجفن

قالت لقافلة الداهيين

خدوني ...

فما اهتز فيهم جواب .<sup>1</sup>

نسجل في هذه القصيدة انخيازها الأنثوي للغة بوصفها ظاهرة تؤثر على وعي صاحبها

وأسلوب فهمها له، فحسّها الأنثوي يبدو حاضرا في نصوصها الشعرية منذ الوهلة الأولى ،  
فقصيدتها هذه تجسيد واضح لفعل المعاناة المشحونة بعذابات الكتابة وآلامها ، فأكسبت نصها  
صفة الأنوثة من خلال الألفاظ التي استعملتها " عيناك ، الذكريات ، الندى ، ثوبي ،  
القافلة... "، إذ تحاول إحداث تفاعل بين النص والقارئ الفعال لأن "العمل الأدبي يحتاج تعريفا،  
وبسبب طبيعته وبنيته ... فالعالم الذي ينشئه النص لا يمكن له إلا أن يكون ناقصا"<sup>2</sup>.

يصور النص هذا - كما هو واضح - معاناة شاعرتنا وما تتحمله من ألم نحو ما يحدث

لوطنها الجريح ؛ إذ تثبت أن كل شيء داخله التهمته نيران البراكين المدمرة للكائن البشري ، الذي  
خلق ليحيا ويعيش ويعمل قال تعالى " هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، الأعمال الكاملة ، "قصيدة الحلم" ، ص 530 .

<sup>2</sup> حسن مصطفى سحلول ، "القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها" ، منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق، دط، 2001 ، ص 1-6 .

تُؤبوا إليه<sup>1</sup> فتجسد بذلك حقيقة الواقع النفسي عندها المنقسم بين بقائها ورحيلها (خذوني) جاء بصيغة الأمر والغرض منه طلب المساعدة على تجاوز النكبة .

زخرفت البستاني قصيدتها بتعبيرات ورموز الأنوثة فجعلتها حديقة أو بستانا ، وهذا من خصائص النص الأنثوي الذي من الممكن أن يكتبه الرجل المبدع حين يكون الظل الأنثوي في شخصيته قويا . فصارت القصيدة وحركات مكوناتها ونقلاتها المشهدية تعبيرا عن حركة الطبيعة في تجددتها الانبعاثي الحي وفي إرادتها المقاومة للفناء وهي تتحدى الطغاة الخاطفين لوطنها وترفض الاستسلام والخضوع ، وسنقف في دراستنا لنصها الشعري على العنوان الذي يعد عتبة النص .

**العنوان :** مجمل ما يتميز به العنوان في مجال الاقتصاد اللغوي فقد يتألف من جملة أو كلمة أو استفهام ، أو تعجب ، أو ما سابه ذلك كما يرى " ليوهوك " أنه : " مجموعة العلامات اللسانية ( كلمة ، جملة ، النص ) التي يمعن أن تدرج على رأس نص لتحده وتدل على محتواه العام وتعرف الجمهور بقراءته " <sup>2</sup> أما عبد الله الغدامي فذهب إلى أن العنوان بدعة " العناوين في القصائد ما هي إلا بدعة حديثة ، أخذ بها شعراؤنا محاكاة لشعراء الغرب " <sup>3</sup> وفي نفس الصدد نجد شاعرنا تعرفه " رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها ، وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها وهو الظاهر الذي يدل باطن النص ومحتواه " <sup>4</sup> ، تبين شاعرنا على أن العنوان هو النقطة النواة للنص يكشف معانيه و أسرار .

العنوان صنعة الكاتب وإشارة منه إلى العمل الأدبي أو غيره ، وأغراض منه لا حصر لها إما أن تتعلق بنوع العمل أو بمقصد الكاتب أو تأخذ القارئ بعين الاعتبار ؛ وأول ما يستوقفك في

<sup>1</sup> سورة هود ، الآية 61 .

<sup>2</sup> léo h'ock : la marque de titre, dispos tiqués d'un mouture Publisher .paris. 1981 . p 17 .

<sup>3</sup> عبد الله الغدامي ، المرجع السابق ، ص : 216 .

<sup>4</sup> بشري البستاني، "قراءات في الشعر العربي المعاصر والحديث"، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 2002 ، ص 34 .

الدواوين الشعرية لشاعرتنا العنوان الرئيسي الذي يشكل النواة واللبنة الأولى لانطلاق النص ، كما تكشف عن ماهيته لتخلق منه معيارا يؤدي دورا في استقطاب النص ثم تفرد عناوين فرعية التي تختارها بعناية فائقة ووضع تلك العناوين لدواوينها لم يأتي اعتباريا أو جزافيا وإنما بتمعن فتمثلت في " أنا والأسوار ، الأغنية والسكين ، زهر الحدائق ، مكابدات الشجر .... "

نوه في البداية أن العناوين الرئيسية تمثل نقطة التقاط مع العناوين الفرعية التي بموجبها يتم اختيار العنوان الأساسي الذي يرتبط ارتباطا جذريا مع المتن الشعري ويقع في الألفاظ والعبارات والجمل، فالسر الكامن وراء اختيار { أنا والأسوار } كعنوان تمثل في مقاطع القصيدة ، التي ارتبط بها بعملية مباشرة ذلك أن الواو تفيد العطف والاشترار ، فالسور الأول هو السلطة الرجولية التي أرادت أن تتماه مع الأنا لتكون هي السور العائق أمامها ، لأن القيم المختلفة أكبر سور في المجتمع:

### الرجال يحكمون العالم

فليس لامرأة مثلي أن تتكلم<sup>1</sup>

أما السور الثاني هو الصمت الدال على تقبل الضعف وعدم المقاومة :

أقول للصمت : جميل أنت

لأنني لا أملك خنجرا أمزقه ..<sup>2</sup>

والسور الثالث يمثل السلطان الذي يسمح بإراقة دم الأبرياء ويسجنهم دون شفقة فتقول :

<sup>1</sup> البستاني، "أنا والأسوار"، جامعة الموصل ، العراق ، دط، 1977، ص 247 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .



قال السلطان : لا تريقوا دمها فأنا أخافه ..

بل اسجنوها .. حتى تجف ..<sup>1</sup>

أما الرابع فهو البيت تحاول الاستنجاد بالسماء التي تمثل سلطة دينية أعلى من سلطة الرجل والمرأة لهدم أحد رموز السجن البيت وهو السقف :

فليهطل .. ليهطل المطر ..

وليتهدم سقف بيتي ..<sup>2</sup>

أما السور الخامس فهو العقلية المتخلفة التي تمثل التفسير الخاطئ للدين ليكون التواصل مع سلطة العدل ( السماء ) ، فهي السلطة التي لا يستطيع أحد العمل على حجبها رجلاً كان أم سلطاناً أما السور السادس السور الأسري والاجتماعي المعبر عن التسلطية ومثلها الجيل الجديد :

قالت أمي : اقفلوا الأبواب .. فذلك أدعى للراحة ..

وقال أخي .. كسروا . النوافذ ، فذلك .

أجلب للحزن !<sup>3</sup>

كل هذه الأسوار تؤدي إلى نتيجة واحدة هي الفصل والاستكشاف عن (الأنا و الأنت )  
عمن يستطيع أن يفجر هذه الأسوار ليحمل بيده ثمار الثورة ويشجع عقلية الطموح والخروج من بوتقة الظلم والتخلف :

كتب حبيبي يقول

حينما تلغمين السور أكون قادراً على التفجير ...

<sup>1</sup> البستاني، " أنا والأسوار " ، ص:248 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص247 .

## قلت أجل ... فعلت ذلك<sup>1</sup>

وتظهر النتيجة الباهرة التي تتخطى كل هذه الأسوار رغم صلابه حجارتها وعمق جدارها

فتقول :

## وتزحف بالثورة الحقول<sup>2</sup>

إنّ من يعن النظر في عناوين شاعرتنا يسجل أن اختيارها لم يكن محل الصدفة وإنما نتيجة مفارقات فيما مرت وتمر به ، فمثلا { الأغنية والسكين } يحمل عدة دلالات مثيرة ومرتبطة بالنصوص والعناوين الفرعية للديوان ، كما عمدت الشاعرة إلى العنوان من كلمتين تحمل كل كلمة دلالة خاصة فتشكل الأغنية بؤرة الانطلاق بالعقل النقدي والتحليلي إلى ما توحى به البنية النصية التي ركب بها العنوان لتحمل فهمين : الأول أن تكون قصدت الفرح والسرور ، والخروج بمشاعر وأحاسيس يسودها الأمان فتمزجه بهدوء نفسها وثقتها العالية بما تريد أن تعبر عنه من أمل .

والآخر أن تكون الشاعرة رمزت بلفظة السكين للموت بأبشع الطرق ، وما تحمله الكلمة من بعد للنظر في المفهوم الشعري الذي يصور بأن السكين قطعة للألم والمعاناة ، بخلاف المنافع التي يقدمها لنا دون أن ننسى البعد الإنساني لهذا العنوان وعناوين أخرى { كمكابدات الشجر } فهي رمز للنماء والخصب ، وجمعت مواجعتها مع مواجع بغداد في ديوان واحد " مواجع الباء والعين " استقرار البستاني على هذه العناوين دليل على ما تحمله من رفض وغضب ، مع حب وعطف لما تكتنفه ذاتها وذات أي إنسان عربي محاصر ما بين العنف والخراب والمطامع الغربية والفساد الداخلي لهذه الأمة المشتتة .

<sup>1</sup> البستاني، "أنا والأسوار" ، ص: 256 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص: 257 .

## التناص لدى الشاعرة :

يبدو النص القديم مكوناً رئيسياً للنص الجديد ، ذلك أن الجديد لا ينشأ من لا شيء وإنما يتغذى بدم غيره إذ تتداخل فيه مكونات أدبية وثقافية متنوعة وهذا ما ظهر جلياً في شعر بشرى البستاني التي استدعت جوانب الثقافة العربية كلها و أذابتها في نصها الجديد بفاعلية دلالية فائقة صيرت عملية القراءة أخذ وعطاء ؛ أخذ من النص وعطاء له من المخزون الأدبي والثقافي للقارئ بل هو الذي يقدم له قيمة من خلال تمكين المتلقي بتصور عدد من التوقعات التي تساعده على فهم النص وتأويله على الوجه الصحيح انطلاقاً من مبدأ ( الحلول و الإزاحة ) ما يرى صبري حافظ : " استيعابنا للنص الذي نواجهه يتوقف في كثير من الأحيان في قدرتنا على التعرف على النص الذي أزاحه أو الذي حل محله ليس فقط لأن جدلية النص والنص المزاح جزء لا يتجزأ من تكوين النص نفسه " <sup>1</sup>

وتاريخ شعرنا العربي يبين أن التجديد لا يكون بالتخلي عن التراث والصور التقليدية بل بإعادة صياغة المعطيات القديمة شرط ألا تكون عائق في طريق التطور <sup>2</sup> ويلح مرتاض على أن أشكال التناص معظمها غير مرئي ولا مباشر وهذا راجع إلى مفهومه للتناص والتي يصعب تحديدها في دقة وتثبيت ، فالتناص عنده تضمين بغير تنصيص <sup>3</sup> ، في حين أن محمد عزام يرى في التناص نوعان : داخلي وخارجي ، الداخلي هو حوار داخلي يتجلى في تولد النص وتناسله ؛ أما الخارجي فهو حوار بين نص ونصوص أخرى <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> صبري حافظ ، "التناص وإشارات العمل الأدبي ضمن أفق الخطاب النقدي" ، دار الشوقيات ، القاهرة ، 1996 ، ص 49\_50 .

<sup>2</sup> ينظر : أحمد محمد قدور ، "العربية الفصحى المعاصر" ، دار العربية للكتاب ، تونس ، 1991 ، ص 403 .

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض ، "في نظرية النص الأدبي" ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق ، ع 1-2 ، 1988 ، ص 56\_58 .

<sup>4</sup> ينظر : محمد عزام ، "النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي" ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، 200 ، ص 31\_36 .

والدارس لشعر البستاني يسجل كثير من التناصت على مختلف أنواعها وتشعبها ، ونقف أمام ديوان واحد هو أندلسيات لجروح العراق ، لأن هذا الديوان حوى الكثير من التناصت المختلفة والرافضة .

**التناص التاريخي :** بدأ الديوان بتناص تاريخي المتمثل في العنوان ( أندلسيات لجروح العراق ) فهو استحضار لمأساة الأندلس ، رمزا للضياع والفقدان مع ما يحدث في العراق ، فهل سيحفر في ذاكرة التاريخ كما هي جروح الأندلس ؟ هذا ما يوحي به العنوان في تكثيف دلالي ولغة مشحونة بالمرجعيات التاريخية :

دبابات القتل تدور

بغداد ...

سمرقند ...

غرناطة تنهد .

قلب الليل ينزف أندلس أخرى ، وفلسطين

غرناطة تعدو في قمصان الليل

يلاحقها الذئب التري

تصل البصرة ، تزحف في ذي قار<sup>1</sup>

في كل جزء من النص استحضار لمآسي الماضي ، مع تكثيف التراكيب المحملة بالأسى والأسف ، فالأندلس هي العراق اليوم الجريح الذي يتخبط في ويلات الخروب ، عمدت الشاعرة إلى التاريخ حتى تذكر أن ما حدث في الزمن الماضي ، نفسه ما يحدث اليوم - التاريخ يعيد نفسه- ، كما تستحضر حضارات أخرى لأهميتها التاريخية وعلاقتها بالاحتلال وسقوط بغداد :

<sup>1</sup> بشرى البستاني، "أندلسيات لجروح العراق"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2010، ص103-104.

واجثوا عند خزائن بغداد وآشور

أمسك فلي من وجع التفاح<sup>1</sup>

ذكر لفظة التفاح لما تحمله الكلمة من دلالة الخطيئة والتكفير والندم ، إذ تتحد في القصيدة شخصيتين هولوكو والأمريكي :

ثانية يقطع هولوكو

شريان الحبر الأسود

هولوكو يترصدني

يقطع رأسي<sup>2</sup>

ازدحمت التناصت وتلونت لتصبغ صورة المشهد بألوان الحزن ، فالأمريكي وهولوكو اشتركا واتحد في التدمير والتخريب المدن المتعبة بالحصار ، أما قولها (قطع شريان الحبر الأسود) ، قطع للثروة العلمية وقتل للعقل العراقي بأبشع صور الحرب خوفا من إبداعه . ثم تنتقل داخل نصها لتستحضر تناص تاريخي آخر :

قبور بني العباس

أتعبا زحف العربات على قلب الأرض

الآباء

يخفون الطلقات بصدر العذراوات

<sup>1</sup> بشرى البستاني، "أندلسيات لجروح العراق"، ص 104\_105 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ضفائرهن على الرمل

يخضبها الدم

وجع في أعينهن عراقي

دمع وجل مما كان

وما سوف يكون

هل قلت : الموت

علم السيمياء

خجل من ضوضاء الموت<sup>1</sup>

هنا تستحضر دولة بني العباس لما فيها من قوة وعزة ووجاهة ، كما يحمل نصها تناص ضمني احتواه المقطع الأول مع الشاعر العباسي أبي العلاء المعري في قصيدته " ضجة الموت رقدة " :

خفف الوطاء ما أظن أديم \* الأرض إلا من هذه الأجساد

سر إن استطعت في الهواء رويداً \* لا اختيالاً على رفات العباد<sup>2</sup>

ثم تتحول داخل نصها من تناص مع دولة بني العباس إلى تناص مع القيم والأعراف الجاهلية من قتل البنات خوفاً عليهن من العار ، ووأدهن حال ولادتهن ، ثم تنتقل إلى عرف عربي آخر قديم من قص ضفائر النساء عند الحزن أو فسخ الخطوبة ، وفي آخر النص يظهر لنا تناص آخر وجديد مع النقد الأدبي تجسد في لفظة (سمياء) فشاعرتنا بشرى البستاني مثلها مثل أي فنان مرموق : "تنتقل من الاعتقاد بأن الفن نوع من تحويل المشاعر السلبية ، مثل الحقد والكراهية وخيبة

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "الأعمال الكاملة" ، ص 119 .

<sup>2</sup> أبي العلاء المعري ، "سقط الزند" ، دار صادر، بيروت ، دط، 1957م، ص 07 .

الأمل ، إلى ما هو غير ذلك من المشاعر التي تتجسم إيجابياتها في خلق الإحساس بالجمال ، الذي يسمو بقوة تأثيره في تلك المشاعر... " <sup>1</sup> مع التكتيف الدرامي لمأساة النص ، تلوح بعض تباشير أمل في المقاومة ، والشهامة العربية العربي الذي لا يرضى بالذل والهوان رغم ما يعيشه من استعباد ، إذ تقول :

منكفى مثل حصان مهجور

جرحي

تلفحه الشمس العربية

ينخره الدود

بيكاسو يرسم جريكا أخرى

يرسم بغداد طريحة أقدام الغوغاء

والحرية عود

يعزفه القزم الموزود

ألواح متاحف بغداد بكف الريح

والثور الآشوري الباسم مرتعب <sup>2</sup>

اختص العرب بالحصان الأصيل رمز الأصالة والعراقة، وقد أظهره النص في حالة ضعف وجود كأنّ الشاعرة تريد أن تعكس الجرح العربي الذي أصبح ينخر الأمة ، في تصوير للموقف العربي المخزي والجبان أمام ما يحدث في العراق وفلسطين ، ثم تسبح مع بيكاسو في لوحته جريكا لتبين أن ما حدث في إسبانيا أثناء الحرب الأهلية نفسه ما يحدث في العراق .

<sup>1</sup> أنور المرتجي ، "سميائية النص الأدبي" ، إفريقيا الشرق ، 1987 ، ط 1 ، ص 52 .

<sup>2</sup> البستاني ، "الأعمال الكاملة" ، ص 112 .

إن التناصات التاريخية في شعرها تجسيد واضح لرفضها الخضوع والاستسلام لهذا الغاصب الذي يحاول صنع لنفسه اسم وحضارة على دماء أبرياء حلمهم الوحيد العيش الكريم .

**التناص الديني :** يعد النص القرآني مصدرا من مصادر الإلهام الشعري الذي يفى إليه الشعراء ، يقتبسون منه ليجسدوا ما يعجزون عنه في التعبير بأشعارهم مما يدور حولهم ، والقرآن الكريم أخذ مجالا واسعا في شعر البستاني " لما يمثله القرآن الكريم من ثراء وعطاء للفكر والشعور " <sup>1</sup> .

إضافة إلى ما تعالجه من قضايا تتطابق مع طبيعة الصراع المحتدم على أرض العراق بين قوى الحق والجهاد وقوى الاحتلال والباطل ، ذلك أن استحضر النص الديني في الخطاب الشعري المعاصر ، يعني إعطاء مصداقية وتميز للنصوص الشعرية وانطلاق من مصداقية النص القرآن وقداسته وإعجازه وتتنوع ظواهر التناص مع القرآن في شعرها على عدة نقاط تشمل عدة محاور ، ولكل منها دوره وأهميته في إنتاج الدلالة وتوجيهها وفق زاوية أو رؤية معينة. منمية بذلك مورثها الديني وفي مقدمته القرآن الكريم :

الكابوس يعاودني

وأشهب من قاع الجب

وأبحث عن سيارة أهلي <sup>2</sup>

يظهر هذا المقطع الشعري تناصا مع قصة النبي يوسف عليه السلام في قوله تعالى : " وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ " <sup>3</sup> تبين الشاعرة لنا الوضع التي آلت إليه حالتها وحال شعبها الذي ينتظر من يمد إليه يد النصر والعون فتناصها هذا فيه أمل أن يحدث

<sup>1</sup> جربوع عزه ، "التناص القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر" ، مجلة فكر وإبداع ، 2004 ، ع13 ، ص134 .

<sup>2</sup> بشرى البستاني ، "الأعمال الكاملة" ، ص512 .

<sup>3</sup> يوسف ، الآية 10 .



لها ما حدث للنبي يوسف في انقاذه من الجب . فقد رمزت بالجب إلى الدم العراقي والإنسان العربي المتفوق في ويلات الحروب دون أن يحرك ساكنا ، إلى أن تقول :

أسأل غصنين ينامان

على صدري

عن سر الجبل الصامت فيقلب الصحراء<sup>1</sup>

استخدمت لفظة جبل مستسقية المادة الخام التي يصنع ما يريد منها ، ويظهر في قوله تعالى : " لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " <sup>2</sup>. تسأل الشاعرة - المرأة - مستغربة صمت الجبل العربي في الصحراء العرب وتسأل هل سيظل صامتا ؟ مع ما يحمله من هموم مستدعية في ذلك الصحراء .

كما نجد الشاعرة متمنية زوال الغاصب في تناصها مع سورة الفيل في قوله تعالى : " وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ " <sup>3</sup> ، في قولها :

وددت لو تغتال وجها تأكل الغربان من عينيه

والطير الأبايل ،

النسور تدك جبهته ،

وآه وددت لو تغتال وجه الليل ، ملقى فوق صدري <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> بشري البستاني ، "الأعمال الكاملة" ، ص 513 .

<sup>2</sup> الحشر ، الآية 20 .

<sup>3</sup> الفيل الآية 3\_4 .

<sup>4</sup> بشري البستاني ، "الأغنية والسكين [ الاختيار ]" ، وزارة الثقافة ، بغداد ، دط ، 1975 ، ص 565 .

تستحضر لفظة الليل التي ترمز بها إلى الاحتلال الجاثم على صدور العراقيين الكاتم أنفسهم ،  
متأملة لو أن هذا الطير يعود من جديد ليخلص العراق من المحنة التي ألمت به .

كما تظهر ضعف الأمة العربية التي غلبت كل واحدة مصالحها على حساب استقرار وأمن  
دولة أخرى في قولها :

دبابات الغزو تدور

فوق الدبابة قبر رسول الله يصيح

غشاء السيل

الليل .<sup>1</sup>

يجسد هذا المقطع حقيقة ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم " ستداعى عليكم  
الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا : أومن قلة يا رسول الله ؟ قال : كثير كغشاء  
السيل ، إنما أصاب قلوبكم الوهن ، قيل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكرهية الموت "<sup>2</sup>  
إنّ البغية منه استنهاض الهمم لحماية قبر الرسول الكريم من الدنس الأجنبي ، ومقدسات  
الأمة بالاستهانة بالحياة والرغبة في الموت الشريف في زمن اختلط الحابل بالنابل وفقد كل شيء  
قيمته و قداسته .

تدهمني عيناك وتعطيني السر

اقطف من ومضتها العطر ...<sup>3</sup>

<sup>1</sup> البستاني ، "أندلسيات لجروح العراق " ، ص105 .

<sup>2</sup> أحمد بن علي حجر العسقلاني (773هـ - 852هـ ) ، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" ، تح : قصبي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، 1986 ، ج10 ، باب الفتن ، ص1290 .

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص135 .

ثم تنتقل إلى التناص الصوفي في كتمان السر، وكأن السر لغز لا حل له " وسر سر ما لا اطع عليه لغير الحق وعند القوم على موجب مواصفات ومقتضى أصولهم ، والسر أطف من الروح والروح أشرف من القلب ويقولون الأسرار معتقة من رق الأخبار من الآثار والأخبار ، ويطلق لفظ السر على ما يكون مصوناً مكتوماً بين العبد والحق سبحانه في الأحوال ، وعليه يحمل قول من قال : أسرارنا بكر لم يقتضها وهم واهم ، ويقولون صدور الأحرار قبور الأسرار"<sup>1</sup>

وفي قراءتنا المتتالية لشعرها ضمن التناص الديني نجد حضور آخر سيدنا صالح عليه السلام وناقته فتقول :

هذي الناقة ،

من عصر ثمود للآن ...

تتلوى خلف موائدنا .

ترغو في دواخلنا ،

تغرينا ،

تغري سكاكين قبائلنا .

بالذبح ...<sup>2</sup>

في النص تضمين لقوله تعالى في سور عدّة يقول :

" هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ... " <sup>3</sup>

<sup>1</sup> أبي القاسم القيشري ، "الرسالة القشرية" ، دار السلام ، القاهرة ، 2003 ، ص55 .

<sup>2</sup> البستاني ، "البحر بصطاد الضفاف" ، [الناقة] ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2000 ، ص398 .

<sup>3</sup> سورة الأعراف ، الآية73 .

" هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ... " <sup>1</sup>.

" إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَاصْطَبِرْ " <sup>2</sup>.

تؤكد الآيات جميعها على أن الناقصة ابتلاء ومحنة .  
 وديننا وتاريخنا يحكي أن قوم صالح عليه السلام - ثمود - طلبوا آية فأخرج الله لهم آية من الحجر  
 الصلب وأمر بعدم إذاتها على لسان نبيه صالح عليه السلام غير أنهم عصوا أمر ربهم فأنزل  
 عليهم عذابه ؛ وعليه فالناقة وعبر الزمن كانت رمزا للإغراء للوقوع في الخطيئة .

عملت الشاعرة على تحويل الناقدة من صورتها وفعلها في النص القرآني إلى فعل معاصر في  
 النص الشعري ، فوظفت الناقدة رمزا للتعبير عن همها وحيرتها من قدرة العدو على فرض سوته  
 وهيمته علينا دون أي رادع يجد من إمكانيات هذه السطوة التي غدت تغتالنا وتحتل حياتنا محتاجة  
 أدق تفاصيلها وحزنياتها ، وتوظيفها لضمير الجمع (نا) تأكيد على تغلغل الفتنة في نفوس الجماعة  
 - الأمة - الأمر الذي أدى إلى التمزق والتفكيك قبائل متناحرة متفرقة وهذا ما دل عليه قولها  
 (تغري سكاكين قبائلنا ، بالذبح ) ، بكل ما تحمله الكلمة من بشاعة وقسوة في طريقة الموت  
 الذي يتعرض إليه الإنسان العربي القابع في الفتن عبر الزمان .

وناقدة البستاني هي ناقدة متحولة حسب ما تمليه الظروف ، فمن القوة والصلابة والحماية  
 والصبر إلى رمز للمرارة والألم وشيوع الدم في الشعر المعاصر . مستندة على النص القرآني الذي  
 يعتبرها منبع الخطيئة والتكفير .

التناص مع الموروث الأدبي : على مر العصور يعتبر الشعر القديم مرجعا هاما للشعر  
 المعاصر وشاعرتنا من هؤلاء الذين استندوا عليه في بناء نص شعري رافض كل أنواع الظلم والقهر

<sup>1</sup> الشعراء ، الآية 155- 157 .

<sup>2</sup> القمر ، الآية 27 .

للذات البشرية التي تجنح تحت الغاصبين والمحتلين لأوطانهم ، فتستحضر في بعض نصوصها شخصيات شعرية من مختلف العصور ، إضافة إلى شعرهم ، وعلى رأسهم المتنبي الشاعر القومي الذي عشق العروبة واعتز بها و حير النقاد قديما وحديثا لشعره من جوانب متعددة ومحيرة ، وعلى قدر كبير من الإغراء للفنانين والشعراء ، لأن شعره يشمل من الرؤيا ما يفوق أي شاعر آخر ففي أحسن حالاته يجعلنا نعيش بين الحلم والواقع وبين المثال والحقيقة فها هو اليوم يحرق أشجار الكوفة ويحولها إلى رماد المدينة التي شهدت ميلاده :

المتنبي يشعل أشجار الكوفة

والأقمار ، تسقط في قاع الجب

نجوم تنشج في زاوية البستان

وساند بنت السلطان

يخضبها الدم

يا ويل الغالب من المغلوب<sup>1</sup>

فها هي الكوفة مركز إشعاع العلوم والثقافة والسياسية تتحول إلى خراب على يد أهلها ، لتوجه تهديدا في نهاية المقطع بالمثل الشعبي ( الويل للغالب من المغلوب ) في لحظة انتفاضته وثورته في التفاتة منها إلى تصوير الأمر الذي يجب أن يكون لا على ما هو كائن . لأن المغلوب حين يثور يستبيح كل حرماته الإنسانية والوطنية لأجل العيش بكرامة .

إلى جانب المتنبي تستحضر شاعر آخر هو أبي تمام ، الذي رافق الخليفة المعتصم في حروبه ضد الروم ، وشهد فتح عمورية وخلدها في قصيدته البائية ، وذكرت هاتين الشخصيتين لما شهداه من انتصارات للأمة العربية في حروبها الأزلية مع القوى الخارجية ، حتى تعلن من خلالهما رفضها وثورتها مع تحريض الأمة على رفع الهمة ودفع الشر عن أوطانهم .

<sup>1</sup> بشري البستاني ، "أندلسيات لجروح العراق" ، ص 180 .

وتنتقل إلى تناص آخر مع شاعر معاصر عانى طوال حياته ويلاط الاحتلال والقهر والتشريد والقمع والتعسف فعاش مكافحا ومناضلا بقلمه وفكره في مجابهة الصهاينة إنه شاعر الثورة والرفض والتمرد إنه محمود درويش .

على هذه الأرض ما يستحق البكاء

رحيلك ...

صمت الأغاني التي أشعلت شجري

فاستراب و غادرني ...

حقر لؤلؤي ،<sup>1</sup>

تعلن البستاني في هذا النص حضور المقابل الطبيعي للفكرة التي يتضمنها ، فإذا كان ثمة ما يستحق الحياة كما يقول درويش ، فإن هنالك أيضا ما يستحق البكاء كما تقول البستاني ، إذ يقول درويش في قصيدته " على هذه الأرض ما يستحق الحياة " :

على هذه الأرض ما يستحق الحياة :

نهاية أيلول

سيدة تترك الأربعين بكامل مشمشها

ساعة الشمس في السجن

غيم يقلد سريرا من الكائنات

هتافات شعب لمن يصعدون إلى حتفهم باسمين

وخوف الطغاة من الأغنيات .<sup>2</sup>

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، "مواقع باء - عين" ، [في حديقة العراق] ، مجدلاوي للنشر و التوزيع ، عمان ، 2011 ، ص 239 .

<sup>2</sup> درويش محمود ، "أوراق الزيتون ، [ورد أقل] " ، دار الكتاب المختارة ، حيفا ، 1964 ، ص 140 .

يعلن درويش أن الحياة تستحق أن تعاش و أن يستغل الإنسان اللحظات الجميلة فيها ، لكنه الآن ليس حاضرا بعد أن غيبه الموت ، و تتوقف البستاني في هذا النص عند اللحظات التي تستحق البكاء في هذه الحياة ومنها رحيل درويش ، ولأن درويش عاش منشغلا بهمّ إنساني كبير تمثّل في وطنه فلسطين ، فإن البستاني أيضا منشغلة بهم مشابه .

تدعو التناصت التي تعرضنا إليها نماذج لأشكال رافضة للظلم والقهر الإنساني ، من خلالها إلى التحرر والثورة لتغيير واقع سئم العرب العيش في كنفه .

وصفوة القول يتمثّل في أنّ شعر بشرى البستاني شعر عظيم في لغته عذب في إيقاعه لوحات بيكاسو في صوره ، وبناء متماسك وصلب في نصوصه هذا يعني كما يقول ت س إليوت إنّ "الشعر العظيم في جميع الثقافات البشرية، انما ينبع من موضوعات أخرى تمثل المحتوى الميمي للنفس البشرية المتحمسة للحياة، والمقبلة عليها بحرارة وحنين"<sup>1</sup> فنصوصها إذن ربط بين أجواء الحاضر والماضي من خلال حضور رموز من التاريخ القديم الجديد في وعي الشاعرة، كما أن الشاعرة استطاعت برؤية حديثة أن تعانق بين أنواع مختلفة بل وبين الأجناس أيضا لتكسب نصوصها القدرة على خلق رؤية مركبة ساهمت في التجديد .

<sup>1</sup> يوسف سامي اليوسف ، "ت س إليوت" ، الدار البيضاء، ط2 ، 1993 ، ص26 .

إذا كانت السياسة تدبر شؤون العامة ، فإن الأدب السياسي هو نزعة في الأدب والفن نشأ من امتزاج الأدب وعلم السياسة ، والعلاقة بينهما معقدة ومتشابكة ، فتمتد السياسة لتشمل كل قضايا الإنسان وتتحكم في احتياجاته وتوجه اهتماماته ليتوغل الشعر ويرتبط بحياة الإنسان في أدق تفاصيلها يصورها ويكشف خفاياها وينتقد مساوئها ويقدم لها ما يراه من حلول .<sup>1</sup>

و لا يزال الأدباء والشعراء صوت الأمة ، وضميرها الحي وممثلي إرادتها فتعرضوا لأنواع القمع والتهميش ، لأن السلطة لا تقبل الشعراء فهم دعاة الحرية ولسان الشعب وقادته نحو التحرر والتنوير وروحه التي كلما ألقوها إلى النار بعثت من جديد .<sup>2</sup>

والشعر السياسي عند البستاني ثوري رافض إذ " لا يمكن للأدب وحده أن يغير الدنيا والعالم ، ولكنه دافع قوي لكشف المخبأ وتحريك الساكن ، ومقاومة كل ما هو مزيف وغير صحيح " <sup>3</sup> ، فالرفض السياسي عندها تعبير عن النزعة الوطنية ، ومدى حبها لوطنها الذي سجل السمة الغالبة في شعرها ، فهو منبتها ومهد حضارات ومصدر اعتزازها ، وهو كذلك رفض الاحتلال ، وتشدهمة الأمة في المقاومة، ومن ثم ارتحاله إلى التصوف الذي وجدت فيه عالما مستقلا ترتاح فيه نفسيتها لتختمه بالبعد الإنساني متضامنة مع إنسانها العربي المضطهد .

<sup>1</sup> سكينه قدير ، الحسيات في الشعر العربي ، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2004 ، ص ٣ .

<sup>2</sup> نسيب نشاوي ، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر - الاتباعية - الرومانسية - الواقعية - الرمزية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص 314 .

<sup>3</sup> نور سلمان ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، دط ت ، ص 187 .



## أولاً : البعد الديني

لكل فرد فكر معين يختلف به عن غيره ، ويكون هذا التوجه إما دينياً أو فلسفياً بيدي من خلاله آراءه الفكرية اتجاه قضية معينة ، والشاعر العربي الإسلامي يجسّد توجهه الديني الواضح في شعره ، وكذلك بالنسبة إلى شاعرنا نظراً لنشأتها الدينية ، إذ حفظت القرآن الكريم في سن مبكرة وكذا الشعر على يد والدها ، ممّا جعل هذا الجانب قوياً لديها.

## النزعة الصوفية :

يرفض الشاعر المعاصر - في الغالب الأعم - الواقع من منطق المسؤولية التي يشعر بها داخل الذات الراضة للموانع والحدود التي يفرضها عليه العصر الذي يزامنه فلا يستطيع التأقلم مع مجريات الأحداث ، فيؤثر النزوح إلى عوالم الصوفية ، لعله يجد فيها الخلاص لهومومه وعذاباته وآلامه وتأزمه.

جاء ارتحال بشري البستاني نحو التصوف باعتباره نوعاً من التوسع النوعي العمودي واصطفاف ضد الظلم ، لأن نشأة الصوفية في تراثنا جاءت تيار زهد ضد الإغراق في الملذات والشهوات ، وفي العصر الحديث استعملت الصوفية للتعبير عن الظلم والاضطهاد والرفض والسخط على مجريات الواقع ، ومنه فالتعبير الصوفي عند البستاني احتجاج على هيمنة الحس المادي وتمدده على مساحة وجودنا ، واستفادات من التجربة الصوفية وتقنياتها اللغوية التي لم تفتقر يوماً إلى اللغة أو تقصر في التعبير عن الأحوال الشعورية بكثافة - - وشاعرنا من بين الشعراء الذي وجدوا في الصوفية الملاذ الآمن لمكابدات الذات وما تحمله من هموم داخلية وخارجية ، وجاء كتاب الوجد ثمره هذا النزوح فتقدم عن طريقه مقارنة غير تقليدية للحب الإلهي ، فتخترق عالم الواقع لتقدم نظرية الاختلاف بلغة صوفية رافضة وثائرة ، والاختلاف غير مرغوب فيه في ثقافتنا العربية ، فنحن لا زلنا نعتقد أن الاختلاف فتنة فتقول :

سفر في الروح ،  
 سفر في القيود ،  
 سفر في الأغلال ،  
 وسفر في العيون ،  
 في مياه الأصابع ،  
 في سماء السواعد ، في العلم الأزل ،  
 ولعوب في نعيم الشفتين .  
 ويقولون .. تجنب ، تجنب<sup>1</sup>

تحاول أن تجد في حياة السفر و الترحال خلاصاً نهائياً من همومها لكن - القيود والأغلال - تظل تلازمها في كل مكان تلجأ إليه ، فتبقى غريبة في بلدها ؛ وأحس في صراعها أن الخلاص الحقيقي يكمن في السفر من هذا العالم المادي والانغماس في حياة المثل ، إذا " فالسفر بديل مطروح وتعويض مطلوب ، السفر إنعتاق من العبودية وانطلاقة في المجهول ، خروج من القيود ودخول في فضاء الحرية ، وهذا السفر يحقق لذة الاكتشاف والتحرر من القيود الخانقة " <sup>2</sup> ، فسفرها هنا ليس سفراً حقيقياً وإنما هو سفر نفسي تعويضاً للخواء الذي تعيشه الشاعرة وتعتبر الصوفية " أول من أشار إلى التجربة الروحية شبيهة بالرحلة وهم الذين جعلوا من

<sup>1</sup> بشرى البستاني، المرجع السابق ، ص176 .

<sup>2</sup> وفيق خنسة ، دراسات في الشعر العربي الحديث ، دار إقرأ ، بيروت ، دط ت ، ص20 .

سعيهم وراء الحقيقة سفرا مضنيا مليئا بالمفاجأة والمخاوف في طريق موحش طويل ، قد ينتهي سالكة إلى نهاية سعيدة إن وفق الله و أراد " <sup>1</sup> .

افتتحت نصها بلفظة ( سفر ) التي تبحث فيها عن من يشاركها أحزانها ووحدها ويخرجها من أزمتها ، ووجود حرف الجر (في) فيه دلالة على زمن سفرها وانغماسها في التجربة الصوفية ، ليظل صوتها واضحا في تصوير طرقي الاختلاف ، ووجهة تحذيرا لمن أهمل مبدأه الديني (لعوب ) وتدعوه إلى الابتعاد (تجنب) ، لتنادي مولها الذي تتعلق به تعلقا خاصا .

إنّ معظم الألفاظ والعبارات التي استعملتها الشاعرة انزياحية ، تعمل على التوعية والتنوير ، والكشف عن الرغبة في العيش بسلام ، ذلك السلام المفقود في زمن القوي يأكل الضعيف ، و إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يحيا بدون ماء وطعام فالبستاني لا تحيا بدون عاطفة صادقة وحب حقيقي تسمو به فوق المتطلبات المادية وتحلق في عالم روحاني ، ألا وهي الشريعة الإسلامية مصدر الاطمئنان والسكينة ورمزت لها بعالم الروح والعيون المتشوقة للعيش في العالم الأزلي، وتواصل البستاني صوفيتها الراضية للفساد النفسي للإنسان في قصيدة أخرى :

مائدة الخمر تدور .

يمحو اللؤلؤ ما سطره الياقوت على الأغصان .

لا أستثني وجع السم القابع .

في كهف البرق الأخضر .

مات السمك الأخضر مقتولا في ثقب الإبرة ،

<sup>1</sup> صلاح عبد الصبور ، حياقي في الشعر ، بيروت ، 1983 ، دط ، ص 20 .

قال اليلك : ثقب الإبرة أوسع من بحرٍ .

تبتلع الحمى مرساهُ .

وتأخذه نحو ذراع الزبد الطاعن بالصدِّ .

ينفرط العقد ، وأهوى نحو القاع<sup>1</sup> ..

كتبت القصيدة ليلة العدوان على العراق ، فصورت الطغاة حول المائدة والجميع سكر لقتل  
شعب أعزل بريء ففتحت المنافذ البرية والبحرية والجوية كلها .

تقرن البستاني بين الصوفية والخمرة والمائدة لتدل على فقدان الوعي والإغماء في سلب حرية  
الإنسان ، وتجعله فرداً لأن بقاءه يعتمد على الجماعة التي يحيا بها وفيها وهي التي تلهمه الثورة  
والتمرّد وتعزز فيه ذاتيته وتشحن ذهنه للبحث عن اللباب والمضمون الإنساني في العلاقات السياسية  
، ومرجع هذا الاقتران إلى طبيعة التصوف " الذي يتسم بالحركة و وبالاضطراب فإذا وقع  
السكون فلا تصوف "<sup>2</sup> .

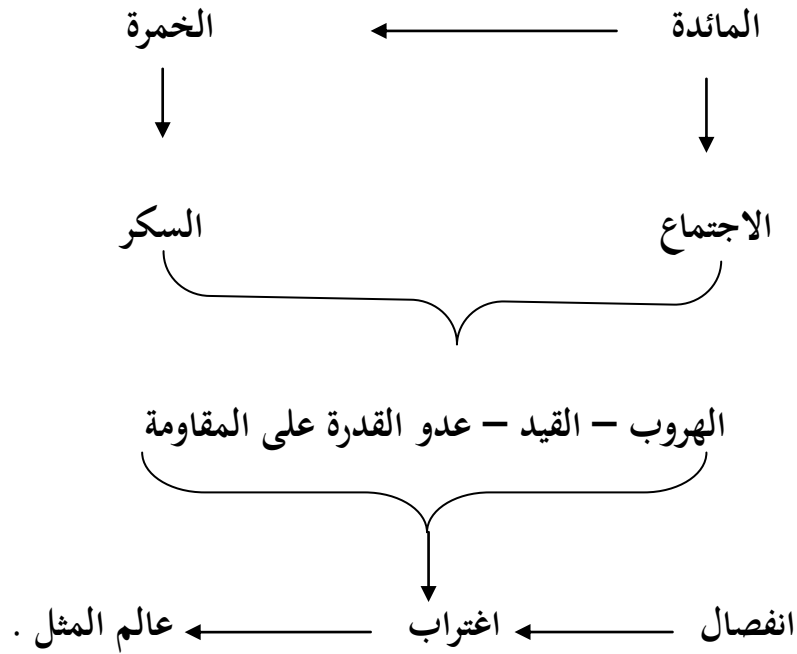
خمرة الصوفية خمرة النشوة " تلك النشوة التي تفيض بها نفس الصوفي ، وقد امتلأت  
بحب الله حتى غدت قريبة منه كل القرب ... وهو حال من الدهش الفجائي يعتري العبد " <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، الأعمال الكاملة ، قصيدة مائدة الخمر تدور ، ص 152 .

<sup>2</sup> محمد مصطفى هدارة ، النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث ، مجلة فصول مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، ع 4 ، 1981 ،  
م 1 ، ص 107 .

<sup>3</sup> عدنان حسن العوادي ، الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 ،  
ص 119-120 .

في هذا المقطع تكون حركية الأشياء مصاحبة لها وإسقاطا للحركة النفسية و الفكرية والشعورية عندها والتي تشي بجوهر العلاقات فيما بينها ، فالأشياء { اللؤلؤ - الياقوت - الاغصان - السمك - البرق الخضر - القاع ... } تعمل على معاكسة الآخر ومعاداته وعرقلة انطلاقه بل وسجنه ، لأنها في اضطراب شديد تعمل على توقف الشاعرة وسكونها بدل من سفرها الصوفي في فضائه البعيد عن القبح والرؤيا التأملية لحركية الأشياء تمنحها قوة الحضور وعمق الفهم الشامل لكل ما حولها ، إذ تعيش حالة نفسية اغترابية في مجتمع غرق في الملذات ونسي حب الله وحقه وامثل لعالم الماديات المفسد للروح والجسد .



تتكون القصيدة من ست عشرة مقطع ذكرت المائدة بدلالات مختلفة ، من بينها أربعة موائد للخمر ، وثلاثة للحرب وثلاثة للصبر واثنان للوجد ، واثنان للحب ، واحدة للمسك ، وواحدة للموت ، البداية للخمر و النهاية للصبر ، من خلال تشكيل تقابلي للمفردات التي أضيفت إلى المائدة الثابتة لفظا والمتغيرة دلالة ، نجد أن الحرب تتحد مع الموت ، ويتآزر الحب مع الوجد والخمر والمسك ليتبادل الصبر جدليته بين الحرب والموت في مشهد حقيقي للواقع الذي نسرح في جنباته .

الخمرة في الصوفية اللذة التي لا حدود لها ، والمطلب التي يتنافس من أجله الزهاد والعباد لكسب محبة الله والعيش في نشوة الإخلاص له والعمل بشريعته سبحانه وتعالى ، هي في القصيدة تنساب بحركة حلزونية تشي بأن العالم سكر وفقد عقله لتحطيم شخصية الإنسان العربي ودفعه إلى البحث عن الفناء :

وأفعل ما لم تفعل حواء .

أشد بأغصان الرمان .

عنقي ... ثم أموت<sup>1</sup>.

تحارب بصوفيتها التعاون العربي للفتك بمقومات الأمة وتحطيم شعب أعزل ذنبه الخضوع للدكتاتور والسعي للعلم والمعرفة و التطور .

يمحو اللؤلؤ .

ما سطره الياقوت الأحمر ...<sup>2</sup>

فاللؤلؤ رمز لتسامي الغرائز وتعاليتها على المادي والنزوات والقبح ، وفي هذا المقطع تدل على أنه رمز النقاء والطهر والبراءة ، كما يدل على عمق المحنة والجرح النفسي لأنه يتكون في أعماق البحار ، والحقيقة الداخلية المشعة تؤكد انتصاره على عوامل العنف الخارجية الغارقة في الدم وحروباً لا تهدأ ؛ وتترك النهاية للحب المطلق وأساس مواصلة الحياة بسلام وهدوء ، كما تتبادل الشاعرة مع الأرض الحماية والحب و الأمن تلك الأرض الكونية التي أشعلتها صواريخ الطغاة ونيرانهم فتنا ونارا ، وتعد واحدة من إشكاليات عذابها - وعذابنا معها - وحبها معا .

<sup>1</sup> البستاني ، الأعمال الكاملة ، قصيدة مائدة الخمر تدور ، ص 155 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 156 .

أستلقي تحت سرير الريح .

فتخرجني الأرض من الأرض ..

وأخرجها من كأسِي ...

ترقبني عين الصياد وتنتقص الكأس ...

أكتب بالخمرة فوق الأقداح ..

أحبك ... !<sup>1</sup>

فالقَدَح هو القارورة الفارغة من الخمر<sup>2</sup> ، فإن امتلأت خمرا سميت كأسا لتسارع الشاعرة منتصرة لإرادة الحياة بما يفاجئ الصياد ليزيد كيذا على فقدان الصيد ، ثم تحضر الكتابة لتوثق ذلك وهي رمزٌ للخلود واستمرارية الفعل في التاريخ حيث تتلاحم نشوة السكر بنشوة الإبداع ، الذي يعتبر أرقى أنواع التحقيق الإنساني ومادته الخمرة ، فهي لدى الصوفية النشوة الروحية والإنسان العادي الهروب من رداءة الزمن وتوجههما بالحب المكتوب وأي كتابة {كتابة بالخمرة} الدم المستضعفين والمقهورين في العالم .

فمائدة البستاني ليست مائدة امرئ القيس ولا مائدة القرآن أو مائدة الحكام والزعماء التي يخططون عليها ويشعلون الدرب والحرب والنسل ، بل مائدة صوفية تهرب بفعل الدوران من العالم الحسي المؤلم إلى عالم المثل الأسمى للمدينة الفاضلة .

<sup>1</sup> البستاني ، الأعمال الكاملة ، قصيدة مائدة الخمر تدور ، ص: 158

<sup>2</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، باب القاف ، [ مادة ق د ح ] ، ج 12 ، ص 33 .

تعرج البستاني بصوفيتها إلى واقع الأمة الأشد قتامة ، الأكثر مرارة ، الساقطة في واقعية الصمت والقمع والاستلاب والضياع الأمر الذي جعل الشاعرة أن تكون أي شيء إلا أن تكون ذاتها ، لما يحيط بها من ضبابية وما يعتريها من تمرد وأسى ووجهة أملها ، أن يخرج هذا الوطن من منفاه ليعث في ظلال من النور والضوء متوجا بالفرح والأغاني ، والحالة الصوفية التي يصدر عنها هذا الحس المتوهج ، تتجسد فيها صورة الرفض وعدم الانصياع ، والبحث عن الزمن العربي المشرق في فترة معينة وليس المختال أو الهائم في دوامة النفي .

وصفوة القول إنّ صوفية البستاني تقتحم ميدان الحياة ، وتجوب المجتمع - بكل التناقضات - فتتخطى شروره وتحاول استئصال جذوره وتزرع مقابل ذلك فسائل الخير وترعاها " وحين تتخلى الصوفية عن وجهها السلبي لكي تنغمس في الواقع الذي ترفضه وتبتعد عنه فإنما تصبح بذلك فنا ، تصبح شعرا إنها تجعل من كشوفها وسيلة لتغيير الواقع ، وهي تغير هذا الواقع بالكلمة الشاعرة"<sup>1</sup>

كما نجدتها متحدة بين الذات والواقع ، ذلك أنّها تنزع في معجمها الصوفي نزعة التحرر والثورة والبحث عن التكتل والتوحد في مواجهة العالم المادي المسيطر على فكر و وجدان المرء العربي والإسلامي ، وصوفيتها لا تعدّ صوفية سلبية تهرب من خلالها إلى عالم المثل لتنعزل عن العالم وكأن ما يجري حولها لا يعينها ، بل صوفية ايجابية.

### البستاني وابن عربي الصوفي :

إنّ نقلة الإنسان من التكييفات البيولوجية الفطرية إلى التكييفات الحضارية الواعية ، ساعدت الذات في محاولة تجاوز غريزتها ، والتطلع إلى مداعبة أسرارها الباطنية في صراعها المرير مع مقتضيات الاجتماعية فنزحت إلى الصوفية لعلها تجد في المعتقد الصوفي مخرجا لها من هذا المأزق " لأن هذا

<sup>1</sup> عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، ص 414 .



الميدان خير ميدان تفتتح فيه ذاتية الشاعر وفرديته ، فهو ينفصل عن المجتمع ظاهريا ، ليعيش آلامه - التي هي نفسها آلام مجتمعه - بوجود مأساوي ، إن هذا النوع من التصوف محاولة لتعويض عن العلاقات الروحية ، والصلات الحسية التي فقدتها الشاعر " <sup>1</sup>

فالشاعر لا يرى ، وإنما يدرك بإحساسه مراميه مع الارتقاء إلى المبادئ العليا ، والصوفية بحث مستمر عن هذا الارتقاء ورمزية الإنسان في معناه الأسمى ، لاتصال الذات بهذا المعنى وتأصيل جوهر إنسانية الإنسان - من صفة وخلق وعمل - ، ومن هذا المنطلق تجسدت بوضوح صوفية ابن عربي في شعر بشرى البستاني والتي تعد هروب من الواقع المر إلى حياة أكثر هدوء وسعادة .

والحقيقة أن التزام الشاعرة بفكر ابن عربي في جانبه الايجابي الذي يرفض التعامل مع التأثيرات العيانية التي تنزعها حواسنا من حيث المظهر الخارجي ، التي تغرق صاحبها في النظرة النفعية ، وكأن العمل الإبداعي في الحالتين يدرك من أجل العمل ، في حين ينبغي التعامل مع الحركية الإبداع بتجاوز الاستجلاء إلى الرؤيا الكشفية ، وليس في جانبه السلبي الذي يدعو إلى الإلحاد والكفر والتشكيك في الدين الإسلامي ، وشاعرتنا بتوجهها إلى صوفية ابن عربي إنما هي محاولة البحث عن الباطن والمضمرة والخفي للتعبير عما يشغل فكرها ويؤرق ذاتها المنشطرة بين عالم مادي تملؤه الصراعات لتحطيم إنسانية الإنسان ، وعالم جوهري لا يسمح فيه بالعيش إلا من خلال البحث في دواخل الأشياء " هي أرواحا لطيفة غريبة فيها استجابة مودعة لما يراد منها ، هي سر حياتها وتلك الأشياء ، محبوسة في تلك الصور ، تؤديها إلى هذا الروح الإنساني الذي قدرت له " <sup>2</sup>

<sup>1</sup> إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، فبراير 1978 ، ص 208 .

<sup>2</sup> يوسف سامي اليوسف ، ما الشعر العظيم ؟ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1981 ، ص 146 .

اشتركت البستاني وابن عربي في أفكار متّحدة فعبر كل واحد على نهجه الأولى بالشعر والثاني بفلسفته لخلق حياة مثلى كريمة تسرح فيها الذات البشرية بكل حرية وعزة وسمو ، وذلك بطرح همومه ومظالمه ودفعه نحو التحرر والرفض والثورة في شعر صوفي مزدوج المضمون والشكل فتقول شاعرتنا :

فمتى تمتثل معرفتك لمعرفتي ...

وليس من دواء إلا الدخول في الحضور .

والعودة إلى المحضور .

وأنا أنتظر قمرا يليق بفصولي .

يليق بشرف البيد التي تسكن دمي .

يليق بخمر أزمنتي <sup>1</sup> .

رؤية البستاني في شعرها رؤية فكرية صوفية تمتثل لنوازع ذاتية حتى تماهي عالم المثل الذي من خلاله تحاول معانقة العالم وقواه الباطنية المثلى واقتزانه بمبادئ التمرد والمغايرة ، وملاحقة المضمرات الخفية ووصفها تشكيلا جوهريا لحقيقة مثالية ضائعة :

أحبك .

كي تتعلم الأجيال حوارية الحرية ...

تعلمني أم أعلمك ...!

والبطولة أن نموت ظمى .

لا أن نعب الماء !

وبطولتي أن أنتزع مائي ، وأن أنتزعه <sup>2</sup> .

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، كتاب الوجد ، ص 197 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 167 .

برهنت بشعرها ووعيها العميق لدروب الوعي اللامتناهية والتي تشترك مع عديد الشعراء في هذا الفكر (كابن الفارض و أدونيس وصلاح عبد الصبور) هذا الوعي الذي لا يمكن رصده ويمكن تصويره من حيث كونه تحليلات لا يدرك إلا بالعقل الباطن ، ولا نعيه إلا بالوجدان .

كما اتفقت معه في تجسيد الذاتية في شعرها ، اختلفت في نفس الفكرة ، إذ تملصت من الذات نتيجة حرمانها من موطنها الأبدي ، وإقصائها من سرمديتها ، فوعي الذات لذاتها قد أفرز نزعة وجودية تعنى بالنزوع إلى قيمة الإنسان وتفردته ومعايشة الواقع وجدانيا ، ومن سماتها إدراك التجربة المعاشة :

الماء المر ، الشجر المر ،

قطرات المطر تأخذ شكل الدم ،

أبصر سيول الدم في سقف غرفتي .

في ممرات بيتي ،

في شرف قلبي .

في الشوارع والملاعب .<sup>1</sup>

اعتمد ابن عربي في كتاباته على لغة مبهمه عن قصد ، فأكثر من لغة الإشارة والرمز ، فنجد الرمز والإشارة في شعرها لكن ليس هروبا أو إلحادا وإنما رفض وثورة وهذا ما تطرقنا له في الفصل الأول في اللغة الشعرية عندها .

<sup>1</sup> الأعمال الكاملة ، ص 66 .

وصفوة القول إنّ صوفية البستاني إسلامية ينبثق إشعاعها ونورها من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن البيت الذي تربت فيه واقتبست من صفائه ؛ وأهم من يمثلها أولئك الأشخاص الذين تعلقت قلوبهم بحب الله .

فالشاعر يحاول أن يرتقي إلى الأسمى والأنبل ، واعتلاء العوالم الأبدية المتعاقبة ، وحقائق الروح المثلى بكل معانيها وتحلياتها ، ذلك " أن الإنسان في الفكر الصوفي لا يعيش حالة من اللاوعي أو السلبية ، بل إن الإنسان هو الحقيقة الأكثر حياة في هذا الوجود " <sup>1</sup>

إذن فالشعر الصوفي هو شعر يهدف إلى البناء ، لأن " الصوفية الملتزمة تحاول وضع الشعر في موضعه الحقيقي ، بالنسبة لقضايا المجتمع ، حيث يتعانق الفن والعقيدة ويلتحمان في بنية موحدة لخدمة الإنسان في جوهره ، فيرتفع المضطهد من وهدهته ، ويتحرر العبد من عبوديته ، ويطعم الجائع ويكسى العريان وتضرب يد البطش " <sup>2</sup>

#### القدس في شعر البستاني :

القدس قلب العرب النابض ، عاصمة فلسطين ومهد السيد المسيح عيسى عليه السلام ومسرى النبي محمد " صلى الله عليه وسلم " أولى القبلتين وثالث الحرمين ، فهي إحدى وأهم أبرز القضايا القومية التي انفعل بها الشعراء العالم العربي ولم يغفل عنها إلا جاحد فأخذت حيزا كبيرا من إنتاجهم بدءا من النكبة 1948 ، مروراً بالنكسة 1967 ، ووصولاً إلى وقتنا الحاضر.

فهي قضية شعب عربي مقهور تحت وطأة طغيان واستبداد صهيوني ظالم ومن يقف معه ، فهذه الوقفة التي يقفها الشاعر العربي إلى جانب إخوانه في فلسطين تهدف إلى تأصيل روح الثورة والمقاومة لما تحتله فلسطين في ضمير الأمة الإسلامية باعتبارها حاملة للموروث الإسلامي وقيادته

<sup>1</sup> مصطفى محمد هدارة ، النزعة الصوفية في الشعر العربي المعاصر ، مجلة الفصول ، ع : 4 ، 1982 ، ص 46 .

<sup>2</sup> عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية ، المرجع السابق ، ص 414 .

الدينية المتمثلة في القبلة الأولى واحتوائها للمسجد الأقصى " وللأماكن المقدسة في وعي الشعوب وحركتها أكثر من دلالة ، فهي أحد أهم الحوافز التي يمكن استغلالها في إطار الصراع الدائم والمستمر على كسب مكانة هامة بين الشعوب . والمسلم به - تاريخيا - أن الشعوب التي تستطيع الحفاظ على أماكنها المقدسة خالية من دنس منافسيها ، هي الشعوب التي تستحق أن تمتلك مقومات العزة والمنعة والنفوذ"<sup>1</sup>

والدفاع عن هذه المقدسات في أي أمة من الأمم يعتبر أحد مقومات توحدها وسبب انبهارها في بوتقة الوحدة الدينية ، " إضافة إلى ذلك فإن الأماكن المقدسة هي إحدى التعبيرات الحضارية للأمم بشكل خاص ، فمعابد الرومان والفرس والعرب وغيرهم من الأمم والشعوب ، كانت ترمز إلى الشكل والمستوى الحضاري الأرقى لهذه الشعوب ، خاصة في القرون السابقة على القرنين التاسع عشر و العشرين لأنه في هذان القرنان بدأ يبرز التعبير القومي في كثير من الأمم كبديل للتعبير الحضاري الديني"<sup>2</sup> ونحن المسلمون نعتز بها لما تكتنفه في جوانبها من مسيرة الأنبياء والرسول فتحمل من الدلالات النفسية والدينية والاجتماعية والتاريخية ما يجعلنا نلتصق بها لصوقا قويا .

ومن هذا المنطلق استطاعت التجربة الفلسطينية وسوداويتها أن تحتل جانبا مهما من وعي الشاعرة بسبب ما تعرضت له هذه القضية ، الأمر الذي يسوغ لنا القول بأن الجوهر الشامل للقصائد التي وجهت لهذه القضية ، كانت مشحونة بالحسرة موجعة وإحساس طاغ باليأس ، والتذمر في الحس القومي ، فامتدت التجربة - الفلسطينية - في وجدان الشاعرة لتمثل رمزا لانسحاق الذات العربية ؛ أمام واقع فاسد مليء بالتنكيل والطغيان والتفسيخ ، والوقوع في مصيدة

<sup>1</sup> سعيدي محمد ، ملامح الرفض في شعر مصطفى الغماري ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف أد: محمد عباس ، قسم الأدب العربي ، جامعة تلمسان ، ص: 104.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

الغرب والصهاينة من تشقق وحروب أهلية داخل البلاد العربية . غير أن هذه العوامل لم تمنع شاعرتنا أن تزف لها قصيدة محبة تظهر فيها الحسرة على ما آلت إليه الأوضاع في القدس نتيجة عقم السياسات المتخاذلة والغير مبالية والتي تطبق على فضاء الأمة العربية :

القدس أيتها الغراء .

سيدتي .

لا تحزني إن جئت للشهادة .

فحاكم البلدة إن صدقت .

سيأمر الثور الذي يحمل فوق الماء .

عرشك أن ينفذ قرنيه .

فلا يبقني سوى الصحراء .

أيتها الأرض قفي في الجلسة الأخيرة<sup>1</sup> .

تظهر البستاني بطبيعة انتمائها وولائها لهذه الأمة ، أن فلسطين هي سيدة غراء سقطت بين فكي أسد غاشم ظالم ، و فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير الذي يكمل بعضه بعضاً، فحلم الإنسان العربي ومنهم شعراءها تحقيق أمة عربية واحدة، وهو ما يدفعهم إلى إبداء كل مشاعر الحب والتضامن مع هذا الشعب المسلوب في أرضه .

تتكشف دلالات النص ؛ وتوضح خط الصراع الذي يشغل البستاني في تصوير فاجعة القدس، ودرامية اللحظة الراهنة التي تعيشها " القدس ، أيتها الغراء " ، وهي من " المعينات التي تمنح الخطاب مرجعية ، وتحيل إلى أمور خارجية " <sup>2</sup> ، ففلسطين بعد أن كانت أرض خصبة

<sup>1</sup> البستاني ، مواجع باء - وعين ، دار مجدلاوي ، عمان ، 2011 ، ص 223 .

<sup>2</sup> د محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1986 ، ص 151 .

صارت أكثر جدبا وحرزا جراء ما وقع لها ( الصحراء ) ، ولعل ما يؤكد على ذلك توظيفها للرمز الأسطوري الذي تشير فيه إلى أن الأرض عامة محمولة بين قرني الثور .

تحولت القدس والمدن الفلسطينية إلى منبر للخطابة العربية ، وبأيدي الاحتلال إلى مكان للدنس والنجاسة والمنكرات يعني بأية حال من الأحوال التخلي عنها أو التنكر لها ، لأنها القدس الحبيبة وكلما أمعن الاحتلال في تدنيسها أمعن الفلسطيني والعربي في عشقها كذلك، فالجميع يطلب الشهادة في أرض فلسطين حتى شاعرنا ، ( لا تحزني إن جئت للشهادة ) فالسطر هذا دليل على مدى شوقها للشهادة في وطن عربي موحد عاصمته فلسطين كما تدعو الأمة للوقوف كرجل واحد لتحريرها.

والبستاني شاعرة عصرها لا يمكنها أن تدع حدثا كاعتصاب القدس وتشريد مئات الآلاف من الفلسطينيين تحت وطأة القتل المجاني، دون أن تحرك مشاعر الرفض والثورة والمقاومة ، وبخاصة مجازر صبرا وشاتيلا لتبين انتهاكات الصهاينة لحقوق هذا الشعب المغتصب في جغرافيته فتقول :

ببرقه تسقط الرايات ... واعمره .

في برلين تجهش طفلة من أجل .

شاتيلا و صبرا ،

تنشج كريستين .

عار من محيط الأرض يكتنف الخليج<sup>1</sup>.

إنّ الانتهاكات الإنسانية لشعب فلسطين والصمت العربي وهاجس الموت والدمار والخوف كلها عوامل تدل على مدى وعي الشاعرة بهذه القضية وإيمانها بها وإدانتها للجرح الفلسطيني النازف منذ أكثر من نصف قرن ، القصيدة تعبر بصراحة عن مشاركة الشعراء العراقيين إخوانهم

<sup>1</sup> البستاني ، أقبل كف العراق ، وزارة الثقافة ، بغداد ، ط 1988 ، ص 433\_434 .

الفلسطينيين في محتهم لأن الجرح واحد ، والرغبة مشتركة في الانعتاق من نيران الاحتلال . فتؤكد عمق الرابطة القومية التي تجمعهما ، وتحقيق لروح المقاومة والتصدي لتحرير الإنسان من العبودية والاستغلال وتظل " قضية فلسطين ليست مشكلة قومية على الصعيد العربي ، أو أنها مشكلة اجتماعية بالنسبة لأبناء فلسطين ، وإنما هي مأساة إنسانية عامة هي مأساة العنصرية ، أكبر وصمة عرفها التاريخ الحديث " <sup>1</sup> .

وفي زمن الترددي العربي ينتفض أبناء فلسطين لعلهم يحركوا مشاعر الساسة الذين كانوا سببا في ضياع القدس :

ويطلع وجه الفدائي يفتح باب دمشق ،  
بفجر سورا تطاول ما بين رفضي ،

.....

وتطلع بين الصخور الشمال عيونك ،  
تطلع بين الخليل وعكا ،  
وينهمر الثلج ، وينهمر الثلج . <sup>2</sup>

تظهر الشاعرة القدس عاصمة فلسطين على أنها غرناطة العرب :

أخبي غرناطة في دمي .

أعبر بها إلى المدرسة وأحمل القدس نرجسةً محمومة . <sup>3</sup>

<sup>1</sup> غالي شكري ، شعرنا الحديث إلى أين ؟ ، دار الأفاق الجديد بيروت ، 1978 ، ط 2 ، ص 81 .

<sup>2</sup> بشرى البستاني ، الأغنية والسكين ، ص 560 .

<sup>3</sup> بشرى البستاني ، الأعمال الكاملة [الجب 2003] ، ص 28 .



وعلى كل فرد المشاركة في انتفاضتها ، ونحن الآن في أم المعارك في انتفاضتين العراق وفلسطين  
 معا والولايات المتحدة الأمريكية والصهاينة وكياهما معا ولقد قالها الجنرال الأمريكي في عام  
 1991م للصهاينة :لقد ضربنا العراق لأجلكم وقالها العراق بثلاث وأربعين صاروخا إنها من أجل  
 فلسطين ، وشاعرنا جسدها في شعرها :

ورجالك الآتين ينتشلون

وجه القدس

من غير العراق يضم القدس

يا ألما ويا أملا ويا غرة<sup>1</sup>.

القومية العربية والبستاني :

في مفهومها المعاصر هي الإيمان بأن الشعب العربي شعب واحد تجمعها اللغة والثقافة والتاريخ  
 والجغرافيا والمصالح ضمن حدود من المحيط إلى الخليج ، وفي الأدب هي " التمسك بالموضوعات  
 التي تهتم جل أبناء الأمة الواحدة ، والتحمس لها من حيث الاتجاه نحو الدفاع عن القضايا  
 الوطنية ، وإبراز ما يحث القراء على التمسك بقيمهم في مواجهة خطر حقيقي أو متصور " <sup>2</sup>  
 والقومية العربية بمفهومها حب الأمة والارتباط بها والاعتزاز بالعروبة والدفاع عنها ليست بدعة في  
 العصر الحديث بل خلق متأصل منذ القدم فقد تجسدت القومية أولا في الكيان القبلي بالمفاخرة  
 بالقبيلة والمآثر ، التي تذوب فيها النزعة الفردية ضمن الكيان الاجتماعي قال معاوية بن مالك<sup>3</sup> :

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، " زهر الحدائق " ، ص 472 .

<sup>2</sup> مجدي وهبه ، كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ، بيروت ،  
 منقحة و مزيدة ، ط 2 ، 1984 ، ص 200 .

<sup>3</sup> المفضل بن محمد بن محمد بن سالم الضبيّ ( ت 168هـ ) ، المفضليات ، تح : أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون ، دار  
 المعارف ، القاهرة ، ط 6 ، 2010 م ، ص 355 .

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ عَصَبَةٍ مَشْهُورَةٍ حَشَدٍ لَهُمْ مَجْدٌ أَشْمٌ تَلِيدٌ .  
أَلْفُوا أَبَاهُمْ سَيِّدًا وَ أَعَانَهُمْ كَرَمٌ وَأَعْمَامٌ لَهُمْ وَجْدُودٌ<sup>1</sup> .

وكما عهد العرب وعبر تاريخهم آفاق الشقاق والخلاف والتعصب في السياسة والدين ، ما أدى إلى إضعاف شوكتهم وعبر جميع العصور المختلفة ، الذي انعكس سلبا في سيرهم نحو التحرر والإتحاد ، فكان للأحداث الجسيمة في القرن العشرين وفي مقدمتها الاستعمار الغربي للوطن العربي، ونجاحه في إثارة النعرات الطائفية والعرقية أثر القوي في اعتزاز العرب بتاريخهم وثقافتهم والتمسك بقوميتهم العربية الإسلامية خاصة بعد غزو الثقافة الغربية التي أخذت تجتاح عقول أبناء الأمة في التحرر من العادات والتقاليد التي تحكم المجتمع ، فأحس الشعراء بهذا الخطر فهبوا إلى النداء للمقاومة والتحرر .

وبالرغم مما يمر به الشاعر العراقي وانشغاله بقضيته الكبرى في العصر الحديث - الاحتلال الأمريكي وسابقا السلطة الديكتاتورية بقيادة صدام - إلا أن هذا لم يمنعه من التعبير عن الانتماء والتعلق المتين بأمتة العربية فعاش بتجربته الشعرية الجديدة هذه الأحداث والقضايا ، ومن أهم هذه القضايا قضية الوحدة العربية التي تغنى بها الشاعر العربي وهي " ليست مجرد عاطفة يتغنى بها في مناسبة من المناسبات وإنما هي عقيدة تتكرر باستمرار و تلح عليه وعلى نفسه " <sup>2</sup> . والتزام الشعراء بقضايا أمتهم لا ينقص من قيمة العمل الفني لأن " الموقف الإيديولوجي وحده لا يصنع العمل الفني وكذلك يفقد العمل الفني وزنه حينما يخلو من موقف " <sup>3</sup> ، وعلى " كل شاعر

<sup>1</sup> ابن مالك بن جعفر بن كلاب ، شاعر جاهلي و لقب معوّد لا يعرف تاريخ مولده ووفاته ، - ينظر : ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) ، زهرة الألباب في الألقاب ، تح: عبد العزيز محمد بن صالح السديري ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1، 1409هـ/1989م ، ج2 ، ص187 .

<sup>2</sup> عبد الله ركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ط2 ، ص30 .

<sup>3</sup> عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، ص381 .

يختار موقعه داخل الإطار الثوري لعصره ومجتمعه وكل شاعر يتحرك داخل هذا الإطار ، وهذه العلاقة الديناميكية بين الشعر و الإطار العام للحياة ، هي ما يؤكد مرة أخرى ثورية الشعر المعاصر " <sup>1</sup> . وهذه " الثورة التي لا تجعل من الشعر ظلا باهتا ، ولا من الشاعر تابعا وإنما من الشعر مشاركة إيجابية فعالة ، ومن الشاعر ثائرا يتجاوز ذاته واللحظة العابرة ، وإلى ثورة الإنسان والحضارة في معركتها التي لا تنتهي مع التاريخ " <sup>2</sup> .

ولم تكن بشري البستاني بمعزل عن مشكلات عصرها وقضاياها العربية ، فوعت أحداثها وتجاوبت مع الصدمات التي حفلت بها الساحة العربية ، فانطلقت من إيمانها العميق " بأن العمل الفني هو مشاركة صميمية في واقع الحياة ومحاولة لاتخاذ موقف منها " <sup>3</sup> وإن الشعر هو "وقود المعركة التي تقودها الإنسانية نحو الحياة والسعادة والاستمرار " <sup>4</sup> ، لذا يمكن القول بأن فكرة الالتزام الشاعر المعاصر بقضايا أمته فقد " ارتبطت إلى حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه ، ومدى علاقته بالحياة ، وبالذور الذي يقوم به الأدب في توجيه هذه الحياة " <sup>5</sup> ، فهزت الأحران وعواطف الغضب والرفض والثورة شاعرتنا وما أصبحت عليه الدول العربية من تشتت وتفرقة وضعف :

وجعي فيك ، منكفي .

صارخ ، ذابل ،

<sup>1</sup> عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، ص: 399

<sup>2</sup> غالي شكري ، المرجع سبق ذكره ، ص76 .

<sup>3</sup> عز الدين إسماعيل ، الشعر في إطار العصر الثوري ، بيروت لبنان ، 1974 ، ص 7 .

<sup>4</sup> ميخائيل امطانيوس ، دراسات في الشعر العربي الحديث ، بيروت ، 1968 ، ص 241 .

<sup>5</sup> عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، ص373 - 374 .

يستغيث من الغصة المستديمة ...

طافح كعذاب العرب ...

فرحي فيك ، مستنفر ، ذاهب ، آيب ،

جرح الوجد وجناته والوصب ...

موجع كغزال العرب ...

صوتك المستنفر جراحي ،

ودام كلييل العرب<sup>1</sup> ...

انطلقت البستاني من واقع ملموس تتمثل في سياسة زرع الألم ومحنة عيش في بلاد مغتصبة في جزء واستبداد وعبودية في جزء آخر ، فالشاعرة تؤمن بأن الشعر ذو هدف اجتماعي يسمو به عن المصالح الشخصية ليصبح عاملا للتغيير والتطور والبناء الحضاري لدى الأمم .

وفي هذا المقام تسعى لتحطيم الألم بتحسيدها للأنا الشاعرة بكثرة لتقوم بدورها التحفيزي، في ظل حالة الانكسار العامة التي تشهدها الأمة ، حيث تبرز نغمة الخطاب الغاضب على صمت لتظهر درجة عالية من المعاناة تبث فيها الأنا انفعالاتها المتحدية لسطوة الواقع .

إذ شكلت الأنا الشعرية بؤرة مركزية في نصها ، ومصدر أفكارها تمتاز بصوتها المتفجر، ونغمتها الصاعدة التي تتلمس الواقع ، وترصد جراحه الدامية وإضافة كلمة ( الوجد ) لكلمة (الغزال) فيه تعبير كبير عن غضب الشاعرة ورفض وثورة مع حسرة وألم بواقعها وواقع أمتها ؛ ففوق مثل هذه الانزياح أسهم في منح النص شعرية واضحة تنبع من تنافر المفردات وانسياب المشاعر في ثنايا التراكيب ما يعني أن اختيارها للألفاظ لم يكن عفويا أو عشوائيا بل اختيارا مقصودا ومنظما

<sup>1</sup> الأعمال الكاملة ، ص 445 .

لصدم وجدان المتلقي من جهة، وبيان حتمية الخلاص من هذا التفرق والتشتت الذي يسبب ألم وانشطار في نفسية المرء العربي .

نواصل ولوجنا في عالم بشرى البستاني الشعري ، وخاصة في باكورة إنتاجها الشعرية والتي تزامنت مع الوجدع الإنساني والقومي المر ، وما تركه الجرح العميق في الإنسان العربي والإسلامي الذي لا يزال فعله المؤثر والمؤلم في قلب كل إنسان عربي ، من فاجعة فلسطين إلى نكبة الأمة وإحساسها بالضياع والهزيمة لأسباب عدة ، لسنا في عرضها الآن ، وإنما تظهر حجم هولها وضراوتها في نفوس المتلقين ، لأن الشعر مهما قيل عنه فهو لا يخرج عن كونه متنفسا إبداعيا يصوغ عن طريقه المبدع الحقيقي مشاعره الذاتية المدججة بالهم الجماعي للأمة ، ليظهر موقفه من قضايا العصر ووجوده وشعوره ضمن إطار ذلك العصر .

وفاجعة العرب مرّة ، والخطب جسيم ، فلا يملك الإحساس إلا أن يعتلي منابر الحلم ، ولكن الحلم جاء أيضا محملا بفيض الحسرة والألم فتقول في قصيدها " الحلم " :

غَارِقٌ فِي لُجِّ دَمٍ ...

وجهك الوردي غارق ...

وأنا أحمل قربان الألم ...

لإله ليس في معبده رجعة طارق ...

تنطوي الأبعاد والرؤيا وآتي ...

لسفوح الهم واليأس علم ...

أغرق الآلام والذكرى سرير ...

يحتوي شوكة يسقط نجم ...

في وسادي ...

أفيض الكف على أهداب حلم .

أمسح الوجد وأمضي<sup>1</sup>

يحمل المقطع بين سطورهِ الكثير من الآلام والمرارة والفقْد والذكري والدم لكن كل ذلك جاء تحت عباءة الحلم الذي يجمع كل هذا الشتات ولكن ما يستقطب الاهتمام في هذا المنظر المؤذي للعين والقلب ، بريق من الأمل ؛ فالخطاب منقوع بالعذاب والدم ( غارق في لج - دم ) يحمل في قسامته وجهها ورديا غضا ، فيه دلالة على الأمل المعقود ، برغم ما يجري فيشارك الراوي في بعث روح الأمل ولو كان على صعيد الحلم وليس الواقع المعيش ... فحينما تنطوي الأبعاد ويأتي الراوي - وهو صوت أنا الشاعرة - ليفسح عن المهم

وقد أطبق اليأس عليها حتى في الحلم ، فصارت تغرف آلام الأمة في رحلة مضنية ومزروعة بالشوك ، فتلوح لها نجوم واعدة تحاول أن تلوذ بها ، ولكن سرعان ما يتكشف لها أن ذلك ما هو إلا أهداب حلم يداعبه ويناغيه ، وتبقى على أمل أن تتحقق الوحدة العربية ولو كان ذلك عن طريق الحلم .

تكمل الشاعرة تصويرها للمشهد القائم على الرغم من عدم التصريح المباشر إلا في حدود، تسمح للمتلقي أن يستشف النص ، فنصها يوحي ولا يصرح وهذه هي رمزيه الشعر الحقيقي القادر على إيصال المحمول الفكري ، دون الوقوع في دائرة المباشرة والتسطيح :

كافر أنت وفي عينيك حلم جاهلي .

وأنا أشهد في البيت صلاتك ...

راكعا تلثم أذيال الصنم ...

<sup>1</sup> الأعمال الكاملة ، ص 530 .

وأنا أسمع أصداء بكاء ... تصدية .

فإذا الكعبة دم ...

وإذا نحن سبايا .

نفتح الباب لغزو تيري .

يثأر التاريخ منا وتظل :

كافر أنت .

وفي عينيك حلم جاهلي ...<sup>1</sup>

تفصح القصيدة عبر صوت الشاعرة عن رأيها في تصوير مدى المرارة والألم اللذين يظهران الحزن العميق لما لحق بالأمة ، فتعبر بصور دالة وفاعلة عن مضمون ذلك الحزن على قدر ما تنطوي عليه مفردات { كافر وجاهلي والصلاة والصنم والبكاء والكعبة والسبايا .... } هذا الحشد اللغوي الهائل من مداليل تنطوي على التناقض و الثنائيات المتضادة ، لتصف حالة العربي من سلوك يتسم بروح التناقض الحادة في حياته اليومية ففي الوقت الذي يعلن مفردّه من ريقة التاريخ و صيرورته في الحياة وعدم امتثاله ( للصنم ) - رمز السلطة القائمة المهزومة - إلا أنه يقع في ازدواجية رهيبية حينما يركع ماثلاً أذباله ، حتى حينما تبلغ المأساة قممها وذروتها العاتية ، من تقطيل وخراب للطبيعة البشرية والتي تتماشى عليها النفس الإنسانية قال تعالى " مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ

<sup>1</sup> الأعمال الكاملة ، ص 605 .

أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ كَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا " <sup>1</sup> ، وتراق الدماء في الكعبة وتؤخذ النساء سبايا ،  
ويسمح للغزاة بالمرور فلا يحرك ساكنا ولا يرتد عن كفره .

يتضح أن البستاني واحدة من الشعراء الذين لم ينزلوا عن الواقع الذي يعيشه العربي خاصة  
والشعوب المضطهدة عامة ، فبرهنت عن التزامها بالقضايا القومية والإنسانية مثلما تلتزم بقضيتها  
الأم ( الوطن ) فواكبت الأحداث بمفردات يومية معينة في إطار سياقي كبير ، وبفضل وعيها  
الفكري تمكنت من تجسيد قوميتها وبمراحل تطورها التاريخي حسا ، فشعورا فتوثبا ، فتمردا ،  
فانتفاضة فتورة ورفضاً وغضباً راسخ الجذور في إبداعها .

وهذا الإبداع لم يرق إلى هذا المستوى إلا عن طريق اللغة العربية و التاريخ ، فيعدان أبرز  
عاملين الذين جسدا معني القومية في شعرها ؛ فاللغة لا تعني مجموعة ألفاظ منطوقة بل هي الحياة  
الثقافية بمعناها العام وأداة للفكر :

لغة لجراح العرب .

فأفق يا نخيل الشام .

وأشعل جذور الغضب .<sup>2</sup>

استعملت اللغة هنا لتعبر عن جراح العرب ، فهي ذات بعد حضاري وإنساني ، تشترك مع  
التاريخ بوصفه زمنا فكريا متجددا ، يحمل هموم الأمة وتطلعاتها وتفاعلها مع أحداث عصرها ؛  
فضلا عما يحمل من وجدان مشترك لأبناء أمته :

وإنني أبصر رايات بني حمدان تختص على جرح الرجال .

وأرى سرب القطا المذبوح في ليل الجزيرة .

<sup>1</sup> سورة المائدة ، الآية 32 .



وعصافير الهوى المجروح حول القدس .

والجولان ودلتا الأسيرة .

في لبنان، من يجتث حزني<sup>1</sup>.

استحضرت معاناة الأمة في صارعها وتحديها ماضيا وحاضرا فتذكر بني حمدان والجولان دالتا  
ولبنان لتربط الماضي بالحاضر في انكساره .

اللغة و التاريخ في شعرها روح الفكر والوعي القوميّين ولبه مع الإيمان بتوحيدهما وتفاعلهما  
لتنديد بأعداء الأمة من الداخل قبل الخارج ، وزرع روح التمرد والثورة والرفض ضد الظلم وصد  
الاستكانة والجمود والتعلل بالآمال الخادعة ، قومية البستاني في شعرها فكر وروح وجسد ، نظرا  
لنشأتها الأسرية وجوها الديني والعلمي .

### ثانيا : البعد الوطني

حمل الشعراء الهم الوطني في ضمائرهم وعاشوه من خلال انصهارهم في بوتقة المجتمع الأبي  
الرافض للظلم والطغيان ، فالشاعر يلقي بنفسه في دائرة النار حيث لا تطاوعه نفسه على الصمت  
فيدخل المعترك السياسي متسلحا بقصائده ، هذه القصائد تكون مشحونة بقوة عالية من  
التحريض، بتعرية واقع الطغاة الموحش ، فالأديب والشاعر الشخصان الذان تحتاجهما الأمة للتغيير  
المنشود وإخراجها من الفوضى والقهر السياسي والحرمان .

إنّ التاريخ العراقي المعاصر دائم الحضور في الذاكرة الشعرية التي حفلت بالكثير من الأحداث  
والثورات التي غير خارطة البلد السياسية والعالم العربي ، مما انعكس صداها وظهر واضحا في مجمل  
النتاج الشعري .

<sup>1</sup> البستاني ، زهر الحدائق ، ص 484 .

والنماذج الشعرية لشاعرنا و التي سنتطرق إليها تحمل لنا دلالة واضحة لما يحدث في العراق والكشف عن ما تحمله الذات الشاعرة من خوف وقلق وضياع والصراعات الكثيرة التي تحتاحها من جراء القهر والدمار وكل أدوات الموت ، فأخذت على عاتقها هذه المهمة وجسدتها في جميع دواوينها حتى تشد الهمة وترفع العزيمة لأبناء جلدتها .

### 1 - الوطن :

الوطن ليس ذلك الارتباط بالمكان فحسب بل كل شعور بانتماء الإنسان إلى بلد ، وتعلقه بأهله وأحبته، والتزام بتراثه الحضاري وعاداته ولغته إنّه باختصار هوية الإنسان وخصوصيته الحضارية، ففي العصر الجاهلي ظهرت صورة الوطن في الطلل لقول امرئ القيس :

قفنا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل<sup>1</sup> .

وتفطن الشعراء منذ القدم إلى أهمية الوطن وما يرمز إليه ، وتطورت صورة الوطن في الشعر العربي، وتطورت معها تعابير الشعراء حول مواطنهم وكل حسب عصره الذي عايشه فيها هو ابن الرومي يقول:

إلى وطني أصبو وأذكر في النوى	حلاوة عيش فيه تذكراها مرّ <sup>2</sup>
ولي وطن آليت ألا أبيععه	وألا أرى غيري له الدهر مالكا .
عهدت به شرخ الشباب ونعمة	كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> امرؤ القيس ، الديوان ، ش : عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 2004 ، ص 20 .

<sup>2</sup> خليل مردم بك ، ابن الرومي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1988 ، ص 79 .

<sup>3</sup> ضيف شوقي ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط5 ، ص 258 .

يظهر ابن الرومي أن محبة الوطن محبة عامة تشترك فيها كل الشعوب والأمم ، وانتشر هذا الاهتمام في العصر الحديث والمعاصر بكثرة لما يعيشه العالم العربي من صراعات وويلات الحروب والاعتداءات ... و لا شيء يعدل الوطن لدى أحمد شوقي حتى لو كان في جنة الخلد :

هب جنة الخلد اليمن لا شيء يعدل الوطن  
وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي<sup>1</sup>.

بينما يعتبره إبراهيم طوقان<sup>2</sup> الدين بالنسبة للإنسان فيقول :

ديننا حبك يا هذا الوطن سُرُّنا فيه سواء والعلن<sup>3</sup> .

لقد عبّر كل شاعر بطريقته عن حبه وإخلاصه لوطنه والعراق جزءاً لا يتجزأ من هذه المنطقة ، وهو بالنسبة لشاعرنا الغيث الذي يسقي الأرض العطشى ، والقلب والحبيب المذابة في أحضانه ... إذ تقول في قصيدة الوطن :

يتغلغل حبك في قلبي... .  
كجذور صنوبرة فرعاء ... .  
يتفتح حبك في قلبي .  
كنجوم الصيف البرية .  
يتمش عطرك في .  
كالليل الرطب بغاب الورد .

<sup>1</sup> أحمد شوقي ، ديوان الشوقيات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 12 ، 1986 ، ج2 ، ص46 .

<sup>2</sup> إبراهيم عبد الفتاح طوقان : شاعر و ناقد فلسطيني ولد 1905م في نابلس بفلسطين ، وتلقى علومه الأولى فيها ، ثم بالقدس ليتم تعليمه ببيروت ، عمل بالصحافة ثم التدريس ثم مشرفاً على اللغة العربية بفلسطين ، وتوفي سنة 1941 م . أهم آثاره : ديوانه الشعري ، الكنوز ... ينظر : محمد حسن عبد الله ، إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره ، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، دط ، 2002 ، ص 12\_16 .

<sup>3</sup> إبراهيم طوقان ، الديوان ، دار الآداب ، بيروت ، ط2 ، 1965م ، ص 3 .

يا كلّ المحرومين التعبي .  
 هزوا النخلة تفتح خيمة وعد ... .  
 هزوا النخلة ترفع راية خلد ... .  
 يا وجه الفرخ الآتي ... .  
 عذب جرحك ،  
 منطرح قلبي في فلواتك يا أجمل حب ... .  
 وأموت فيك بلوعتين :  
 قديم حبك ، و الجديد ... .  
 من قال قرب الدار خير ؟  
 كنت في الحالين ظمأى استغيث و لا أعات .  
 وكنت أذوي ،  
 كنت أنمو ،  
 استجير بذوي العيون تشع عن بعد عيونك و الوجوه ،  
 غراء تعكس لي جبينك ،  
 والجراح تمد لي كفين من نار و خمر ،  
 أيها الصيف الربيعي الجميل :  
 تعال ، فتحت الربى الخضراء أعينها ... .  
 واشرعت انتحاري فيك يا خمرا تجرحني و أشربها ،  
 وتنفييني وأسكنها .  
 واعبد لوعة الشوق الذي بهواك يصرعني .  
 أيا وطني ... أيا وطني ... .  
 أقول لوجهك الفتان :  
 لو تعلمني السبيل إلى التوحد ...  
 آه لو تعلمني السبيل إلى التسلي ...

لو تعلمني التوسط في عذاب الوجد ،  
يا وطن العذاب ...<sup>1</sup>

عذاب الوطن هو عذاب ذات الشاعرة و تألمها لما يعانیه وطنها ، والوطن مازال يعد المحرك الأساس لشعراء الرفض لأن أي شيء يتعلق به يكون صوت الشاعر الأقوى ضد الأوضاع السياسية والاجتماعية والزيف والنفاق ... وأمام كل العبث الحاصل في وطنها تقف الشاعرة إلى جانب شعراء آخرين ليكونوا الصوت الرفض لكل المظاهر والنظم المختلفة في وطنهم إذ تقول :

ومن جرح بغداد حتى الدخيل .

تقول :

المسافات طاعنة بالخيانة .

من رأسها للجنوب .

ومن أطلس الحزن .

حتى الخليج و الملاعب غرثي .

.....

يقول :

هي الأرض مصلوبة بالرياح .<sup>2</sup>

تصور البستاني بغداد في هيئة رجل طعن في شرفه بسبب خيانة أهله له ، لأن وجع بغداد هو وجع العالم العربي ، لأن الإنسان زمن الخوف والحرب ينسى الكثير من أحلامه أو يؤجلها، ويكتفي بحلم واحد وهو البقاء على قيد الحياة من أجل أن يكمل دورة الحياة .

<sup>1</sup> بشري البستاني ، ديوان الأغنية والسكين ، [ قصيدة الوطن ] ، وزارة الثقافة ، بغداد ، دط ، 1975 ، ص 585.

<sup>2</sup> البستاني ، الأعمال الكاملة ، [ نخلة الأرض أنوبها ] ، ص 387 .

كما يمثل العراق للشاعرة ذلك الطفل البريء الذي سلبت حرته وخذش جسده ، ومورس  
 ضد شعبه ظلم كبير فعراق الحضارة والعلم والمعرفة أصبح شعلة من نار يكوي بها أبناءه ، فتفوق في  
 نزعة طائفية بدلا من التطورات العلمية والرقى بالأمن والأمان :

ملفحة بوهج النَّار .

طافحة بفوح الفلّ والنّوار ،

صامدة وحق النخل والوعد .

وحق أبي الخصيب و هيبة الجندي .

وحق هواك أكنم منه أضعاف .

الذي أبدي .

وحق هواك يطلع منه في جسدي .

رياحيناً و أجنحة ،

وأصرخ يا غبار الصيف ،

يا وحل الشتاء

ويا عيون الفجر

لا أعطي العراق بجنة الخلد .

تشعل كل ما في الأرض من حزن<sup>1</sup>.

هذه هي العراق عامة والبصرة خاصة عند البستاني ، مشتعلة بنيران الاحتلال صامدة في  
 وجهه باعثة عطر الفل والنوار ، وهي تصر على أنّها لا تستبدل الوطن حتى لو بجنة الخلد ، وهنا  
 نجد تناص مع البيت الشعري لأحمد شوقي السابق ذكره.

<sup>1</sup> البستاني ، زهر الحدائق [ قصيدة البصرة ] ، وزارة الثقافة ، بغداد ، دط ، 1984 ، ص 471 .

و الوطن عندها وطن مسالم و محب و معطاء الذي مارس الطغاة ضده كل أنواع العدوان ،  
 واجتمعت عليه أمم الدنيا بحجج باطلة و أكاذيب مزورة إته وطني الذي وقف مع المظلومين ،  
 ورعى المحتاجين و علم الطلبة العلم من كل حدب وصوب ، فلم يخيب ظنهم ، العراق وطن  
 استثنائي ولذلك كان حيي له استثنائيا :

و العراق الأمان .

العراق الأمانى،

العراق حديقة روجي،

تضم إليها غيوما ، و برقا،

و أزمنة من لظي ،

وجداول شُهدِ تَشُقُّ أكفَّ التراب ..

والعراق عباءةُ أمي ،

وثوب العذارى ،

اللواتي يمتن على السفح .

من ظمأ واغتراب<sup>1</sup> ..

إنها تهيم بوطنها إلى حد التغزل به ، ووصفه محبوب تغرق في حبه ذاتها ، فالعراق لها منقذ  
 الروح من الخراب كما تتألم وتتحسر على كل شبر من وطنها وترثي كل مدينة فيه غير أنّها واثقة بمن  
 يملك حضارة قادر على أن يعيد بناء نفسه وتنظيم حياته من جديد ، وهو ما تجسده في قصيدتها  
 "هو الأصل في ظل التحرير الأمريكي"<sup>2</sup> ، حينما تشير إلى أثر الحضارة العراقية منذ سيدنا أيوب

<sup>1</sup> بشرى البستاني، حوار مع الشاعرة، صحيفة المثقف، بغداد، 20 / 02 / 2011، ع1079، ص321.

<sup>2</sup> البستاني، الأعمال الكاملة، ص 234.

عليه السلام مروراً بصوت زرياب وصولاً إلى فكرة مفادها أن هؤلاء ذاهبون ، وتبقى هي رمزاً للرفض والتحدي والثورة كل أنواع الخضوع والضعف .

وتتألم شاعرتنا لمعاناة إخوانها وتتضامن مع أبناء جلدتها لويلات الحرب ، ولتسليط أنواع

التعذيب والقهر ونشر الجوع والجهل والمذلة :

صلبت مرتين ... صلبت مرتين ..

نزعت عن وجهي قناع الزيف ..

صرخت يا رفاق حزني الغائر الجذور .

صرخت يا مذلة الإنسان ..

فقري مدقع كسير ..

يعضني .. ينوء بي .. يغور ..

أواه يا مقترين للغد الجديد ..

جائعة أنا ..

ظمأى أنا .. ظمأى إلى نفحة نور .

أواه يا رفاق ، يا حفاة ..

من يمنح الضوء لنجم ليلها الذبلان .

للحفر المرمدة العيون ..<sup>1</sup>

تصف الشاعرة اللحظات التي يخشاها وي رهبها كل إنسان ، ومع بروز التعابير " صلبت ،

صرخت ، مذلة ، فقري ، يعضني ، جائعة ... " فيها رفض صريح لما تعانیه ويعانیه شعبها المسلوب

في أرضه ووطنه، وشخصيتها المجسدة بكثرة في النص ما هي إلا رمز للطبقة البسيطة من شعبها ،

<sup>1</sup> البستاني، ما بعد الحزن، [ قصيدة : لحظات ما قبل الانفجار ]، دار النهضة، بيروت، دط، 1973، ص 633\_634 .



وقولها " ظمأى إلى نفحة نور " فيه رجاء كبير في المقاومة والتحرر من قيود الاحتلال والسلطة الفاسدة .

وباعتبار الأرض هي منبت الإنسان وأم ثانية التي تنجب وتربي ، فترفض أن تصير أداة للموت في تأكيد على قيمة الأرض التي تقارب الشاعرة وضعيتها المنشدة إلى أبنائها الطيبين ، بصرف النظر عن انتماءاتهم إلا إليها فهي الأرض التي تأبى إلا أن تكون صامدة وليس للدمار :

والأرض ترفض أن تكون ...

دبابة رعناء

هذه الأرض أم<sup>1</sup> .

تحاول الشاعرة أن تقيم موازنة بين ( الأرض \_ الأم ) بوصفهما رحما يهب الحياة ويضمها ، أما الدبابة بما تتوافر عليه من دلالات قتل وتدمير للحضارة والأرض التي ينشغل الإنسان بإعمارها . وما يثير الانتباه أننا نجد في مجمل قصائد البستاني حضوراً طاعياً للأرض ، وهنا يتأكد أن الشاعرة تتخذ من الأرض مرجعية تتكىء عليها دوماً محيلة إليها كل قيم الخير والخصب والحياة؛ بصرف النظر عن وضعية الإنسان فيها لا يمكن أن تحيل إلا إلى مثل هذه القيم ، فهي محفزة البستاني الأول للإبداع :

والأرض طلع قصيدي الجذلي وقبضتها الأشد<sup>2</sup> .

وتصورها على أنّها الرحم الذي ينجب الأبناء الخيرين الذين يقفون في وجه الدمار بسبب حضور الشر ممثلاً في أمريكا :

والأرض قنديل الدم المسفوح ...

نارٌ على الطلل القديم .

<sup>1</sup> البستاني ، مواجع باء وعين ، ص 260 .

<sup>2</sup> نفسه ، ص 278 .

وفوق أطلال جديدة .

ظلمات أمريكا تخيم فوق أشجار الهديل .<sup>1</sup>

فأمريكا هنا ليست فقط الدولة التي تبعث في العالم فسادًا ودمارًا ، بل كل ما يقف أمام تحقيق الإنسان لإنسانيته ما يجعل الأرض أما تئن حزنا وأسى على أبنائها .

يجسد الوطن أو الأرض نفس المعنى والمضمون فهما خط الصراع الذي يشغل البستاني ، ويتضح تبديد كل ما تملكه من أجل تحقيق السلام في وجه الحاكم - الذكر - الذي ما انفك يحرص على استباحة الوطن وتلويث ظهره وقتل جماله ، فتاريخ البشرية يكشف في الغالب عن ارتباطات الذكر بكل أعمال القتل والخراب والدمار ، والذكر المقصود عندها ليس المقابل البيولوجي لأنثى بل الممارسة السلطوية التي تعيق فهم الإنسان لحرته وإنسانيته .

الشعر الوطني عند البستاني شعر متطور في اللغة والشكل في زمن عربي حافل بالأزمات والقمع والاضطهاد والتجزئة والوهن ؛ وصوتها أحد الأصوات التي تمثل روح الأمة وقلبها النابض مبدية قمة الشعور الصادق والمرهف .

كما هو مزيج بين حب ورفض ، أمل وألم لأنها تستسقي وجعها من واقع شعبها المر ومن آلامه وبؤسه ، وتشحن طاقاته بدفعه إلى الانتفاضة ورفض الموت والاندفاع نحو الحياة الحرة مع طموح ببناء وطن جديد بقاعدة صلبة ، فخاطبت الناس والمدن والأشياء مشكلة ملامح جديدة بأفق مفتوح .

<sup>1</sup> نفسه، ص 260 .

## 2 - الاحتلال الأمريكي للعراق :

شكل الاحتلال صدمة قوية للأديب العراقي بصفة عامة ، والشاعر بصفة خاصة فكان كالمراة للمسرح الدامي الذي جرت عليه أفضع الممارسات اللا أخلاقية من قتل واقتلاع ، نتيجة ما قام به الغزو الأمريكي منذ 2003م حتى 2011م ، إذ لم يكتف بسلب خيراتها بل عمل على زرع فكرة الانحراف الفكري والسياسي والطائفي والمذهبي الذي بدأ عقب الحربين العالميتين ، فتفشيت الفاشية في هذا الفكر وظهرت مجموعة من المفكرين نادوا بالحريات السياسية مناهضين للعنصرية ، على خلاف الصوت العربي الذي كان أقل حضوراً رغم كونه الضحية الأولى للسياسة الأمريكية .

ولم يكن العراقي إنساناً وكاتباً محسوداً في ذلك على شيء ، فتحمل إرثاً متراكماً من تبعات الحالة العراقية السياسية والاجتماعية وانعكاساتها النفسية والفكرية فتقول :

هل رأى حمو رابي ما فعلته الدبابات الأمريكية بأسوار بابل ...؟

ثار العالم ثورة دونكيشوتية<sup>1</sup> على عشرات الآلاف من القطع الأثرية .

لكن الدبابات الأمريكية ظلت تخرب أسوار بابل .

وتهدم شرف قصورها المفتوحة على الأفق ،

وظلت الحرية والديمقراطية الأمريكية وقوانين انتهاك حقوق الإنسان ،

سارية المفعول .<sup>2</sup>

تبدأ القصيدة ببنية متوترة تتفاعل الشاعرة مع الحدث وتكسر أفق التوقع فتذهب إلى الماضي تستدعيه وتستغيث به لأنه كان ماضياً مزهراً بعبق الحضارة وعبرت بأداة الاستفهام في بداية

<sup>1</sup> هي رواية اسبانية من أهم الروايات العالمية جاءت بأدب ساخر ، كاتبها الروائي الإسباني " ميغيل دي سيرفانتس

" miguel de cervantes

<sup>2</sup> بشرى البستاني ، ديوان الحب ، الدار العربية للنشر ، بغداد ، ط1 ، 2003 ، ص22 .

القصيدة (هل) لتؤكد الفاجعة التي حلت ببلدها الحبيب ، ووظفت أسلوب الاستفهام بما يحمله من روح درامية مما يدل على أنه اشتغل على التوجس والانتظار والحيرة والخوف ، وتناوب الأفعال الماضية ( رأى ، ثار ، شرف ، ظلت ) لتثبت حقيقة وقوع الدمار على متاحف العراق رمز حضارته وقوته، ثم توظف الفعل المجهول ( سرقت ) ليعمق حجم الشعور بطمس الحضارة وطمس الهوية ، فلا تكف شاعرتنا عن فضح الأنظمة التي سارت وتسير في ركاب العدوان والتي تضع حدودا وقيودا ضد إطلاقه نداءات الأمة في مواجهة أعدائها المدمرين لهويتها وثقافتها العربية .

تضج قصيدتها بالمرارة والألم والغضب من هذا الغاصب الذي استولى على كل شيء وصادر كل شيء، هذا هو الواقع الذي يعيشه هذا الوطن المنكوب الذي لجأ إلى حرب العصابات - دونكيشوتية - المخالفة لكل الأعراف والمعتقدات في تسلطها وجبروتها وطغيانها ، وفي ظل هذه الأوضاع أصبح الشاعر في العراق يشعر وكأنه في وطن غير وطنه ، فأضحى يعبر عن تبرمه وضيقة بالحياة الجديدة التي لم يجد فيها عوضا عن الحياة التي كان يجباها قبل هذا الوضع ، فنجد نبرة الحزن بين سطور أشعارها ، لتجسد التوتر الذاتي من كل ما حولها لأن بلدها في محنة عظيمة ، كما يزداد رفضها وغضبها حين تجد عدوا غاصبا - لا يفقه من الحياة غير الحرب والدم والموت - يدمر البلاد بأسلحة فتاكة ، وتتصاعد البنية الدلالية لتتوازي مع ماهية المكان ، فبالرغم من قربها إلا أنها بعيدة في نفس الوقت عن العيش تحت سيطرة قوة فاشية فاسدة خاذلة لوطنها :

ماذا يبكيك وقد هبّ البركان .

يجتث عروق الأرض الظمأى .

فتدور الأقمار . حول إشاراتٍ تطلقها كفاك .<sup>1</sup>

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، ديوان الحب ، ص 17 .

ترفض البستاني الاحتلال وكل ما يمت إليه بصلة ، لما يحمله من خراب للإنسانية عامة وما يسببه من دمار للحياة الهادئة والفوضى التي يخلقها في السياسة والدين والمجتمع ضمن البلد الذي يحل به .

شكل الاحتلال منعطفًا حاسمًا وخطيرًا في مسار الإنسان العراقي والعربي، رغم ما ادعاه من أهداف سامية ومبادئ نبيلة جاء لكي يحققها ، فإن العدوان والطريق التي عمل بها لهتك حرمت الناس تبقى في تاريخه الأسود ، جاء ليكمل سلسلة نزع الحرية من أبناء هذا البلد الذي قدر له أن يبقى بعيدا عن الأمن وعن كل ما يشعره بالإنسانية والحرية ، ويبقى أسير العبودية التي اكتملت دائرته بالغزو الزارع الفتن والخوف والضياع والاستسلام والخضوع :

إنهم قتلة الحضارة يا سيدتي ...

لا جيش ، لا شرطة ، لا أمن ، ولا مؤسسات .

إستراتيجية الاحتلال حلت الجيش والشرطة والأمن والمؤسسات .

إستراتيجية الاحتلال فككت وجود الدولة .

حطمت أعمدتها .

ملايين الرجال في الشوارع عاطلون ، لا رواتب ، لا تقاعد ، لا ضمان .

كل شيء يتهاوى .<sup>1</sup>

تكشف البستاني عن المعاناة التي عاشها أهل العراق من جراء هذا العدوان وكانت المرأة أكثر تضررا ذلك أنّها اختزلت كل مشاعر القلق على مجتمعها الذي ينهار وأسرته التي قتلت أو شردت فقد أفسد كل شيء في الحياة فلم يبق إلا التشتت والضياع ، وتكرر أداة النفي (لا) لتجسد حجم الإحسان بالفقدان والتناثر فكل شيء تحول إلى أشلاء مبعثرة آلت كل مؤسسات الدولة للسقوط ، وأيقن الجميع أن مصيرهم إلى الهاوية ، في ظل منظومة فاسدة رسمت ملامح الضياع في كل مكان .

<sup>1</sup> البستاني ، الأعمال الكاملة [حب 2003] ، ص 71

يتحول النص وبنياته الدلالية إلى عامل يساعد في تفشي الظلم وجبروته وكأنه سيوصلهم إلى الجحيم ، فهذا الجسم الذي كرمه الله تعالى وخلقته في أحسن تقويم وقدره ، يبحث عن من يكرمه بعد الموت والفناء، حكما لقوله تعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " <sup>1</sup>.

غيب العدوان الصوت العراقي الراض للظلم والطغيان والألم، كما غيبته قبل هذا سياسة صدام الديكتاتورية غير أن معاناة شعبه لم تجعله ليصمت لوقت طويل مع ما يلاقه من اضطهاد ومصادرة لأدبه ، إذ جرت عليه أبشع الممارسات اللا أخلاقية من سلب وقتل واقتلاع من جراء ما قام به الغزو الأمريكي للعراق عام 2003م حتى خروجه 2011م .

وبتجدد شمس كل يوم ، تظهر حكومة موالية يتجدد معها العبث واللغو وتزداد الشعوب ذلاً وانكساراً وعبودية ولا يابسه السياسة للمعاناة فلا حياة لمن تنادي ، وفي ظل هذه الأوضاع أحكم الشعراء صوتهم إلى صوت الشعب الذي يسعى دائماً إلى فرض كيانه في أنظمة لم تجلب له إلا الحروب والويلات والدمار فتقول :

في الخارج يقف الجنرالات حاملون بنادق .

في أحزمتهم تنكس صفوف الرصاص .

ورمانات العلقم .. .

أتلقت مذعورة فلا أجد غير الرجال .

مدججين بخرائط الحروب ... <sup>2</sup>

نشعر ونحن نقرأ هذه القصيدة وقصائد أخرى بحدة الألم الذي يطعننا في الصميم ، فتحدث في نفسها هزة شعورية خاصة تنبع من وجدانها الحي مصورة بذلك حالة شوارع العراق متدللة على رأى كاتب ياسين " على الشاعر أن يثير الوعي وأن يزيد وجود الثورة وأن يظهر وجه الحياة ،

<sup>1</sup> سورة التين ، الآية 01 .

<sup>2</sup> البستاني ، الأعمال الكاملة [حب 2003] ، ص 72 .

وأن يرفض الخوف من الحركة والتغيير " <sup>1</sup>، ويحث المبدعين على أن يجعلوا من أقلامهم وأدبهم في خدمة الأمة والبلد " على الفن أن يكون قبلة " <sup>2</sup> .

وصفوة القول إنّ شعرها صورة عاكسة للأوضاع السياسية التي كانت سائدة في العراق وهي خاضعة للاحتلال والقوى الفاشية ، متأثرة بما يسوده من جمود وتقهر وانحطاط وما يحيط ببلادها من فقر وجهل ومرض .

إنّ شعرها المتعلق بالوطن ذو وظائف متعددة، فهو تعبير وتصوير وتحريض تتوزع خلاله معاجم شتى غزلية ودينية وقيم إنسانية كونية نسجتها على نحو من الإبداع الفني والإيقاع الموسيقي ، ما جعله لحنا تطرب له النفوس المقهورة فتترنم به ناسية أوجاعها وغازلة نسيج أحلامها المؤجلة إلى أمل قريب من التحرر والخلاص .

<sup>1</sup> نور سلمان ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر ، دار العلم للملايين، بيروت ، د ط ت ، ص 123 .

<sup>2</sup> نفسه ونفس الصفحة .

### ثالثا : البعد الإنساني

مفهوم يطلق على الفكر الذي يتخذ من الإنسان محوره وغايته ويوثق الذات ليحقق مبتغى الوجود الإنساني .

#### 1- النزعة الإنسانية :

وتغنى الشعر المعاصر بالإنسانية على أهما مجموعة فضائل وهي خلاصة الخير والعدل والرحمة والمحبة<sup>1</sup> ، والإنسانية مطلقة تدعوا إلى المساواة فلا تعتبر لونا دون لون ، ولا طبقة دون أخرى ، وهي عالمية لا تعترف بالقومية ، بل بالناس جميعا فيقول أحمد زكي أبو شادي :

بمثلكم يبلغ الماسون غايتهم من وحدة الناس في بر و تعليم<sup>2</sup>

هذا البيت الشعري دليل على أن الناس من مادة واحدة فلماذا الكبرياء والغرور؟ وخلقنا الله متساوين في كل شيء، وورد ذكر لفظ الإنسان في القرآن الكريم خمسا وستين مرة وذكر أكثر في المواقف التي توجب الدم لقوله تعالى " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " <sup>3</sup> ، " وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا " <sup>4</sup> ، كما نبه كثير من الشعراء إلى أهمية الإنسانية في بناء المجتمعات والعيش الكريم لإنسان وهذا مصطفى الغلاييني ينشد قائلا :

إنما الناس ياقوتي سواء كل خلق من طينها والماء  
لا تدع شوكة التكبر تنمو فجميع الأنام من حواء  
خفف الوطء فالبرايا عيال الله فارحم يرحمك من في السماء<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> رجاء سميرين ، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر 1914- 1965 ، دار اليراع للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2003 ، ص 21 .

<sup>2</sup> أحمد زكي أبو شادي ، ديوان الشعلة ، مطبعة التعاون ، مصر ، ط 1 ، 1933 ، ص 122 .

<sup>3</sup> سورة إبراهيم ، الآية 34 .

<sup>4</sup> سورة الإسراء ، الآية 11 .

<sup>5</sup> مصطفى الغلاييني ، ديوان الغلاييني ، المبعة السباعية ، حيفا ، 1343هـ / 1965م ، ص 215.



يبين الشاعر أن الإنسانية هي الجامعة للناس ، والأقرب إلى قلب الإنسان وأعلقها بفؤاده وألصقها بنفسه لأنه يبكي لمصاب من لا يعرف وإن كان ذلك المصاب تاريخاً من التواريخ أو أسطورة من الأساطير ، و الإنسانية الكبرى هي صوت حنون وحرية عادلة تسمو إلى الانطلاق وقد جعلت شاعرتنا من صوتها ردة فعل ايجابية للظلم الذي يتعرض له الإنسان العراقي فرفضت ضعفه ودعته إلى التسلح بالأمل في مواجهة الطغاة بشجاعة وبطولة وإقدام .

وبما أن الإنسان العربي ارتسمت فيه هذه الشخصية الشجاعة بطبيعة البيئة الصحراوية التي عاش في كنفها ، فهو يؤمن بأنها وقاية من الضعف ، وهذه الطبيعة جعلته يرفض الهزيمة ويكره الضعف الإنساني لأنه يعني " خضوعه لكل عوامل الذل ، وقبوله بكل ما تفرضه عليه إرادة المنتصر مهما كانت هويته " <sup>1</sup> .

## 2\_ رفض الضعف الإنساني :

شكل وضع الإنسان الراهن وعلاقته بالعالم نوعاً جديداً من شعر الرفض المعاصر لما يتلقاه من اضطهاد ، فعندما يجد الإنسان نفسه وحيداً في هذا العالم تحيط به عوامل اليأس والشك وفقدان القيم والمقدسات ، وعندما يجد نفسه يواجه قدراً أعمى تحاصره قوى الكون فيقف عاجزاً فيلجأ إلى الجمادات هروباً من الواقع ، وهذا ما تراه جلياً في شعرها :

ليت الفتى حجر .

يا ليتي حجر .

ألتم حين شظايا الدهر تنهمر .

ألتم حين تلوح الأرض ساقيه ، شوهاء .

ينشج في أطرافها الشجر . <sup>2</sup>

<sup>1</sup> نوري حمودي القيسي ، شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1986 ، ص59.

<sup>2</sup> بشري البستاني ، مكابدات الشجر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2002 ، ص349.

يطرح النص فضاءات الحزن وهي تفتت أحلام الإنسان ويحاول جمع متواليات الذهنية والحسية والمادية في إحساس بالتمني ( ليت الفتى حجر ) فالإنسان عندما يتمنى أن يحيل نفسه إلى موضوع ويخلع ذاته وإنسانيته فإن ذلك يعني أنه قد وصل إلى أعلى درجات الرفض إذ يصبح جسما راكدا ( يا ليتني حجر ) ، كما أن النص أظهر استثمار الشاعرة لذاتها بملفوظات متقاربة بإيقاع موح قادر على إثارة المتلقي والعمل على التغيير الوضع الذي يعيشه ، ومما يزيد عملية التجرد الإنسانية بروز الفعل (ألتم) الذي تكرر مرتين ليحمل قيمته ومعانيه الرمزية والنفسية لتنسجم مع عملية الرفض ، لتنبثق منها دلالة ساخرة حزينة (ساقية - شوهاء ) لتكتمل الصورة (ينشع في أطرافها الشجر ) مستثمرة عناصر النص في مفارقة أليمة والسخرية ليظل الحس الشعري يرسل مرارته وأحزانه، وصورة الأرض التي تحولت بالظلم والطغيان إلى ساقية شوهاء يبكي عليها الشجر من الظلم رمزا للإنسان المحبط في كيانه ووجوده مما حفز أمنية الشاعرة في ضرورة التمسك بالمواجهة واستمرار المقاومة سعيا إلى إعادة بهاء الأرض .

تمكن الفعل (ألتم) من التعبير عن غاية الرفض الكامنة في روح النص وهي التحصين بالقوة والصلابة دفاعا عن حياة الإنسان وعن كل ما يحيط به من جمال وخصب وتواصل ، فالرفض هو الحركية العارمة التي ترفض الركود و السكونية والاستسلام وتسعى بكل ما تملك من أسلحة إيجابية إلى إثارة عوامل الخصب الفاعلة لدحر الجذب والسلب والظلام والجمود .

إنّ الرفض الهادف حالة من حالات الوعي الإنساني في أرقى صورة ، الوعي المصحوب بقوة الإرادة والقدرة على التجاوز ضمن رؤية ثرية بعيدة المدى التي لا بد لها كي تحقق أهدافها من الاتصاف بسمتين الأولى " التخطيط والمنهجية " والثانية " العلم والمعرفة " والإحاطة بخصائص الواقع الذي ترفضه وتسعى إلى تغييره إلى الأفضل ، فالمبدع الواعي يرفض من أجل أن ينسجم ويهدم لبني الأقوى والأجمل فلا يرفض الواقع هربا منه وصدا عنه ، وإنما يرفضه لبؤسه وعجزه عن تحقيق طموح الإنسان العيش حياة كريمة ، والذي لا يرفض أبدا ينغمس في حياة الآخرين ويغرق في

إرادتهم " فأن أكون موجودا شخصيا يعني أيضا وغالبا ... أن أعرف كيف أقول : لا وأن أحتج" <sup>1</sup>

### 3\_ رفض العصر الدموي :

غدا العنف حقيقة من حقائق الحياة لدى الملايين من البشر ، فما تزال الحروب تنتهك معظم الأقطار ، وأصبح التعذيب وسيلة القوي وكبت حريات هدفا من أهداف الصراع الإنساني ، لذا فالجنس البشري يتعرض في سباقه مع الزمن إلى أنواع من التهديد ليس لنوعية الحياة فحسب إنما تهديدا للحياة ، فقسوة الإنسان على أخيه الإنسان ومدى ما يتصف به من القدرة على ممارسة هذه القسوة لم يسبق لها مثيل في التاريخ <sup>2</sup>.

إنّ العنف والتطرف الديني اللذين تعيشه أوطاننا وطغى على العصر ، ألحق أذى كبير بالإنسان وحياته وأوطانه ، ودفع الشعراء والمبدعين إلى رفضه والاحتجاج عليه بحدة واستنكار ظلم الطغاة ونجد في بعض أشعار البستاني فيها دليلا واضحا على هذا النوع من الرفض وقصيدتها ( أحزان الغضا) خير مثال فتقول :

لا أريك الرضا .

أن رمل الغضا غارق بالدماء .

ولآليء ليل الغضا أحبطت أنبياء القبائل .

والرمل منكفىء .

جرحه شق دربا إلى البحر .

طعنته رشقت وردة في السماء .

<sup>1</sup> مونييه أما نويل ، الشخصانية ، تر: محمود جمول ، المنشورات العربية ، ص54.

<sup>2</sup> تقرير الهيئة المستقلة الخاصة بالقضايا الإنسانية الأمم المتحدة ، هل تكسب الإنسانية معركتها ، تر محمد عصفور ، مطبعة بنك البتراء ، الأردن ، 1989 ، ص19- 20 .

فخرت على الأرض .

وإن زرعت قبة في العراء .

لا أريك الرضا .

دمعة رفضت أن تسيل .

فهبت حجارة أرض الغضا .<sup>1</sup>

إن التناص مع يائية المتنبي التي هجا فيها كافور الإخشيدي هو تناص تحويل ورفض ، رفض المخاطب وهو كافور إلى رفض عصر أباح دم الإنسان واستباح كرامته ، فتحول الرفض من الذاتي والشخصي في النص القديم إلى رفض مبدئي وقومي ضد الظلم والاستلاب .

فنص البستاني هذا يظل حريصا على كبرياء الإنسان، يرفض ذله وهوان دمعه، ولذلك رفضت دمعه أن تسيل ، بتكرارها ( لا أريك الرضا ) تأكيداً لرفض منهجي يدرك أهمية ما يريد و يعرف ، فإن صوت الرفض في قصيدة لا يسلم توهجه لليأس أو الألم الراكد، إنما هو يزرع الأمل كلما سنحت الدلالة لإطلالة بارقة قادرة على صنع القرار، وإيماننا بالغد وجدارة بمسؤولية بنائه مما يؤكد واحداً من أهم أهداف الرفض في الشعر والفنون ذلك الهدف هو التمرد والاحتجاج على نموذج حياتي ساكن متخلف، والتطلع إلى بناء نموذج حضاري جديد ليس عن طريق إحلال البدائل الجاهزة، إنما عن طريق الجدلية الخلاقة التي تمكن من إنتاج النقيض الحقيقي لذلك النموذج الساكن والتي تستطيع تشكيل نقلة نوعية من النمو الذي يعلن عن التحقق المنشود<sup>2</sup>، لتنتهي القصيدة بتفاؤل كامن وراء رفضها الحاد :

لا أريك الرضا .

لا أريك الرضا .

<sup>1</sup> البستاني ، مكابدات الشجر ، ص 345 .

<sup>2</sup> مطاع صفدي ، إستراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط2، 1986، ص5.

إن رمل الغضا مفعم بالنشيد .

يستبد بأدغاله

ويراود ومضًا بعيد ..<sup>1</sup>

وصفوة القول إن الإبداع الرفض في بعده الإنساني غير اعتيادي وسط ما هو اعتيادي  
مألوف بالبحث والقدرة على الاختيار مؤكدة قول جوتيه " لا يستحق الحرية والحياة إلا من  
يغزوهما كل يوم " <sup>2</sup> فالغزو هنا يعني أن الحرية والحياة محبوبان بالقيود والأغلال التي تبعد الإنسان  
عن الانفتاح وتمنعه من حقه ، والفنان أو الشاعر بطبيعة تميزه يندفع متصديا لهذه القيود بشعره وفنه  
مؤمنًا بقدرته على التغيير ودفع بحياة الإنسان إلى تحقيق حياة سامية .

إنّ شعرها السياسي تجسيد واضح لمبدأ الرفض ، فقلّمها وكلماتها هما لسان حال كل إنسان  
في العالم يعاني ويلات الحروب والدمار .

<sup>1</sup> البستاني ، مكابذات الشجر ، ص 348 .

<sup>2</sup> خليل شكري هياس ، ينايع النص وجماليات التشكيل قراءات في شعر بشرى البستاني ، جامعة الموصل ، نينوي ، العراق ،  
دط ، د ت ، ص 107.

استأثرت الموضوعات الاجتماعية باهتمام كثير من الشعراء على مختلف العصور وخاصة المعاصرين منهم ، فتطرقوا إلى مختلف المشكلات الاجتماعية ورفضوا من خلالها معاشة الواقع بقانون الوجود الجديد الذي لا صلة لهم به ، وعلى رأس تلك المشكلات الفقر والمرض والجهل الموت والحب ، ومفارقة الأوضاع الاجتماعية وخاصة الطبقات وغيرها .

فمن المعروف أن الإنسان ابن بيئته وهذا يعني أنه يتأثر بها في جميع النواحي ، فيترجم ذلك في ثنايا نصوصه حيث تنعكس مشاعره الثائرة على الواقع المعيشي " الصرخة ضد الألم بعد اجتماعي يمد الصرخة بغنى التجربة وتطلع الإنسان إلى تحقيق السعادة " <sup>1</sup> .

كانت التجارب الأدبية " تستمد قليلاً أو كثيراً من التيار الإنساني، ومن النبع الغزير الذي تفيض به النفس الإنسانية، ولكن تبقى التجربة الإنسانية الخالصة التي تستقطب كل المشاعر الإنسانية من حولها . فهي تقيس من القومية أصولها الوطنية روحها، ومن التاريخية صيرورتها ومن الاجتماعية طموحها ... " <sup>2</sup>

والشعر الاجتماعي عند بشرى البستاني أخلاقي المبدأ ، ومقاوم في مذهبه ، ورافض كل أنواع الاضطهاد بخاصة لدى المرأة والطفل ، لأنهما رمز الحياة واستمرارها لتنتهي بالرغبة في الحياة رغم حتمية الموت .

أولاً : القيمة الخلقية

- الشعر والأخلاق :

<sup>1</sup> أبو النجا حسين ، اليهودي في الرواية الفلسطينية ، دار هومة ، الجزائر ، ط 1 ، 2002 ، ص 52 .

<sup>2</sup> محمد الصادق عفيفي ، النقد التطبيقي والموازنات ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، دط ، 1976 ، ص 116 .

ونعني التزام الشعر بالأخلاق للتطلع إلى الإصلاح، ومن معاني القيمة الأخلاقية في لغتنا: القيام والاستقامة والاعتدال<sup>1</sup>، واهتم أفلاطون **Platon** في جمهوريته المثالية بالتأثير الخلقى للشعر، حتى يكون للشعر نفعية وجمالية عالية<sup>2</sup>، وتفطن النقاد العرب قديما إلى هذه الظاهرة وعلى رأسهم ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء، حين يؤكد على أن الشعر يجب أن يكون أخلاقيا في رسالته<sup>3</sup> ولم يضع مقياسا أخلاقيا أو دينيا يحاسب به النقاد و الشعراء، والدليل على ذلك أنه حين قسم الشعراء وضع امرئ القيس في الطبقة الأولى رغم فحشه وانحلاله، وقد عرف أرسطو **Aristote** الأخلاق في التراجيديا بأنها " ما يرسم طريق السلوك في المأساة وهو ما يختاره المرء، إذا ما أشكل الأمر أو يتجنبه والأقوال مثل الأفعال التي تدل على سلوك محدد، إن كان حميدا كان الخلق حميدا... وإن يكون الفعل الأساسي في المأساة نبيلًا فيكون أبطال المسرحية على خلق كريم، لأن الغاية خلقية في جوهرها"<sup>4</sup>.

لقد عظم الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم لأخلاقه الحميدة حتى يجعل منه قدوة فيقول تعالى " وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ " <sup>5</sup>، فديننا الحنيف يشدد على هذا الجانب ويرعاه وأمر الشعراء

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، [ مادة : فرق ]، ج 11، ص 354 .

<sup>2</sup> إبراهيم حمادة، مقالات في النقد الأدبي، مكتب الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 53 .

<sup>3</sup> ابن السلام الجمحي(232هـ)، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/ 2001م، ص 20 - 21 .

<sup>4</sup> غنيمي هلال محمد، النقد الأدبي الحديث، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د ط ت)، ص 85 .

<sup>5</sup> سورة القلم، الآية 04 .

بالتزام الأخلاق في قول الشعر وخاصة بعد نزول قوله تعالى " وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ " <sup>1</sup> .

ومن هذا المنطلق يتأكد أن الشعر في جوهره إبداع أخلاقي يرمي إلى بناء إنسانية سامية، وعلى الشاعر أن يتخذ من الأخلاق السياج المنيع الذي يرسم به ملامح شعره لأن الأخلاق هي عنوان حضارة أمتنا العربية " إن الحضارة هي في الأساس مسألة أخلاقية " <sup>2</sup> ، لأن الأخلاق تمثل المادة الخام التي يجب على الشاعر - وغيره - العمل بها حتى يقدم لنا شعرا هادفا يمجّد فيه الفضائل ويزدري الرذائل ، على حد تعبير قدامه بن جعفر " فمهمة الشعر عنده ارتبطت بغاية أخلاقية وهذه الفضائل هي : العقل و الشجاعة والعدل والعفة " <sup>3</sup> .

في حين لا يقيس بعض النقاد الشعر بالأخلاق من أمثال زكي نجيب محمود الذي يرى أن "الشعر يبقى شعرا سواء أَرْضِيَتْ عنه مبادئ الأخلاق أم لم ترض ، ما دام قد تحقق لنا ما تقتضيه طبيعة فنه ، فلا فرق في الفن بين أن يصور الشاعر فضيلة أو أن يصور رذيلة ، طالما هو قد أجاد الفن في كلتا الحالتين ، ودنيا الشعر ترحب بأبي نواس بنفس ترحيبها بزهير" <sup>4</sup> ، هذا يعني أن وظيفة الأخلاقية للشعر ليست مما يقوم به الشعر ، ومعيار الشعر الجيد لا علاقة له بموضوع الفضيلة والرذيلة ، فالشعر الجيد حسبه هو الذي ينجح في تصوير الفضيلة كما ينجح في تصوير الرذيلة ، وزهير وأبو نواس مستوعبان الشعر بغض النظر عن أنّ أحدهما أخلاقي والآخر

<sup>1</sup> سورة الشعراء ، الآية 226 .

<sup>2</sup> ألبرت اشفيتسر ، فلسفة الحضارة ، تر: عبد الرحمان بدوي ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 1980 ، ص3 .

<sup>3</sup> قدامه ابن جعفر ، نقد الشعر ، تح : محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة المليجية ، مصر ، دط ، 1979م ، ص96 .

<sup>4</sup> زكي نجيب محمود ، مع الشعراء ، دار الشروق ، القاهرة ، ط4 ، 1988 ، ص189 .



ماجن ، ونجاح الشاعر في تصوير الشيطان بنجاح للشعر ، بنفس الدرجة التي ينجح فيها تصوير الإله .

فوسيلة الشعر هو اللفظ وهو الهدف الأول والأهم ودوره ينحصر في كيفية استخراج عبقريتها الدفينة فيها <sup>1</sup> ، فشعرية الشاعر لدى زكي نجيب محمود لا تكمن فيما قاله ، بل في كيفية القول "هو أن يحمل من المعاني مالا حصر له إذا استطاع الشاعر ذلك ، بحيث تتعدد زوايا الرؤية عند مختلف السامعين أو القائلين ، وذلك أن الشاعر إذ ينتقي لشعره أغزر الألفاظ القادرة على استثمار المشاعر " <sup>2</sup> .

ومن هذه المقدمة الصغيرة عن مبدأ الأخلاق في الشعر يتضح أن شاعرنا أولت عناية كبيرة للأخلاق في كتابتها الشعرية فزينت نصوصها الشعرية بألفاظ ذات بعد أخلاقي رفضت فيه كل أشكال الضعف والاضطهاد والخيانة والاستسلام.

### الخيانة :

اتّسمت شخصية العربي قبل الإسلام وبعده بمكارم الأخلاق فعرف بالنبيل والعفة والوفاء رغم العوز والحاجة فجسد بذلك موقفاً أخلاقياً لم يعرف عند أمم أخرى، وحسد على ذلك ، فسجله الشعر و أكدّه الإسلام لقول رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ " <sup>3</sup> ، غير أن كل هذا لم يمنع من وجود بعض الصفات السيئة مثل الخيانة ، فحدد المجتمع العربي موقفه من هذه الصفات فأعلن الرفض لما تمثله من سلوك سيء وعدّوها من المثالب التي تفكك المجتمع وتلغي القيم والمبادئ السائدة .

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود ، مع الشعراء ، ص 190 .

<sup>2</sup> نفسه ، ص 191

<sup>3</sup> صحيح البخاري ، المرجع السابق ، ص 1450 .

إنّ الخيانة هي السرطان الخبيث الذي نهش جسم الأمة وتسبب في انكسارها ، فقد بيعت من خلالها الأوطان والدين ، وهو ما شكّل سمة بارزة في الشعر الحديث فوجب على الشعراء التصدي للمتّصفين بها وفضحهم وفضح مكائدهم ، وشاعرنا تثور عليهم وتعلن رفضها لسياساتهم الجبّانة بلغة شعرية اتسمت بالألم والقهر والتحسر على من تربى وعاش في خيرات وطنه ليبيعه بثمن بخس فتقول :

أصعد عبر الجذوع .

أرى ذمما تشتري .

وشعوباً تباع .<sup>1</sup>

ترسم شاعرنا صور عديدة ترفض الخيانة في عصر اختلط فيه الحابل بالنابل وكبر فيه الخراب لتعبر عن حركة معنى الضياع عبر عملية البيع في سوق الخسارة التي حدثت في الماضي وتحدث الآن. تصيغ الشاعرة صوراً لغوية تستحضر فيها الماضي لترسم الحاضر المليء بالخيانة :

وشريفهم في الليل .

يضرب كفه .

ماذا سنفعل دونما تتر .

هموا وعدوا سيأتون العشية .

و العلقمي إذا تأخر ،

من سنعطيه مفاتيح القضية .

يختض تاريخ الرماح .

على ظهور علوجهم .

ترجع أحذية التتار .

<sup>1</sup> البستاني ، مكابدات الشجر ، ص325.

على سفوح جباههم .

يا ويل ماضيهم من الآتي ...<sup>1</sup>

تطرح البستاني القضية بأسلوب ساخر لتخطط لفعل الخيانة وتصل حد الماراة اللاذعة فتجتهد في هذا المقطع لتصنع تناسبا مع التركيب المنزاح بألم ، إذ تضيف إلى المفردات التاريخية رؤيتها الراضة لخيانة القائمين الحاليين على شؤون الوطن فترمز إليهم ب ( وشريفهم ) لتبرز المسكوت عنهم بشعرية مفعمة بالرفض والألم ممن يملكون مفاتيح قضايا الأمة والذي يوجب عليهم المحافظة عليها بدل تسليمها هدية للأعداء ( والعلقمي<sup>2</sup> إذا تأخر / من سنعطيه مفاتيح القضية )، إنها تقدم بالعلقمي صورة رافضة للخونة متواطئين مع الأعداء كما فعلوا بالأمس :

أهذا زمان الرجوع ... ؟

إذن ...

أنت تكتبه ،

وتهادن سراً يمزقنا .

لا نبوح به ...

<sup>1</sup> البستاني ، مكابيات الشجر ، ص328 .

<sup>2</sup> ابن العلقمي (593هـ - 656هـ / 1197م - 1258م) هو محمد بن أحمد بن علي العلقمي الأسدي من بني أسد ، وزير المستعصم العباسي ، وصاحب الجريمة النكراء ، في ممالاة هولاءكو على غزو بغداد ، اشتغل في صباه بالأدب ، وثق به الخليفة فألقى إليه زمام أموره ، عرف بجزمه وخبرته بسياسة الملك ، كاتباً فصيح الإنشاء ، شغل منصب أستاذ الدار عام 629هـ ، وعمل بكل جهده على إسقاط الدولة العباسية ، ومات بعد شهور قليلة جدا من دخول التتار إلى بغداد ، فلم يستمتع بحكم ولا ملك بل بخيانة عظي لا تزال سلبياتها حتى اليوم وبقي عبرة لغيره ، وجاء عن المؤرخين " أنه يوما رآته امرأة من طاق فقالت له : يا ابن العلقم هكذا كنت تركب في أيام أمير المؤمنين " فخجل وسكت ومات غبنا وندم على ما فعل ساعة لا ينفع الندم . ينظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط15 ، 2002م ، ج4 ، ص248.

نكتوي ، لا نبوح به <sup>1</sup> .

تبدأ نصها بسؤال عن الخائنين بائعي الوطن ، وتصر على مساءلتهم ، كيف يعيد زمان أمجاده وازدهاره مادمتم تمارسون فعل الخيانة ؟ فكل شيء يذهب ويبقى الوطن ، فالوطن لا ينسى من غدر به وخان ، فالخيانة وجه قبيح لا يجمله شيء لأن التاريخ والبلد لا يغفران ولا يصفحان عن الغادر حتى ولو مات .

### - شعر المقاومة :

لعل من أهم الأنماط الأدب المعاصر الذي ساهمت القضية الفلسطينية في إبرازه للقارئ العربي، هو شعر المقاومة ، الشعر الذي تسلل إلى القارئ العربي عبر العديد من النوافذ التي كانت متاحة في عقود الخمسينات و الستينات والسبعينات من القرن الماضي وكان للشعراء فلسطين عامل السبق في تأسيس هذا النوع الجديد في الشعر .

ونعرفه بأنه " تلك الحالة التي يعبر فيها الشاعر وبعمق وأصالة عن ذاته الواعية لهويتها الثقافية والمتطلعة إلى حريتها الحقيقية في مواجهة المتعدي في أي صورة من صورهِ ، منطلقاً من موروته الحضاري وقيمه المجتمعية العليا التي يود الحياة في ظلها والعيش من أجلها " <sup>2</sup>، وولوج هذا النوع الجديد من خلال موضوعات معينة مثل محاربة الاستعمار أو الكفاح ضد التجزئة والطائفية ... وعمل الشعراء عن طريقه على إعادة بعث المجتمع ويقظته ، و صور المقاومة في التاريخ العربي ذات جذور عميقة ولها أشكال من التعبير شعراً ونثراً ؛ وتعبر كلها عن الاعتزاز بالأمّة واستنهاض همتها وتؤكد وجودها في الحياة .

<sup>1</sup> البستاني ، مكابسات الشجر، ص331 .

<sup>2</sup> محمد رمضان ، سمات الشعر المقاوم ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع211، 1989 ، دص .

والمقاومة عند العرب تعبير عن إرادة الحياة والطموح في تحقيق حضور حر ومستقل وفاعل فهي ليست وقتية ، وإنما هي مبدأ حياة متأصل في عقل الإنسان العربي ووجدانه.

يصف الباحثون والنقاد شعر المقاومة بالوثبات الروحية التي تزيد من حماسة الشاعر في الاندفاع إلى الدفاع عن اهتمام قومه وعمما يضطرب في نفسه وما يجول في فكره ملهبا للعواطف موقدا نار الحماسة مدافعا بالمنطق والحجة عن الحقوق والحريات ، وحث الشعراء على مختلف العصور الشعب على المقاومة ، ووضعوا ثقتهم بقدرته على اجتثاث الظلم ، واليقين بانتصاره مع تلويحه بين التمرد وطلب الحرية للوطن ولل فرد فهذا الشابي أحد هؤلاء الشعراء إذ يقول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر .

كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر .<sup>1</sup>

تتعدد أشكال المقاومة في العراق ، فتارة بالسلاح وتارة بالسياسة ، وطورا آخر بالكلمة شعرا ونثرا وبالرغم من تركيز اهتمام الناس خارج العراق على المقاومة المسلحة ، فإن مقاومة العراقيين لا تقف عند هذا الحد ، بل أردفت مقاومة أخرى كانت لها سندا وعونا ، وهي المقاومة بالكلمة .

فالشعر والأدب عرفا طريقتهما نحو المقاومة ، والتغني ببطولات الأجداد وببطولات المقاومة العراقية الحالية فالفصائد تفيض بالشاعرية ، لتؤكد على أصالة الانتماء إلى القيم الإسلامية والعربية التي ترفض المحتل وكل أنواع القهر .

عرف العراقيون قصيدة المقاومة منذ زمن ، ولم تكن بالجديدة على الساحة الأدبية العراقية العريق، فالعراق خضع للاحتلال في بداية القرن الماضي من قبل الإمبراطورية البريطانية ، فنشأت لديه روح المقاومة ، ومن أبرزها المقاومة بالكلمة وأهم من يمثلها محمد مهدي الجواهري ،

<sup>1</sup> أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، دار ومكتبة الهلال ، ط1 ، 2003 ، ص45\_46 .

ومعروف عبد الغني الرصافي الذي مازالت العاصمة العراقية تخلده بتمثال عملاق فيقول في مطلع إحدى قصائده منتقدا الأوضاع السائدة آنذاك :

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف.

أسماء ليس لنا سوى ألفاظها أما معانيها فليست تعرف<sup>1</sup>

وقصيدة المقاومة لم تأت وليدة الاحتلال الأمريكي للعراق ، وإنما هي مكملة للقصائد التي

قبلها فجاءت تمجد المقاومة الوطنية والاجتماعية وترفض الاحتلال والهيمنة . .

والبستاني من شاعرات العراق ومقاومته وثورته وعذابه ... فعبرت من خلاله عن ألمها وإدانتها

للظلم واحتجاجها ضده وعبرت عن غضبها ورفضها وعدت تغيير الواقع ضرورة حتمية بمحتوى

اجتماعي متوجهة إلى الجماهير التي هي أساس التغيير والتحرر، فتدعوا في شعرها إلى التحلي بروح

المقاومة بإيقاظ الناس من غفلتهم ونومهم بشعرها :

أيها الحزن الذي يبدو على عينيه إعصارا وثورة ..

ذلك الصبر الذي جلب عمري ..

خذ بقاياها ،

وهات الفجر ..

هات الفجر .. مرة .. !<sup>2</sup>

تصور قصيدتها هذه بنية تصعيديه رافضة كل مظاهر التمزق والانسحاق الكامل داخل المجتمع

وتدعوه إلى الممارسة النضالية الحقيقية ضد الفقر والحرمان الذي خلفه الاحتلال.

<sup>1</sup> معروف الرصافي ، الأعمال الكاملة ، [ قصيدة : علم ودستور ] ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، 1958 ، ص320.

<sup>2</sup> البستاني ، ما بعد الحزن ، دار النهضة ، بيروت ، دط ، 1973 ، ص614 .

وهذه المقاومة تكون أدبية وجسدية في الحياة ، كما كان للحصار حضور قوي في الشعر العراقي هذا الحصار الذي عانى منه الشعب الأمرين لا لشيء سوى لأنّ العراق أراد العيش بحرية وسلام ، ورفض الخضوع والانصياع لصوت الشر الذي تمثله أمريكا وحلفائها ، التي تبعد الشعوب باسم حقوق الإنسان ، وقد أدى الحصار الذي فرضته الدول الإمبريالية إلى تجرد المعاناة في نفوس أبنائه ، فجسدت شاعرنا هذه المعاناة في شعرها بروح المقاومة رافضة الخنوع والخضوع والعيش الذل ... لشعبها في وطنهم .

وبما أن الشعر وليد التجربة الحياتية والشعورية، وهو يعبر عن معاناة خارجية/ داخلية يكون لها الأثر الكبير في تحفيز الانفعال وهذا الانفعال، أفضل طريق لكشفه وإيصاله إلى القارئ هي اللغة ، التي يجب أن تكون قوية ومؤثرة في القارئ لتدفعه إلى التحلي بروح الدفاع عن النفس ، لأن الشعر يقاوم كل ما يعيق تطور حرية الإنسان والإبداع :

والعراق عباءة أمي .

وثوب العذارى .

اللواتي يمتن على السفح .

من ظمأ واغتراب .<sup>1</sup>

تلجأ الشاعرة هنا إلى عملية التكتيف والاختزال في بنية الملفوظ عبر انتقال الخطاب المفعم بالإحساس الضاح بالحركة ( العراق ) إلى دلالات تشير للأنتى ( ثوب العذارى ) لتحكي معاناة المرأة وتدعو من خلالها إلى مقاومة المحتل في إيقاع حزين مكسور ( من ظمأ واغتراب ) .

<sup>1</sup> البستاني ، مكابدات الشجر ، ص321 .

– مقاومة الحرب والموت :

أ – الحرب :

واكبت الحرب حياة الناس منذ وجوده على الأرض ، واختلفت أساليبها وتباينت صورها وتعددت اتجاهاتها ، فتعد خسارة للمتحاربين لما تلحقه من دمار وخراب فلا ينجو راغب أو كاره لها ، فهي مطحنة الرجال والعاثثة في الحياة ، ووصفها ( ابن عبد ربه ، ت328هـ ) بأن " أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى " <sup>1</sup> .

لقد مثلت هذه الأخيرة مدارا للشعر الرفض لما فعلته بالبشرية من قتل وتخريب وتشريد ، و رسمت جسور الدم والآلام فرؤية الشعراء للحرب رؤية استبصارية وقراءة للمسكوت عنه ، فتقول :

دقت الصافرة ...

ستأتي الصواريخ .

منتصف الليل هذا .<sup>2</sup>

إنّ النص رد شامل على ما حدث في العراق لحظة القصف ، وهي صورة حركية مستنجدة ومقاومة ولائذة من شبح الدمار القادم ، وهي حركية رافضة الحرب التي تشغل ذهن الشاعرة وأي إنسان في الوجود كما أنها تحرق أحاسيسها وتتلوع من جراء وقائعها فصورة ( دقت الصافرة ) مفصل رؤيوي ولّد مشهدا يوميا للحالة المعيشة التي تحياها الشاعرة عبر فضحها للواقع الذي تخلقه الحرب وفعل الصواريخ في البشر .

<sup>1</sup> أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1،

1404/هـ/1984م ، ج1، ص94.

<sup>2</sup> المرجع السابق ، ص339 .



تقاوم البستاني الحرب بحب كبير وطريقتهما في ذلك التشبث بالأمل وكل ما يوحي بالحياة ومن ينتمي إليها فلو سادت فلسفة الحب لانطفأت الحروب وازدهرت الطفولة وسادت منظومات القيم الجمالية وأشرق الفرح ونما الإنسان نمواً جديداً بعيداً عن أمراض الحقد والإشكاليات التي تحاصره.. بالحب ولا شيء غير الحب ينكسر الطغيان ويسود الحوار ويغيب احتكار الرأي الآخر ويقترّب غد الإنسان الأجهل أي إنّنا كلما أحببنا الحياة أكثر كنا أشدّاء في مقاومة الأعداء رغم ما يمتلك هؤلاء من سلطة حديدية وطغيان وجبروت :

### المقاومة سري وسندي

وسعير اللحظة التي تمسك بجلايب استغاثتي أن تبوح

أقاوم حزناً مرّاً

حزنا رصاصياً يهبط فوق رأسي<sup>1</sup>

تعج نصوص البستاني حول الحرب بالغضب والتوتر ، وفورة الرفض أي رفض ما يحدث في الواقع، لتقابله بحركة عنيفة تتسم بالثقة واليقين في تغيير الوضع وكل ما يعمل على تحطيم أسس المجتمع العراقي والأمة .

### ب - الموت :

لقد تناول الشعر العربي قضية الموت بما فيها من قضاء مبرم وناموس نافذ وغموض مذهل وغاية محتومة، والحكمة تصور في شعرنا العربي منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحديث قضايا في فلسفة الموت تتسق وتعاليم السماء وهي الشريعة الغراء كما صورت القبر وسكونه ، وتجريد الإنسان من كل جاهه وماله وكل ما يملك عند نزوله ، وصورت الرقدة في رسمه .. تلك الرقدة التي لا تقلب

<sup>1</sup> البستاني ، الأعمال الكاملة [حب 2003] ، ص 24 .

الإنسان في مضجعه من جنب إلى جنب آخر ، وليلته التي مالها من سحر ، إما روضه من الرياض الجنة وإما حفرة من حفر النار لقوله تعالى " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>1</sup>.

يعد الموت محفزا آخر لشعراء الرفض ، والتي سادت ظلما في المنطقة العربية - المتبع للتاريخ العربي يسجل وكأن الحرب والموت حتمية قدر مكتوب على الإنسان العربي - وأصبحت قهرا وعدوانا فرفض الشاعر هذا الموت الذي يكسر النفس وانتشر بلا هوادة فتقف الشاعرة متحديتا ومحاربة هذا الشكل من الموت ، ففي إحدى قصائدها تطلب الموت أسمى "هكذا أريد أن أموت".

وكان يأخذها من يدها .

وهي مرتبكة مثل ياسمينه بمطر .

ويقول ،،، لا تخافي ، إنها القيامة .

ونحن في الطريق إلى عدن .

حيث لا صواريخ ولا أشلاء تُبكيك .

حيث لا حروب تغزونا .

وتعكر صفو قصيدتك الأخيرة .

قصيدتك التي كانت تخاطب .

قلبي الذي غادرته الرحمة .

الآن فقط يا حبيبي .

<sup>1</sup> سورة آل عمران الآية 185 .

أستطيع أن أقول لك ما لم يكن متاحا .

فقد كنتُ أبعدك عن مخاض الدم الذي .

ظلَّ يجتاح حلم الفنارات .

اليوم وأنتِ بعيدة .

أعرف معنى الموت على أريكة محنة .

بعيدا عن اليمام الأبيض الذي كان يراود دجلة .

بعيدا عن سرير الحب التي شيّدته البلابلُ .

على دوح الضفاف لقلبينا .

تعالني معي هذه المرة .

إلى الجنة تعالي..

هناك سنجلسُ حفاةً على العشب .

وأغمضُ عينيَّ رويدا .

.....

هكذا أريدُ أن أموت .<sup>1</sup>

تصور الشاعرة الموت الذي تريده في وطن آمن لا تشوبه شائبة فتسرح في جنانه وعلى عشبه  
الأخضر فحببها العراق يجب أن يسلم من الحروب ويصنع نفسه حتى يمكن لشعبه الموت الكريم

<sup>1</sup> البستاني ، قصيدة [ هكذا أريد أن أموت ]، مجلة رسائل الشعر ، بغداد ، ع2 ، نيسان215، ص18\_ 21 .

مجسدة ذلك بلغة تصويرية مستنطقة في نسقها الرؤيوي ومنتجة عبر ديناميتها التشكيلية مشاهد مثيرة ورافضة الموت الرخيص التي تسببه الحروب .

فالحديث عن الموت والفناء مرتبطين أساسا بالكينونة ، ولا بد من التأكيد أن هاتين القضيتين مهمتين في تشكيل الموجود الأصيل ، إذ إن الموجود الذي وجد نفسه مقذوفا إلى الحياة دون إرادته يسعى للاختيار الذي يجعله قادرا على تحديد مصيره ويشعر بالمسؤولية إزاء وجوده ومن ثم فإن الاتجاه نحو الموت والعدم يمثل تقريرا لمصير الموجود وفعله الايجابي في الوقت نفسه. ولذلك تتأسس لحظة تراجيدية للتخلص من العدم على أساس أن العدم يخلق الإنسان الأعلى فقد ذهب نيتشه إلى أنّ تجربة التاريخ مكررة<sup>1</sup> ولا يحتمل هذه التجربة إلا الأقوياء «الإنسان الأعلى - السوبرماني» مما يجعل الإنسان القوي يتجاوز روح الخنوع ويرفض الاستبداد من أية جهة كانت «السلطة الدنيوية» و «السلطة الميتافيزيقية» ويتمرد عليها؛ ومن ثم يسعى إلى تجاوز عبودية الفناء والعدم.

أكدت الشاعرة أن أزمة الإنسان المعاصر متجسدة بالرغبة والآمال والإحباط التي تشكله الحضارة الصناعية له، ولكن الإنسان يسعى إلى السيطرة على الواقع من خلال دولة الجمال والفن الرفيع ( هكذا سنجلس حفاة على العشب ) ، وفي محاولات الشاعرة للنجاة من الموت وصلت الشعابن، وهي رمز لطائرات الأعداء التي تجلب الدمار والفناء والعدم :

وتدور الشعابن حول بساتينه،

آه تسعي الشعابن

في روض روحي..<sup>2</sup>

<sup>1</sup> فاتيمو جياي، نهاية الحداثة ، تر: فاطمة ألبوشبي، وزارة الثقافة ، دمشق، دط، 1998 ، ص 47\_48 .

<sup>2</sup> البستاني ، مكابدات الشجر ، ص 342\_343 .

توحي الأفعال المضارعة ( تدور، تسعى ) إلى ملازمة هذه الطائرات المستمرة لهذه الأماكن في الحاضر والمستقبل المنظور ونجد لهذه الصورة مرجعيتها في أسطورة (أورفيوس) الفنان الذي هزم الموت بموسيقاه الخالدة إلا أن الموت تمكن منها حينما تمثل لحبيته وزوجته في صورة أفعى لدغتها فماتت، فضلاً عن أن الأفعى ترمز لـ " روح الشر والغواية والمعرفة بالأعمال الشيطانية " <sup>1</sup> .

### ثانياً : رفض الاضطهاد

تفشيت ظاهرة الاضطهاد في واقعنا المعاصر وأصبحت الهم الأكبر للشاعر ، إذ هاجم الاضطهاد وصب رفضه على مسببيه ولاسيما هذا النوع الذي لازم النظم العربية التي ألبسته اسم الثورة والتحرر، ومن أبرز أنواع الاضطهاد التي حاربها الشاعر هو - اضطهاد المرأة - والتي سنتحدث في العنوان القادم عنها .

والإنسان العربي بفطرته يرفض الاضطهاد ، لأنه يثير مكنونات الغضب والانفعال في نفسه والمجتمع الذي يلازمه فيرفض أن " يمس كيانه ، فيسعى لنضال من أجل سلامة كل جزء من كينونته ويسعى لتأكيد ذاته " <sup>2</sup> ، وكما رأينا في الفصلين السابقين فإن الإنسان العراقي تعرض لكل أشكال الاضطهاد بدءاً من الحاكم الديكتاتوري صدام حسين وصولاً إلى الاحتلال الغاشم ، لتظهر الثورات الطائفية بين السنة والشيعة ، فحدث تمزق كبير في المجتمع العراقي .

تفشيت ظاهرة الاضطهاد في واقعنا المعاصر وأصبحت الهم الأكبر للشاعر ، فهاجمه بكل قوة وصب جل غضبه ورفضه على مسببيه ولاسيما النوع الذي لازم النظم العربية وسمي بالثورة والتحرر فاستخدمت الشاعرة مجموعة من الألفاظ والرموز تنطلق من واقعها الإنساني والاجتماعي وجاءت مرآة عاكسة لآلامها وجروحها ومحاربة بها كل أشكال الاضطهاد من التهميش والتنكيل والعنف،

<sup>1</sup> عبد السلام المساوي ، البنيات الدالة في شعر أمل دنقل ، اتحاد الكتاب العرب ، بيروت ، 1994 ، ص402.

<sup>2</sup> ألبير كامو ، الإنسان المتمرّد ، ص28 .

ونذكر منها : الليل ، والبحر ، والصواريخ ، والنار ، واللهب ... فتربط هذه الرموز بدلالة الثورة والتغيير ، ومن ثم رفض الواقع وما يشوبه من انكسار فتقول :

وليلة تسأل الشام عن ومضة في عيون البطاخ .

قالت الأرض لا تستفق يا هواي الأخير .

قلت كل الزمان ...

صالح للتشرد كل المكان .

صالح للتوحد ... كل المدى صالح للحلم<sup>1</sup> .

أما عن العدالة الاجتماعية، فقد عدتها البستاني حكراً على أطراف دون أخرى، بل رأت أن العدالة لم تتحقق في المجتمع العربي، بشكل واضح لأن الحكم، بيد أشخاص مستهترين يدافعون عن كل قضايا الكون، ويهربون من وجه قضيتهم - على حد تعبيرها - لهذا سادت التفرقة بين أفراد الشعب، وتشتت وحدة صفوفهم وتفرقوا شيعاً كل ينادي إلى نصرة حزبه، فحدثت هوة داخل المجتمع العربي وسادت الفروقات بين الإنسان ومحيطه الاجتماعي، مما جعل الإنسان العربي يشعر بنوع من الاغتراب وعدم التوافق بينه وبين ذاته، وعدم الانسجام بينه وبين مجتمعه، فتمخض عن ذلك تأزم وتوتر في العلاقات، وأصبحت أملاك الدولة واقعة تحت تصرف الكبار من رجال الدولة، أما السواد الأعظم من الشعب، فبالكاد يعثر على لقمة يسد بها رمقه لهذا يلجأ إلى العمل المتواصل، والخضوع لرحمة من هو أقوى منه ساعداً، حتى لا يموت جوعاً. وقد عرفت - البستاني - بميلها الكبير إلى فئة الكادحين والفقراء، من الشعب المستضعف، وراحت تعبر عنهم بكل ما أوتيت من جرأة وشجاعة فائقتين، لأن منظر البؤس، ومشهد المعاناة رسم في ذهنها صورة الإنسان العربي

<sup>1</sup> البستاني، مكابدات الشجر ، ص 355 .

المضطهد وعكفت على تقريع و تأنيب كل من كان سببا في تلك المآسي، وضلعا في مؤامرة  
حيكت لأجل تدمير أمة مستنزفة كل ثرواتها الإنسانية والاجتماعية :

حمام جريح يظلل رأسي .

حمام ذبيح يطير بيبي ...

ينزف صراخًا ، صراخٌ ...

ويمطر دم ..<sup>1</sup>

تحذر الشاعرة من غضب ذلك الإنسان العربي ، الذي لم ينصف في بلده فيتحول دمه إلى  
نارا تحرق ظالميه :

هل يعرف الشوق إلا من يكابده .

ويعرف الجوع .

إلا الجائع .... وعر .

أو يعرف الجرح .

إلا نازف عبرت .

على جراحه نار .

وقودها حجر .<sup>2</sup>

<sup>1</sup> البستاني ، الأغنية والسكين [ قصيدة: الأفعى ]، ص 539 .

<sup>2</sup> البستاني ، مكابدات الشجر [ قصيدة : موسيقى عراقية ] ، ص 349 .

وقد عرضنا إلى موضوع الجوع لأنه وجه من أوجه عدم تحقق العدالة الاجتماعية داخل المجتمع، وتعدده البستاني مظهرا من مظاهر الإنسانية لكنه الباعث على الثورة، والمحفز على التمرد ضد الأوضاع. لأن الإنسان متى استبد به الجوع وسقط في مهاوي الفاقة والاحتياج فإنه حتما سينفجر غضبا، ويتحول من حالة القلق والحزن إلى حالة السخط والحقد، وبالتالي الثورة والتمرد.

### - حضور المرأة في التفاعل الاجتماعي :

لا تزال صورة المرأة تشكل جوهر الأدب ، فالجمال يحرك الجمال وإذا كان الأدب تجميل الكلمات ، فإن المرأة مخلوق جميل بالطبيعة يدفع هذا الأدب ليكون جميلا ، فهي المحفزة والملهمة لمعظم الشعراء ومع هذا لم تمنح الدرجة التي تليق بها .

واختلف تصوير المرأة من أديب لآخر فمنهم من وصفها بالشیطان ومنهم من تغزل بها لحد العشق الجنون كقيس بن الملوح ( معجون ليلي ) ، وهناك من أعطاه صورة الحب العذري بمعناه الأظهر .

وتتبع مختلف العصور لنسجل الخانة التي رسمت للمرأة كل حسب زمنه ، ففي العصر الجاهلي لم تكن ذات مكانة مرموقة - إلا في بعض القبائل العربية - بسبب العقلية العربية وما كان متعارفا أن ذاك ، من وأد للبنات لقوله تعالى " وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ " <sup>1</sup> ، في حين وصلت إلينا بعض النصوص تظهرها على أنها السيدة في قومها ، تتمتع بشخصية مستقلة كاملة النضج ومالكة القرار ، وهذا امرؤ القيس يؤكد لنا هذا الجانب :

أفاطم مهلا بعض هذا التدللّ      وإن كنت قد أزعمت صرمني فأجملي .  
وإن تك قد ساءتك مني خليقة      فسلي ثيابي من ثيابك تنسل .

<sup>1</sup> سورة الكوثر ، الآية 8-9 .



أَعْرَكَ مِنِّي أَنْ حَبَكَ قَاتِلِي وَإِنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ<sup>1</sup>.

يظهر امرؤ القيس أن المرأة في زمن معين كانت تتدلل وترفض والرجل يترجأها ، وهذا يحدث تناقض مع بعض النصوص الشعرية الأخرى التي تبين أن ليس لها قيمة ولا شخصية وإنما هي أمة أو عبدة تخدم سيدها .

وقد حظيت المرأة بمكانة رفيعة بعد مجيء الإسلام فخصص الله سبحانه وتعالى صور باسمها (سورة مريم) وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات ، ولم يجعل بينهما من التمييز في بعض هذه الحقوق إلا بمقدار ما تقتضيه طبيعة مسؤوليتها ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في معاملة النساء خيرا ، وأوصى بمعاملتهم برفق وروية مما نتج عنه توازن في المجتمع الإسلامي ورفيقه .

كما علا شأن المرأة أكثر فأكثر في العصرين الأموي والعباسي ، فعرفت بأدبها وحسن التدبير في مجال الشعر وخير مثال [سكينة بنت الحسين ، وأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان] غير أن هذه المكانة لم تدم للفترات اللاحقة ، بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأمم التي تنعدم عندها مفهوم العدل والمساواة ، فانظفأ نجم الأمة وتداعى شأن المرأة وأخذت منزلتها تنحط ، بسبب ما دخل على هذه الأمة من عادات وتقاليد لا تلاءم مبادئها وأخلاقها ، فدفع الرجال إلى تشديد القبضة عليهم ، فعزلهن في البيوت وضربوا حولهن الستائر ، وغطوا وجوههن بالحجب الشفافة والكثيفة ، وحرموهن من المشاركة في أي لون من ألوان الحياة ، حتى غدت المرأة لا تخرج من بيتها في الحول إلا مرة واحدة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> امرؤ القيس ، الديوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983 ، ص 110-122 .

<sup>2</sup> رجاء سميرين ، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر 1914م-1965م ، دار اليراع للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2003م ، ص 450 .

وتهاوت أكثر مكانة المرأة في العصر العثماني ، و زاد من انحطاطها الفهم الخاطيء للدين وتأويله حسب رغباتهم ، فسلم الرجل لها كل الحقوق المادية التي نصت عليها الشريعة ، وحرمها من الحقوق المعنوية ، فوضعها في الإقامة الجبرية ، وحرمها من التعليم لتتحدّر قيمة المرأة في هذا العهد عما كانت عليه في العهود السابقة ، فاحتكروا كل الحياة الاجتماعية ، فرفع حجم التخلف في المجتمع النسائي<sup>1</sup> .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ، أخذت ستائر الجهل التي أسدلت بالانزياح و الانقشاع وسحابة الظلام بالانجلاء شيئاً فشيئاً ، فعملت أصوات المصلحين على تحرير المرأة وإخراجها من الظلام الدامس إلى نور الحرية والرقى نحو المستقبل ، ودفعها إلى الحياة لتشارك الرجل في بناء المجتمع والوقوف في وجه المستعمر ؛ فظهر أنصار لها بالتحرك أمثال : بطرس البستاني ، وأحمد فارس الشدياق ، ورفاعة الطهطاوي ... الذين دعوا إلى ضرورة تعليم المرأة وإنصافها و منحها جميع حقوقها ، وتغيير معاملتها بشكل كلي ، لأن المرأة حسب رأيهم من عماد المجتمع ومقوماته مستندين في أقوالهم على نصوص الشريعة الإسلامية<sup>2</sup> .

وهذا الاهتمام الكبير الذي تمتعت به المرأة في العصر الحديث ، جعلها تتخذ من النموذج الغربي منطلقاً لها على حساب عاداتها وتقاليدها ، لتصرخ أصوات رافضة تدعوها إلى التمسك بقيمتها والابتعاد عن القيم البالية التي تتولد عنها الرغبة في الشعور بالحرية المطلقة ورفض القيود فهذا حافظ إبراهيم يقول :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا بين الرجال يجلن في الأسواق .

يدرجن حيث أردن لا من وازع يحذرن رقبتة ولا من واقسي .

<sup>1</sup> إسماعيل مظهر ، المرأة عصر الديمقراطية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1949 م ، ص102 .

<sup>2</sup> ياسين بوعلي ، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة ، دار الطليعة الجديدة ، دمشق ، ط1 ، 1998 ، ص11 .

ربوا البنات على الفضيلة إنها في الموقفين لهن خير وثاق .

وعليكم أن تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي<sup>1</sup>.

ولم يكن هدفنا تتبع مكانة المرأة عبر العصور ، وإنما الهدف تقديم لمحة وجيزة عن هذا الموضوع لنمهد لدور المرأة في بناء المجتمع المعاصر و الظلم الذي تعاني منه وبخاصة المجتمع العراقي مهد شاعرتنا ، ولهذا منحناها الاهتمام الكبير نظرا لما تمر به من أزمت على مختلف الأصعدة ، واتخذتها رمزا لكل شيء ينبض بالحياة [ الأرض و النخلة ، النهر والشجر ... ] و البستاني بما أنها امرأة ، فإنها تدعو كل امرأة إلى التغيير والعمل على التحرر من عبودية الذكر المحطم لكل الإبداعات الأنثى فتقول في إحدى مقابلاتها عن ظلم المرأة ، سئلت فيه هل المرأة مظلومة أم لا ؟ ومع أن الظلم موجود ، لما وجدت المخلوقات نساء ورجالا وفي كل المجالات ، إلا أن المرأة حين تتاح لها فرص العلم والعمل وترفضها .. إنما هي ظالمة حقا ، ولاسيما في الوطن العربي ظالمة إنسانيتها ظالمة لمجتمعها ووطنها ، ظالمة لخطط التنمية البشرية ومن واجباتهن ضرورة المشاركة في تحريك عجلة التنمية الاقتصادية ، وصمتها واستسلامها وخضوعها للنظم التي تفرض عليها هو سبب أيضا في مواصلة ظلم نفسها<sup>2</sup>

إنّ القصائد التي خصتها البستاني للمرأة ، تحتها على أن تكون فاعلة ومغيرة لما يدور حولها ، على أن تبقى قاعدة بين جدران بيتها تؤوم الضحي :

قالت ظبية مذبوحة :

لا تسدلوا فوقي الغبار .

بل أعينوني على خرق جدار<sup>1</sup> .

تحدث الشاعرة قطيعة بين الماضي والحاضر وتحذوها الرغبة في التغيير والتحول من الصورة الماضية إلى صورة أخرى ، صورة التطور وممارسة حرياتها في بناء المجتمع وتحثها على امتلاك إرادة التحرر لتحرر نفسها ، لأن مجتمعها الذكوري لن يحررها وتحول يظهر في النص باستخدام ( لا الناهية ) و (بل) ليمثلان رفضاً وإقصاءً لمنطق الإقصاء .

والاضطهاد الذي مورس على المرأة حقبا طويلة واضح في معجم النص ، عبرت عنه برموز طبيعية ذات الثقل الموروث المرتبط بصورة المرأة ( الظبية ) ، ووصفتها بالطريدة الضعيفة اللائذة عن مواجهة قدرها المحتوم بالصيد والانتهاك ، ورفضها مجسد في لفظة ( لا تستدلوا ) ، الواصفة حالة السلب والانكسار والتهاوي لتقابله بفعل إيجابي غير متوقع (خرق) إذ ورد بصيغة اسمية وليست فعلية للدلالة على القوة :

وأنا أسمع صوتك .

يعطيني الشارة ،

أبصر زحف الثعبان .

على صخر العمر ،

فألهث خلفك ،

سيدتي : قوس من نار يخرق ظهري ...<sup>2</sup> .

تظل المرأة ماضية قدما في ترسيخ خطواتها لتجاوز الضعف والاستسلام، بالاستناد إلى ألفاظ ذات إيحاءات واضحة على الشدة والصلابة والحركة ( الثعبان ، صخر ، نار ... ) ، أما (الصوت)

<sup>1</sup> البستاني ، الأعمال الكاملة ، [ قصيدة امرأة ورجل ] ، ص 550 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص551 .

هنا يحيل على المنجز الفني والفكري للمرأة بوصفه أداة التواصل الجديدة لتنتقل بها نحو المستقبل ،  
ويصبح مطلباً للتواصل مع الرجل .

أمّا رمز ( النار ) " وهو من المفردات العالم الحلمي أو الكابوسي ، فالذات تبدو دائماً  
محاصرة بالنيران وهي ترمز إلى براكين الثورة والغضب الكامنة في صدره إزاء العالم الخارجي  
الذي يرفضه ، فيكون استدعاء رمز النار لإحراق الواقع وإعادة تشكيله "1، فحملت سياقات  
مختلفة ومتضادة ، الأولى تحيل على مكابدات المرأة واحتراقها عبر الأزمنة فتقابله بالصمت ، والثانية  
تدل على العنجهية القبلية البالية والكبر الذي أحدث قطيعة بين المرأة والرجل ونبت التواصل بينهما ،  
والثالثة نجد توهج بين عينيها يحمل أمل يضيء دربها لتحرر :

أتلقت ،

أبصر في الإعصار .

أعنة خيل تجري .

وأرى عينيك على برج النار .

ترقب ما تركته الريح .

على الأشجار ...<sup>2</sup> .

الإعصار هو المخاض الذي أسفر عن المشهد الجديد بتقاطع عناصر المشهد الأول وما يليه ،  
لتمنح صورة الحركة والتغيير في ( الخيل ) ، ليحيل بدوره على دلالات عدة متشعبة ، بوصفها  
رمزاً حركياً يعبر عن الثورة و الأصالة .

أمّا ما استقر عليه المشهد برمته ، هو إمالة اللثام عن بعض عتباته النصية المحيطة به ووصفها  
عناصر أساسية يستخدمها الباحث لاستكشاف أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها ،

<sup>1</sup> فوزي سعيد عيسى ، جمالية التلقي قراءة نقدية في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية ، دط، 2009، ص216.

<sup>2</sup> البستاني ، الأعمال الكاملة ، [ قصيدة امرأة ورجل ] ، ص552 .

فالعبارات النصية هي المداخل التي يعتمد عليها القارئ للكشف عن مكنوناته ، وتنبثق أهميتها " في تشكيل الدلالة وتفكيك الدوال الرمزية وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل " <sup>1</sup> ثم تتطور صورة المرأة عند شاعرتنا لتبينها وهي تعيش في مأزق الحرب ، وما تتكبد من خسائر بالرجال والأطفال ولا تحرك ساكنا لتقف مكتوفة اليدين فتقول في قصيدتها " صمت أنثوي " :

داخلي يصرخ الصمت .

في داخلي تتحرك كل المعارك .

تسفح أمنية دم أخواتها .

وتجر الضفائر . <sup>2</sup>

تكمل البستاني رحلتها مع صورة المرأة زمن الحرب منشغلة بها ومتفرغة للموقف الجديد ، موقف المشاركة في النضال السياسي والاجتماعي ضد الحرب والخراب ، فترمز لها بالأرض ، لأن المرأة والأرض هما الوطن وشرفه وكرامته ، لتعلم الجميع أن الأنثى في الحرب تفقد كل شيء " أنوثة في زمن الحرب " <sup>3</sup>

مشط داوٍ يتذكر شَعْرًا متسلبا ..

كمظلة حبّ فوق الكتفين ..

وزجاجة عطر خافقة .

تسأل عن أنملة تشعلها الأشواق .

إنّما تشتاق لأن تزين نفسها فالمشط يسأل أين المرأة التي تتعطر وتتجمل لكن الحرب وضعت حدا فاصلا بينها وبين هذا الزمن ، وبالرغم من فقدانها لأنوثتها لكنها لا تزال تلك المبدعة والفنانة

<sup>1</sup> جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، بيروت ، 1997 ، م25 ، ع3 ، ص109 .

<sup>2</sup> بشرى البستاني ، مواقع باء \_ عين ، ص308 .

<sup>3</sup> بشرى البستاني ، مواقع باء \_ عين ، ص: 311

والغيرة هي المرأة القادمة من انخيار الثقافة الذكورية المتمثلة في الأسوار التي وضعها هو من احتلال  
واضطهاد وعنف قاتلة :

وقلت ...

تهدمت الأسوار .

وانبلح سراب الصحاري .

وجمعت الريح أوراق خيبتها .

وتفتقت جذوع الشجر

تسبح باسم القادمة ..

دموع القداح

وعن جرحها ورد الخسائر ...<sup>1</sup> .

إنّ المرأة القادمة هي امرأة شمولية واعية ، متصالحة مع الآخر ومع كل ما يحيط بها ، كما  
تجاوزت ركام الماضي وسلبياته ، فبدأ خطابها متوازنا لا يشي بالتقاطع والانفصال بل يكتنز كل  
مقومات التواصل والتفاعل والانفتاح على الآخر عن طريق تكسير قوانين المجتمع المعادية لها بلغة  
جديدة وصور وبناء آخر على النحو الذي يوقف السرد الشعري ب (قلت..) مع ( انبلاج سراب  
الصحاري ) الفجر الجديد المشرق .

وفي ظل الاضطهاد الكبير الذي أصاب المرأة في العراق فترة الاحتلال، تبدو وكأنها زهرة  
أصيبت بالجفاف لتذبل وتتساقط على تربة ماؤها دم ودمار ، بين أيدي مغتصب داس كرامتها

<sup>1</sup> بشرى البستاني ، مخاطبات حواء ، دار شمس ، القاهرة ، دط ، 2010 ، ص220 .

وسهل مجتمعا الذكوري له ذلك ، ثم تواصل المرأة التحرر والانبثاق لتبحث عن مخرج يساعدها على الاستمرارية لتجسد عما في دواخلها ألا وهو الكتابة وأي كتابة في عصر الانهيارات لتقول :

أكفر بالعصر الذي علمني الكتابة

أصرخ يا سيدي الملك ...

كفرت بالحضارة ...

بقشرة صفراء مستعارة ..

كفرت بالجلد الذي أحمله ..

بالمدين العارية السيقان .

بجرح قلبي المترب الأحزان .

بمنشأة تمنح الفتاة :

حقوقها بالحزن والتعذيب والأرق ...<sup>1</sup>

وشكّل الاضطهاد الذي يمارس بحقها إيقاع حزين مكسور ( بالمدين العارية السيقان ) فهو رفض لهذا التغييب والتهميش المستمر بحق المرأة ولاسيما أنه يصدر من صاحب القرار (حكام الوطن) ، لا تنظر الشاعرة هنا إلى عذاب العراق على أنه عذاب سياسي فحسب تتقاذفه إيديولوجيات متصارعة ، بل تنظر إلى كثافة عذاباته التي تتراكم مع بعضها لتشكّل عبئا ثقيلا ينزح تحته الإنسان العراقي بشرائحه كافة ولاسيما المرأة ، فاضطهادها أدى بها إلى الموت ظمأ واغترابا هو واحد من عذابات العراق التي أدت إلى إضعاف شوكته ، واقع يرفضه الشعر وترفضه شاعرتنا وتدين

<sup>1</sup> البستاني ، ما بعد الحزن ، قصيدة [ بدوية في عصور الكتابة ] ص 597 .



أسبابه ، لتعمد إلى تشكيل صور متوالية تحرص إلى إبراز مسائل واقعية تتمثل في كل تفاصيلها برؤيتها الوجدانية :

في الطريق إلى مكة غيرتني القوافل .

ان سأموت بلا كفن أو سدور ...

وفي المغرب العربي وجدت ثيابي .

معلقة فوق صارية .

وثيابي على جبل الشيخ في الشام منشورة .<sup>1</sup>

وصفوة القول إنّ المرأة عند شاعرنا البستاني هي الفاعلة والمغيرة والثائرة ، لذلك فإنّها تدعوها دائما إلى الثورة والتحرر حتى ترفع عن نفسها قيود الاضطهاد والسيطرة والعبودية ، وتضع لنفسها مكانة داخل المجتمع الذكوري ، ولكن بالمحافظة على مقوماتها ومبادئها الاجتماعية والعربية و معتقداتها الدينية .

#### - اضطهاد والحرب ضد الطفل :

أما الوجه الثاني للاضطهاد ويسعى المحتل لهدمه وطمس شخصيته في البلد الذي يعمل على تحطيم بناه التحتية ألا وهي الطفولة ، جيل الغد ورمز مقاومته ، وأدركت شاعرنا المهمة السامية للشعر في التعبير عن آلام هذه الشريحة الضعيفة .

دمع ودماء وجراح وآلام ... كلمات تحتل حياة الطفل العراقي الذي مازال يعاني من ممارسات ومخلفات الاحتلال الأمريكي طيلة ثمانية سنوات عاش من خلالها كل صور الشقاء

<sup>1</sup> البستاني ، مكابيات الشجر ، ص 323 .

والمعاناة ، ولكنه استطاع أن يصبح رقما صعبا في معادلة الصراع القوى الفاشية ، ومنذ وطأة الاحتلال والطفل يعاني حالة من العنف باستخدام كل أنواع الأسلحة والوسائل العسكرية مما سبب له حالات نفسية من الخوف والهلع ، وهذه العوامل كونت لدى أطفال العراق شخصية لا تقبل بالذل والخيانة والهوان و لم تغفل البستاني هذا الجانب باعتبارها مربية الأجيال وبطبيعة عملها مدرّسة .

وعني عدد كبير من شعرائنا العرب المعاصرين إلى الحديث عن معاناة الطفل في الحروب وما ينجر عنها من أزمات نفسية، فالقصائد المكتوبة عن الطفل تصور بشاعة الحرب و ويلاتها أما المكتوبة للطفل فيحثه الشعراء على طلب الحرية والتشبع بروح المقاومة .

وقد أولت البستاني العناية لهذه الفئة من المجتمع باعتبارها أمل الغد وقوته ومستقبله ، فأعلت صوتها إضافة للأصوات الأخرى التي تندد بما يتعرض له أطفال العراق فتقول في قصيدتها " قال الطفل ماما أكره أمريكا " :

يا أيها الطفل الذي جاء بلا يد

ولا قدم

لكن في وجهه قنديلين أخضرين

يبتسم .

ويسأل القابلة السمراء .

عن سر دمعها .

عن وجه أمه الذي يشيح عنه نحو طائرة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> بشري البستاني ، مواجع باء - عين ، مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2011 ، ص226 .

يتراءى أمامنا مشهداً حزيناً لطفل مبتور اليد والقدم ولكنه أوتي من الجمال والفتنة والذكاء الكثير ، ونجده يتساءل عن سر انشغال أمه عنه بالطائرة وهو لا يدرك حجم المأساة التي يعن منها الشعب العراقي من استلاب الحرية والكرامة الإنسانية له ، ومن هذا العالم المتمدن القاهر بوحشيته، ليسعى الطفل جاهداً أن يلجأ إلى أمه لعلها تكون ملاذاً ولكن الأم تعزي ولدها من عصر يغتال الإنسانية ويجول كل ملامح الحياة إلى موت ، ( فالقابلة ) التي يرتبط حضورها بالأنثى وطقوس الولادة وما بها من دلالات الحياة تكون في مواجهة الموت الذي تحيل إليه أمريكا .

جسدت القصيدة كل مشاعر الغضب والكرهية لأعداء الأمة العربية التي تحاول الأم أن ترضعها لأبنائها ، لكي ينشأ على حب المقاومة وكرهية الأعداء لتثور ذات الشاعرة وتعلو نبرة صوتها ، التي تحمل جسد أنثى وعاطفة أم بما ينال الطفولة البريئة جراء ثروات لتصر على معاناة الأطفال من تقتيل وإعاقة ( بلا يد ، بلا قدم ) ، تحاول الشاعرة إيصال فكرة أن الاحتلال مدمر وليس كما يدعى قائلًا : إنه مصدر للديمقراطية ، فتصور المعاناة بشكل أكثر مرارة:

قامت قيامة الصواريخ واختلط اللحم العراقي البريء ،

بجحيم الحضارة الأمريكية الغارقة بالدرن .

اختلطت جثث خمسة وعشرون مليوناً وتسعمائة ألف شهيدة .

وشهيد ، أطفالاً وصبياناً وفتياناً .

لكن أحداً في زمن الحرية لم يستطع أن يجيب .. !

أبحث عن ينخر السفينة ليعبر بها إلى الطرف الآخر .

لكن الصمت يراود مقل الكلام وتهوي الصواريخ

.....

اقتلعوا أسس بابل

أمسكوا أطفالها واضربوا بهم الصخرة .

طفلة تعدو ، تلاحقها الشظية .<sup>1</sup>

لم تخصص البستاني دواوين خاصة للأطفال توضح فيها معاناتهم وآلامهم واضطهادهم في بلد انتهكت فيه كما يدعي الغرب حقوق الإنسان ، وما وجدناه غير بعض الشذرات هنا وهناك .  
والمضطلع بالتقارير التي تنشرها الأمم المتحدة حول معاناة أطفال العراق ندرك أن المحتل لم يكن هدفه البحث عن أسلحة الدمار الشامل أو الاستيلاء على النفط بقدر اقتلاع البلد من جذوره ولا يتسنى له ذلك إلا بالقضاء على الأطفال الذين لم يدركوا لماذا يموتون ؟ والسياسيون قابعون لا حراك لهم ، وهنا يتبادر إلى الذهن هل ستقوم الأرض بهذا الدور والحراك المنتظر ؟ في تغيير حالة هؤلاء الأطفال الذين فقدوا كل طعم للحياة ، وأملهم العيش في وطن ينعم بالهدوء والاستقرار :

يفتح الطفل ذو السنوات الأربع عينيه ذعرا .

وبكبرياء الطفولة يموت .

انهضي أيتها الأرض .

كي يتسنى لهذه الرعشة أن تفرع أعمدة الوجود .

انهضي ... .

واستلقي بين سواعد امرأة ورجل يقتصان من القتلة .

وبحكمة الأصابع يعيدان تشكيل الكون ..

<sup>1</sup> بشري البستاني ، الأعمال الكاملة [ حب 2003 ] ، ص 63

1. انهضي .

تصدر شاعرنا خطابا احتجاجيا رافضا كل أنواع الاضطهاد ضد طفل العراق وأطفال العالم العربي عامة وحرمانهم من العيش والتعليم والبناء والتشييد ... لأجل تحطيم حضارات كاملة ، فالبستاني تصرخ وتدعوا إلى الالتحام والتعانق بفعل الأمر ( انهضي ) لتحقيق التعاون بين كل الموجودات والعناصر المحيطة بهم - الأطفال - ليفوزوا بالنصر والحرية .

تواصل بشري البستاني تصوير مشاهد مأساوية متتابعة لهؤلاء الأبرياء وهم يتنفسون الدم ودمار ونيرانا أتت على الأخضر واليابس :

أغمض عيني فأبصر الأطفال مكدمين على الأرصفة ،

وتحت الأنقاض ..

جثثا من ورود بيضاء ... بنفسجية ...

مفتحة عيونهم ومفردى السواعد ...

لا نعوش تحملهم ...

لا قبور تواربهم ...<sup>2</sup> .

تتأزم الأحداث أكثر فأكثر في قصائد البستاني ، لتتركز إلى تكرار البنى التركيبية في النص ذات الجوهر و المعنى الواحد ولكن بتشكيلات لفظية متعددة ، وهذا التكرار تؤكد به بشاعة الموت الذي يتعرض له الشعب العراقي ( لا قبور تواربهم ) لتترك الجثث مترامية هنا وهناك .

<sup>1</sup> بشري البستاني ، الأعمال الكاملة، ص 69 .

<sup>2</sup> البستاني ، مواجع باء - عين ، ص 293 .

تشكل الصورة المكثفة التي يطفح بها هذا المقطع الشعري توازنا واضحا مع الدلالة العامة للقصيدة ، دلالة القهر والألم الذي تمخض عن حادث القمع الذي توحى به الصور الجزئية الفاعلة التي تأسس عليها هذا المقطع ومقاطع أخرى من القصيدة لتجسد وظيفة جمالية تتمثل في تأكيد الحس المأساوي .

لم تكتف الشاعرة بموقف الرفض فحسب ، بل إنها في كثير من الأحيان تسعى إلى القبض على المكونات الجمالية للشعر ، لذا نجدها تستحضر في خطابها الشعري عناصر فنية مختلفة ، من أجل أن تمد موضوع الصورة بنفس تنويعي ، يشحنها بالكثافة الدلالية التي تعمل على توهج شعرية الصورة لديها :

اسمع يا ولدي في عزّ الليل .

همسك يبكي ...

ليلي ... حسنا ، ميسن .

تسألهم أن يأتوا ، فاللعبه كانت قبل الصاروخ جميلة ...

لكن الطيارة كانت لأم من بوش ...<sup>1</sup>

شعر البستاني المصور لحياة الأطفال في العراق ، شعر ثوري رافض كل أساليب القمع وانتهاك المعاهدات التي تحث على حماية الطفولة في الحروب .

ثمّ إنّها تبعث من خلاله رسائل مكتوبة لتستنهض همم الشباب والمجتمع لاسترجاع الحق المفقود ( الحرية ) وتحرير المجتمعات من سيطرة الطغاة والغاصبين للأوطان لينعم الأطفال بالعيش

<sup>1</sup> البستاني ، مواجع باء - عين ، ص 227\_228 .

الآمن والهدوء والسلام ويضمنوا حقهم في الدراسة والصحة والحرية ، ففي إشراق شمس كل يوم أمل جديد وحلم كبير بالتطور والرفي .

بعد هذه الرحلة الطويلة في رياض بشرى البستاني وبعد الدراسة المستقصية عن الرفض في شعرها ، نحاول أن نلخص بعض النتائج التي توصلنا إليها تلخيصا سريعا لنختتم بإذن الله ثمة هذا الجهد المتواضع :

- ✓ بشرى البستاني نموذج للمرأة المبدعة والمكافحة بكل عزم وهمة ، والصامدة والمقاومة والمغيرة بقلمها وشعرها بعض مساوئ الظنّ بالمرأة في مجال الكتابة الشعرية والأدبية عامة .
- ✓ نشأت في كنف أسرة ذات علم وثقافة ، مما ساعدها على تقفي العلوم من كل مجال فصقلت موهبتها في نظم الشعر في سن مبكرة ، وأظهرت ميلا منذ الطفولة إلى الأدب عامة والشعر خاصة ، وقالت الشعر في مختلف الأغراض وهو عندها انعكاس عن الحياة أو الطبيعة وتعبير عنها لا يقتصر على فن معين أو غرض أو فكرة أو موقف بل يحتوي كل شيء .
- ✓ احتقرت الضعف والاستسلام ودعت إلى الاتحاد والمقاومة لأجل العدل والمساواة بين **فئات** المجتمع في كل مكان وزمان ، ووحدة الأمة الإسلامية والعربية وحثها على النضال والكفاح لنيل الحرية وكرامة العيش .
- ✓ الرفض في شعرها نابع من التزامها الوطني اتجاه قضية بلدها العراق وقضايا قوميتها العربية ، مع تأييدها لكل الثورات والانتفاضات التي تصنعها الأمم من أجل التحرر من قيود عبودية الحاكم والمستعمر .
- ✓ يتميز شعرها بقوة اللغة وصلابة الإيقاع ومتانة الصورة ، والعاطفة الصادقة وضميرها الواعي ، وإرادتها الحرة التي كرستها بصوتها وقلمها في خدمة الشعب والوطن والأمة وهمومها السياسية والاجتماعية .
- ✓ الأزمات التي يمر بها العراق جعل من الوطن سمة بارزة في مجمل أعمالها الشعرية ، وتطرت إليه في مضمون الرفض والالتزام وكشف نقاط الغضب المتأصل في الكيان العربي ، وصوتها هو أحد الأصوات العربية الداعية إلى المقاومة .



- ✓ الرفض في شعرها رفض إنساني يشتمل على قيم الوجود وواقع الأمة في ماضيها وحاضرها ، ليتجلى هذا الواقع في الفكر والدين والسياسة والاجتماع .
- ✓ موضوعية الرفض السياسي لدى الشاعرة شكلت الجوهر الحقيقي لقصائدها السياسية، وهذا يستجيب للشروط التاريخية التي واكبت كتابة قصائدها ، فالأحداث التي مر بها العراق كثيرة ومنحت له رافداً أغنى تجربتها الشعرية ، ولعل النماذج التي رصدتها عملت جلياً على بلورة منظومة الرفض السياسي عندها .
- ✓ بروز جانب الواقع في شعرها ، فلم تحد عنه بسبب تسارع الأحداث في العالم العربي .
- ✓ **سيطرت** الحس الأثوي على قصائدها الشعرية ، مما أعطاها بعداً جمالياً أكثر من **شاعرات الجيل السبعيني** .
- ✓ بروز الجانب الإنساني في شعرها **كبعد** واقعي ، وهذا بسبب تفشى الظلم والقهر والاضطهاد في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية وشرائح المكونة للمجتمع، بخاصة المرأة والطفل .
- ✓ تمثل صوتاً شعرياً مثقفاً لا ينتمي لجيل معين ، وإن انطلقت من ثورة السبعينيات بيد أن انبثاق تركيبة القصيدة مرتحن بوقوف النص على العامل الذي اتكأت عليه بشرى البستاني .
- ✓ اهتمت بشرى البستاني بتقنية بناء القصيدة ، وعدت كل واحدة بمثابة عمل فني تتحكم هندسة النص فيه .
- ✓ ولعل أبرز نتيجة توصلت إليها من خلال البحث تتمثل في أهمية الدراسة النقدية والنصية والتي لا تزال تحتاج منى جهداً أكبر في المستقبل ، ومن هذا الباب فقد قدم لنا دعماً معنوياً جعلنا نمضي قدماً نحو العمل الجاد في مجال البحث الأدبي .

## نبذة عن حياة الشاعرة بشرى البستاني :

ولدت الشاعرة بشرى حمدي البستاني في مدينة الموصل العراقية 1949، في بيئة عشقت الدين و الأدب والعلم ، لذلك كانت مفعمة بالحياة مفتونة بكل ما هو جميل وحركي ، حفظت القرآن من تلاوة والدتها نهارا وتحفظ الأدعية من أوراها والدها ليلا ، وتحفظ الأغاني التي يبتها المدياع ، في الرابعة من العمر إلى الروضة الأطفال ، في الخامسة إلى المدرسة ، وفي عائلة احتضنت طفلتها الواثبة برعاية لافتة بعد موت أربعة أطفال من الأشقاء قبلها .

كانت لحظة الشعر هي اللحظة المهمة في حياة تلك الصبية وفي تكوين قريحتها من خلال لحظة حاسمة انعطفت بوعيتها وحياتها معا لتحوّلها كلياً من الاعتيادي إلى المثير ومن المؤلف إلى الدهشة هي لحظة فك سر الكلمة كتابة وقراءة ... وتقول الشاعرة عن علاقتها بالكتابة والقراءة : ومنذ (دار ودوار ) وأنا أعدو وراء الكتابة والقراءة بشغف ، يحرقني ظمأ فادح لمعرفة المزيد معفاة من العمل المنزلي ، فقد كانت كالأزمة الكتب تسعد أمني التي تعشق تفوق أبنائها ، وانفتح أمامي عالم الكلمة السحري وجمال الأداء يغريني والدلالة بفضاءاتها الكامنة وراء الجمل تتحداني ، وقبلت التحدي وأحس والدي بذلك فكانت هدايا العيد كتباً ودواوين ومجلات شعرية وأدبية ، وفي المرحلة الابتدائية خصص من يدرسي القرآن الكريم والحديث الشريف كل صيف ومعها قرأت سيرة الصحابة وقادة الفتوحات وحين أنهيت المرحلة الابتدائية أهداني كتاب - المنتخب من أدب العرب -<sup>1</sup> .

وتواصل حديثها فتقول قرأت نماذج من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي وأكثر ما استوقفني تجربة العذريين والمهذليين ، وفي المرحلة الثانوية توقفت عند الشعر الحديث ولاسيما

<sup>1</sup> كتاب جمعه الدكتور طه حسين ومجموعة من أدباء من أمثال أحمد أمين وعلى الجازم وأحمد الإسكندري ، ويتكون من أربعة أجزاء .

نازك الملائكة وفدوى طوقان والسياب وقرأت من الأدب العالمي المترجم ملحة كلكامش التي أدهشتني .

هكذا سردت لنا الشاعرة الروافد الثقافية التي نهلنا منها لتفتح قريحتها الشعرية وهي في بواكير حياتها ، وفي الثانوية نشرت لها عدة مقالات وقصيدتين في صحيفة فتي العراق ، ولم يتوقف عطاءها عند هذا الحد بل تعمق واتضح في المرحلة الجامعية التي كانت موضع اختبار حقيقي لها فأثبتت وجودها وحضورها وسط المحيط الجامعي لتكون سر مجلة الكلية وعنوانها الرئيسي ، وبعد أن حصلت على شهادة البكالوريوس من كلية الآداب جامعة بغداد ، انطلقت تجربتها انطلاقة جديدة بتفكير وتأني لتدخل مخاضا جديدا في دراستها للماجستير والدكتوراه لتشكل لها الأطروحات أبعادا ميثاقية وفلسفية وصوفية لتحدث البستاني عن أهمية هذه المرحلة من حياتها الإبداعية والفكرية والأكاديمية : أحدثت تحولا مهما في حياتي الإبداعية لأن القراءة صارت معمقة ومخصصة وأكثر مسؤولية . لأن القراءة والحوار صار يفضيان إلى المزيد من الأسئلة الإشكالية في مجال الحقول المعرفية ولاسيما الوجودية و الفلسفية و المناهج النقدية .

وفي خضم هذا الكم الهائل من الروافد المعرفية والعلمية التي نهلنا منها لتتكون قريحتها الشعرية نسجل أن حياتها انشطرت نصفين : الأول يتوق إلى الإبداع الشعري والعزلة الشعرية أو الوجد الشعري ، والثاني هو حضورها الأكاديمي من خلال التدريس والإشراف وإدارة الندوات العلمية والحلقات الدراسية ... أخذت الشاعرة من الشعر الكثير وأعطته الكثير ، ذلك أن الانغماس في الشعر ودراسته جوهرها وقيمة والدراسة النقدية بحثا عن العلاقة الجديدة بين دال اللغة الشعرية وطرائق أدائه .

تعمل الشاعرة أستاذة للأدب والنقد العربي وتحليل والنص في كلية الآداب جامعة الموصل من عام 1985م حتى الآن بكل نشاطها المتواصل الذي لم يتوقف أبدا فكان عطاؤها نبعنا من الماء العذب لا يتوقف .

## ملحق الدراسة

ووصفها محمود خليف خضير بالإنسانة الصبورة المتفانية النشيطة المحبة للجميع المتفائلة بالمستقبل والجريئة العظوفة الحنونة ولكنها الصارمة عليما قبل هذا وذاك ، فمسارها العلمي حافل بالإنجازات والتكريم لنختصره فيما يلي :

✓ حصلت على أوسمة العلم من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مرتين ، وعدت من أوائل العراق في البحث الأكاديمي للأعوام 1999م – 2002م ، ونالت أوسمة الإبداع مرتين من وزارة الثقافة والفنون ، وشارات المرأة الماجدة من الإتحاد العام لنساء العراق . كما حصلت على أكثر من أربعين شهادة تقديرية من مؤسسات عراقية وعربية وعالمية

✓ ألفت عدة محاضرات خارج العراق ودرست في الجامعة الأردنية بين 2000 و 2002 م  
✓ لها كتابان نقديان صادران عن عمان والجزائر : الأول ( دراسات في شعر المرأة العربية ) والثاني ( تحليل النص الشعري ) ، وشاركت في تأليف أكثر من اثني عشرة كتابا .

✓ مثلت العراق في مؤتمرات علمية وإبداعية منها مؤتمر الثقافة والفنون في ألمانيا ، ومؤتمر المرأة الدولي في براغ ، ومؤتمر المبدعات في تونس و بيروت وعمان ، وعملت مسئولة لقسم الدراسات والبحوث وعضوه هيئة التحرير ومستشارة في دوريات مختلفة منها مجلة آداب الرفادين والتربية والعلم والمرأة ... .

✓ لها أكثر من تسعة دواوين مطبوعة ومنشورة في بيروت ودمشق وبغداد وحلب هي : ما بعد الحزن 1973م ، الأغنية والسكين 1975م ، أنا والأسوار 1977م ، زهر الحدائق 1984م ، أقبل كف العراق 1988م ، البحر يصطاد الضفاف 2000م ، ما تركته الريح ومكابدات الشجر 2002م ، أندلسيات لجروح العراق 2010م ، مواجع باء - عين 2011م ، كتاب الوجد 2011م ، ... إلخ .

نماذج من شعرها :

هذا العصر لا يتسع لحبي

هذا العالم لا يتسع لحبي

حرائقه ابتلعت أنهارى

لصوصه داهمت أيامى

مستلةً آخر قطرات الضوء منها..

هذا العصر ناعورٌ صدئ...

فى كل اتجاه يتأرجح..

فى كفه خنجرٌ مسّم .

كلما هممتُ بالابتسام وخنزى

تركنى مخنوقة فى ممر ضيق....

أخاف الدخول إلى بيتى

وأمنع من المغادرة هرباً للفضاء

حتى أيقنت ألا فضاء فى هذا العصر ...

فالخلىل بن أحمد وابن منظور وباختين .

كلهم كذبوا علينا....

لا فضاء في هذا الكون ...

بل دهليز يؤدي إلى دهليز تلو دهليز .

داخل البيت رجلٌ يكمم فمي...

يلقي بقبعته الحديدية فوق وجهي ...

يمتشق حزامه النحاسي ويجلد ظهري .

أفتح أزرارَ حزني لأغربه بعبير القرنفل ..

لكنه يزداد عنفا حتى يتدفق دمي ...

يجزّ بأصابعه الشوكية حرير شعري .

يدفع رأسي لبركة ماء كبريتي .

أختق ...أصرخ،

يكوي بلغافة تبغه لساني .

ويقول لا مفرّ مني...

في الخارج يقف جنرالات حاملون بنادق .

على أوجههم أقنعة سوداء وصفراء .

في أحزمتهم تتكدس صفوف الرصاص .

ورمانات العلقم ...

أتلقت مذعورة فلا أجد غير الرجال .

مدججين بخرائط الحروب ..

وأصابع اللباب ...

أغمض عيني فأبصر الأطفال مكدسين على الأرصفة .

وتحت الأنقاض ..

جثثا من ورود بيضاء....ورديّة....

مفتحةً عيونهم ومفردي السواعد...

لا نعوشَ تحملهم...

لا قبورَ تواربهم ...

وتحت أنقاض البيوت حجرٌ يصرخ .

تحت أنقاض البيوت أنينٌ يتدلى .

وعلى أجنحة الريح عالقٌ دمعُ النساء بتراب الأمانى .

أخضر، مخضبا بالحكمة ...

لكن من يقطف الحكمة من شجر امرأة .

في عصر الرجال ....

يا الهي ..

أما من عمل للرجال غير إشعال الحروب ..

وهل من عاقل يعطي امرأة واحدة دفعة حكم العالم .

كي تضمّ إلى صدرها أنهاره وأشجانه ورواييه .

وتمسح بأصابع الحنان أوزاره .

يومٌ واحدٌ... يكفي .

نهارٌ واحدٌ... أو حتى ساعة واحدة ...

ساعة حبّ لإنعاش العالم... .

وحدها تكفي لإبادة أزرار الصواريخ الني .

شحنها بالقسوة الرجال ...

وتقول كذلك :

لا توقظ الوردة .

إنها متعبة..

أيقظ الجرح الغافي .

لكن بسؤال الندى .

إحفظ وصية الشجر :

من دخل زهرة الرمان فهو آمن .



لا تدع الأسئلة غافية .

أيقظها .

إنها تتناسل في الخفاء .

والأجوية في غيابة لعبة مقفلة .

وعلينا أن نجيد اللعب بإتقان<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> ينظر : سيرتي الإبداعية ، مقاومة دائمة وبحث عن جوهر الحياة ، موقع الشاعرة على الشبكة الإلكترونية ،

[www.bushra-albustani.4t.com](http://www.bushra-albustani.4t.com)

- أو ينظر : محمود خليف حضير ، سلطة الإبداع الأثوي في الخطاب النسوي بشرى البستاني أمودجا ،

، ص 9- 16 .

[www.dijlaih.com](http://www.dijlaih.com)

\_ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

أولاً : المصادر :

\_ دواوين الشاعرة بشرى حمدي البستاني

أ – دواوين فردية :

- 1\_ ما بعد الحزن ، دار النهضة ، بيروت ، 1973 .
- 2\_ الأغنية والسكين ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 1975 .
- 3\_ أنا والأسوار ، جامعة الموصل ، العراق ، 1977 .
- 4\_ زهر الحدائق ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 1984 .
- 5\_ أقبل كف العراق ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 1988 .
- 6\_ البحر يصطاد الضفاف ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 2000 .
- 7\_ ما تركته الريح ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2002 .
- 8\_ مكابدات الشجر ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 2002 .
- 9\_ أندلسيات لجروح العراق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دمشق ، 2010 ،
- 10\_ مخاطبات حواء ، دار شمس القاهرة ، 2010 .
- 11\_ موجع باء – عين ، دار مجدلاوي ، عمان ، 2011 .
- 12\_ كتاب الوجد ، دار فضاءات ، عمان ، 2011 .

ب – دواوين مشتركة :

- 13\_ أشعار رغم الحصار – ديوان مشترك ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 .
- 14\_ مسلة العراق ، ديوان مشترك ، الاتحاد العام للأدباء – جامعة الموصل ، 1994 .

## المصادر والمراجع

15 \_ الموصل في عيون الشعر ، جامعة الموصل ، 2010 .

### ج - الكتب النقدية :

16 \_ دراسات في شعر المرأة العربية ، دار بلسم ، عمان ، 1998 .

17 \_ تحليل النص الشعري ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2002 .

18 \_ قراءات في الشعر العربي المعاصر والحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 2002 .

### ثانيا \_ المراجع العربية .

#### إبراهيم شمس الدين :

1\_ الموازنة بين البحتري وأبي تمام للأمدي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2006 .

#### إبراهيم خليل :

2\_ الأسلوبية ونظرية النص ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1997 .

3\_ النص الأدبي تحليله وبنائه مدخل إجرائي ، دار كرم ، 1995 .

#### إبراهيم طوقان :

4\_ الديوان ، دار الآداب ، بيروت ، ط2 ، 1965م .

#### إبراهيم حمادة :

5\_ مقالات في النقد الأدبي ، مكتب الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، القاهرة ، دت .

#### ابن أبي أصبعية :

6\_ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، ألمانيا ، 1995 .

## المصادر والمراجع

ابن رشيح القيرواني :

7\_ العمدة في نقد الشعر وتمحيصه ، تحقيق: عفيف نايف ح اطوم ، دار صادر\_ بيروت ، ط2 ، ج1، 2006 .

ابن السلام الجمحي :

8\_ طبقات فحول الشعراء ، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1422هـ/ 2001م .

ابن عبد ربه الأندلسي :

9\_ العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1، ج1، 1404هـ/ 1984م .

ابن قتيبة :

10\_ الشعر والشعراء ، تقديم الشيخ حسن تميم، مراجعة محمد عبد المنعم العريان ، دار الحياء العلوم بيروت ط3 ، 1987.

ابن القيم :

11\_ مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تح : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2، ج3 ، 1973 .

ابن منظور :

12\_ لسان العرب ، تحقيق: عبد الله علي الكبير، هاشم محمد الشاذلي، محمد أحمد حسب الله، دار صادر بيروت للطباعة و النشر، ط 5، م6، 2005.

أبو الحسن الأخفش (215هـ) :

13\_ كتاب القوافي، تحقيق د: عزة حسن، دمشق، ج1، 1970.

أبو القاسم القيشري :

14\_ الرسالة القشرية، دار السلام، القاهرة، 2003.

أبو القاسم الشابي :

15\_ أغاني الحياة ، دار ومكتبة الهلال ، ط1 ، 2003 .

أبو العلاء المعري :

16\_ سقط الزند، دار صادر، بيروت ، دط، 1957م .

إحسان عباس :

17\_ محاولات في النقد والدراسات الأدبية ، دار العرب الإسلامية ، ط1 ، 2000 .

18\_ اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، دب ، فبراير 1978 .

أحمد سعيد أدونيس :

19\_ الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة بيروت ، ط5 ، م2 .

أحمد أبو حاقه :

20\_ الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979 .

أحمد بن علي حجر العسقلاني (773هـ - 852هـ) :

21\_ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق : قصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، ج10 ، 1986 .

22\_ نزهة الألباب في الألقاب ، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري ، مكتبة الرشد ، الرياض، ط1، ج2، 1409هـ/1989م .

أحمد شوقي :

23\_ ديوان الشوقيات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط12 ، ج2، 1986 .

أحمد محمد قدور :

24\_ العربية الفصحى المعاصر، دار العربية للكتاب ، تونس ، 1991.

أحمد زكي أبو شادي :

25\_ ديوان الشعلة، مطبعة التعاون، مصر، ط1، 1933.

إخلاص محمود عبد الله :

26\_ جدلية الغياب والحضور في شعر بشرى البستاني، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

إسماعيل عز الدين :

27\_ الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة، ط1، 2007.

28\_ الشعر في إطار العصر الثوري ، دار الحداثة ، بيروت لبنان ط 2 ، 1985 .

إسماعيل مظهر :

29\_ المرأة عصر الديمقراطية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1949 م .

أمل دنقل :

30\_ الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة بيروت، أو مكتبة مدبولي ، القاهرة ط2، 1985 .

امرؤ القيس :

31\_ الديوان ، ش : عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 2004 .

32\_ الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

أنور المرتجي :

33 \_ سميائية النص الأدبي ، إفريقيا الشرق ، ط1 ، 1987 .

البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت652هـ):

34 \_ صحيح البخاري، دار ابن الكثير، دمشق \_ بيروت، ط 1، ج5،  
1424هـ- 2002م.

بدر شاكر السياب :

35 \_ ديوان أنشودة المطر، دار العودة، بيروت، م1، د ط ت .

بسام قطوس :

36 \_ إستراتيجية القراءة والتأويل والإجراء النقدي ، دار الكندي والتوزيع  
، الأردن ، 1998.

بطرس البستاني :

37 \_ أدباء العرب، دار مارون عبود، بيروت ، د ط ، ج2 ، 1981.

البندنجي أبو البشر اليمان بن أبي اليمان :

38 \_ التقفية في اللغة ، تح : د خليل إبراهيم العطية ، مطبة العاني بغداد ،  
د ط ، 1976 .

الجاحظ أبو عثمان بن بحر :

39 \_ البيان والتبيين ، تح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ،  
ط7، ج4، 1998 .

جبرا إبراهيم جبرا:

40 \_ الرحلة الثامنة ، المكتبة العصرية بيروت ، 1967 .

جلال الخياط :

## المصادر والمراجع

41\_ الأصول الدرامية في الشعر العربي، دار الرشيد للنشر ، العراق ، 1983 ، ( د ط ).

**جميل صليب :**

41\_ المعجم الفلسفي، دار الكتاب العربي بيروت، ج1، 1978.

**جواد علي :**

42\_ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جامعة بغداد ، ج 4 ، د ط ، دت.

**الحسين طاهر:**

43\_ حضارة بلاد الرافدين العراق في التاريخ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1983 .

**حسن مصطفى سحلول :**

44\_ القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001 .

**حسين أبو النجا :**

45\_ اليهودي في الرواية الفلسطينية ، دار هومة ، الجزائر ، ط 1 ، 2002 .

**الخطيب التبريزي :**

46\_ الكافي في العروض والقوافي ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ج8 ، ط 2 ، 2000.

**خليل مردم بك :**

47\_ ابن الرومي، دار صادر، بيروت، ط1، 1988.

**درويش محمود :**

48\_ أوراق الزيتون، دار الكتاب المختارة، حيفا، 1964.



رجاء سميرين:

49\_ الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر 1914- 1965 ، دار  
اليراع للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2003 .

رمضان الصباغ :

50\_ في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ، دار الوفاء لندنيا  
الطباعة والنشر الإسكندرية ، ط1 ، 2002 .

الزركلي خير الدين :

51\_ الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط15 ، ج4، 2002 .

زكي نجيب محمود :

52\_ مع الشعراء، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1988.

الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد :

53\_ أساس البلاغة ، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية  
بيروت، ط1 ج1-2 ، 1998 .

الزوزني، أبو عبد الله الحسين :

54\_ شرح المعلقات السبع ، دار صادر بيروت ، دت ، د ط .

سمير علي الدليمي :

55\_ الصورة في التشكيل الشعري ، دار الشؤون الثقافية العامة \_ بغداد.  
صبار نور الدين،

56\_ شعر الرفض في العصر العباسي الأول، ثنائياً الثبات والتغيير، دار  
الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2002 .

صباح ياسين الأعظمي ،

57\_ المعجميون في العراق ، مطبع المجمع العلمي العراق ، بغداد ، د ط  
، 1997.

صبري حافظ :

58\_ التناس وإشارات العمل الأدبي ضمن أفق الخطاب النقدي ، دار الشرقيات ، القاهرة ، 1996 ،

صلاح فضل:

59\_ أساليب الشعرية المعاصرة ، دار الآداب ، بيروت، ط1، 1995.

60\_ منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1980.

صلاح عبد الصبور :

61\_ حياتي في الشعر ، بيروت ، 1983 .

ضيف شوقي :

62\_ دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف، القاهرة، ط 10 ، 2003 .

63\_ التطور و التجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة مصر ، ط7، 1981.

عاطف نصر جودة:

64\_ الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس بيروت، ط1، م6، 1978.

65\_ الخيال مفهومه ووظائفه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 1984.

عباس محمد :

66\_ الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1999.

عدنان حسين قاسم :

67\_ لغة الشعر العربي أصالة التراث في مواجهة التهجين ، الكتاب والتوزيع والإعلام والمطابع ، ط1 ، 1981 .

عدنان حسن العوادي :

## المصادر والمراجع

68\_ الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986.

عبد الرحمان سعد :

69\_ السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح، دب، ط3، 1983.

عبد الرحمان خليل إبراهيم:

70\_ دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول(ص) ش.و.ن.ت الجزائر، ط1، 1971م.

عبد السلام المساوي

71\_ البنيات الدالة في شعر أمل دنقل ، اتحاد الكتاب العرب ، بيروت ، 1994 .

عبد العزيز عتيق :

72\_ الأدب العربي في الأندلسي ،دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط 1 ، 1976 .

عبد العزيز موافي:

73\_ الرؤية والعبارة مدخل إلى فهم العام ، الهيئة العامة للكتاب ، 2010 .

عبد الفتاح صالح نافع :

74\_ الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، عمان – الأردن ، 1983 .

عبد القاهر الجرجاني :

75\_ دلائل الإعجاز،تح:محمد رضوان الداية\_فايز الداية،دار الفكر، ط 1 ، 2008،

عبد الله ابن المقفع :

76\_ كليلة ودمنة ، ضبطه : حبيب يوسف مغنية ، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ط الأخيرة 2001 .

عبد الله المهنا :

77\_ دراسات في الشعر والشاعرة ، شركة الريحان للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط1 ، 1985 .

عبد الله الغدامي :

78\_ الخطيئة والتكفير ، المركز الثقافي العربي \_ المغرب ، ط6 ، 2006 .

عبد الله الوكبيبي:

79\_ قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط2، 1983.

عبد المجيد زراقط

80\_ ثقافة المقاومة ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، القاهرة ، د ط ، د ت

عمر فروخ :

81\_ تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط5 ، ج1، 1984.

عبد المالك مرتاض:

82\_ التحليل السميائي للخطاب الشعري ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2001 .

83\_ في نظرية النص الأدبي ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 .

عبد الكريم الناعم :

84\_ في أقانين الشعر:سلسلة الدراسات الأدبية و اللغوية 5 ، دار الذاكرة ، مطابع دار العلم،دمشق ، ط1، 1991 .

عبد الوهاب البياتي :

85\_ الأعمال الكاملة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، م 2 ، ط1 ، 1995.

عبد الواحد لؤلؤ :

86\_ موسوعة المصطلح النقدي ، وزارة الثقافة والإعلام \_ بغداد ، مج 1 ، 1982 .

عيسى بلاطة :

87\_ بدر شاكر السياب حياته و شعره ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 م 1 ، 2007.

غالي شكري :

88\_ شعرنا الحديث إلى أين ؟ ، دار الأفاق الجديد بيروت ، ط2، 1978 .

غنيمي هلال :

89\_ الأدب المقارن ، دار العودة ، بيروت ، 1983.

90\_ النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة – بيروت ، 1973.

فواز الشّعار :

91\_ و إميل يعقوب، الشعراء العرب ( الموسوعة العامّة ) ، دار الجيل ، بيروت ، ج1 ط دت.

فوزي سعيد عيسى :

92\_ جمالية التلقي قراءة نقدية في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية ، ط، 2009 .

فهد محسن فرحان :

93\_ الإبلاغ الشعري المحكم قراءة في شعر محمود البريكان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط1 ، 2001 .

قدامه بن جعفر :

## المصادر والمراجع

94\_ نقد الشعر ، تح : محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة المليجية ، مصر ، دط ، 1979م .

قيس أنثوري :

95\_ أنثروبولوجيا النفسية ، بغداد ، دط ، 1990 .

كمال أبو ديب :

96\_ جدلية الخفاء و التجلي دراسات بنيوية في الشعر ، دار العلم للملايين ، بيروت ط1، 1979.

مجدي وهبه ، كامل المهندس :

97\_ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ، بيروت ، منقحة و مزيدة ، ط2 ، 1984 .

محمد بديع شريف :

98\_ ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي ، دار المعارف (د.ت)، ج2 .

محمد قميح :

99\_ الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط1 ، 1985 .

محمد إبراهيم أبو سنة :

100\_ دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف، القاهرة ، ط2، دت

محمد حسن عبد الله :

101\_ الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف \_ القاهرة ، 1981

محمد مندور :

## المصادر والمراجع

102\_ الأدب و مآهبه ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط 6 ، 2006 .

محمد عزام :

103\_ النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، 2001 .

محمد مفتاح :

104\_ تحليل الخطاب الشعري ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1986 .

محمد حسن عبد الله :

105\_ إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، دط ، 2002 .

محمد الصادق عفيفي :

106\_ النقد التطبيقي والموازنات ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، دط ، 1976 .

المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد بن حسن :

107\_ شرح ديوان الحماسة ، تح أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، 1999 .

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ( ت 261 هـ ) :

108\_ صحيح مسلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 3 .

مصطفى ناصف اليازجي :

109\_ الصورة الأدبية، دار الأندلس ، بيروت ، ط 3 ، 1983 .

مصطفى الغلاييني :

110\_ ديوان الغلاييني ، المبعة السباعية ، حيفا ، 1343هـ / 1965م .

مطاع صفدي :

111\_ إستراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط2، 1986 .

112\_ معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: مكتبة الشروق الدولية ، ط : 4 ، 1425 هـ / 2004 م ، ج 3 .

معروف الرصافي

113\_ الأعمال الكاملة ، [ قصيدة : علم ودستور ] ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، 1958 .

المفضل بن محمد بن سالم الضبيّ ( ت 168 هـ ):

114\_ المفضليات ، تح : أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ط6 ، 2010 م .

ميخائيل امطانيوس :

115\_ دراسات في الشعر العربي الحديث ، بيروت ، 1968 .

نازك الملائكة :

116\_ قضايا الشعر المعاصر ، دار الآداب ، بيروت ، ط ، 1962

ناصر لوحيشي :

117\_ الرمز في الشعر العربي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2011 .

نور سلمان :



118\_ الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، دط .

نجيب الحصادي :

119\_ ليس بالعقل وحده ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1992 .

نزار قباني :

120\_ الأعمال السياسية الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط2 ، 1984 ، ج4 .

نوري حمودي القيسي :

121\_ شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1986 .

نسيب نشاوي :

122\_ مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر – الاتباعية – الرومانسية – الواقعية – الرمزية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 .

وفيق خنسة :

123\_ دراسات في الشعر العربي الحديث ، دار إقرأ ، بيروت ، دط .

هياس خليل شكري :

124\_ ينابيع النص وجماليات التشكيل قراءات في شعر بشرى البستاني ، جامعة الموصل ، نينوي ، العراق ، دط ، دت .

ياسين بوعلي :

## المصادر والمراجع

125\_ حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، دار الطليعة الجديدة ، دمشق ، ط1 ، 1998 .

ياقوت الحموي :

126\_ معجم الأدياء ، تح: د إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ج3، ج5، ج6، ط1 ، 1993 .

يوسف الحناشي :

127\_ الرفض ومعانيه في شعر المتنبي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط1 ، 1984 .

يوسف عوض:

128\_ رواد الشعر العربي الحديث ، مكتبة الأمل ، دت .

يوسف سامي اليوسف :

129\_ ما الشعر العظيم ؟ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1981 .

130\_ ت س إليوت ، الدار البيضاء، ط2 ، 1993 .

### ثالثا \_ المراجع المترجمة :

1\_ اشفيتسر ألبرت ، فلسفة الحضارة ، تر: عبد الرحمان بدوي ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 1980 .

2\_ باشلار غاستور ، فلسفة الرفض ، تر خليل أحمد خليل ، لبنان بيروت دار الحداثة ط1 ، 1985 .

3\_ تزفيتلن تودروف ، الشعرية ، تر : شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار بوقبال للنشر ، المغرب ، 1987 ، ط1 .

## المصادر والمراجع

- 4\_ جون كروكشانك: ألبير كامى وأدب التمرد. ترجمة جلال العشري، مطبعة الوطن العربي، دط ، دب .
- 5\_ راندل جاريل ، أزمة الشعر المعاصر ، تر : ماهر حسن ، دار الوحدة العربية - بيروت ، 2001 .
- 6\_ سي دي لويس ، الصورة الشعرية ، تر : أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن ابراهيم ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، 1982 .
- 7\_ فاتيمو جيافي، نهاية الحداثة ، تر: فاطمة الجيوشي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1998 .
- 8\_ فرانسواز داستور ، هيدغر السؤال عن الزمان ، تر : سامي أدهم ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1993 .
- 9\_ فيليب فان تيغم ، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا ، تر : فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط1 ، 1968 .
- 10\_ كارل ماكس ، مقدمة في الاقتصاد السياسي ، نقلا من الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، يوسف حناشي، الدار العربية للكتاب، تونس ، 1984 .
- 11\_ كامو ألبير، الإنسان المتمرد ، تر: نهاد رضا ، منشورات عويدات بيروت ، ط1 ، 1963 .
- 12\_ مارتن هيدغر، نداء الحقيقة ، تر د : عبد الغفار مكاوي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1977 .
- 13\_ مونييه أما نويل ، الشخصية ، تر: محمود جمول ، المنشورات العربية ، دب ت .

### رابعا : المراجع الأجنبية

- 1\_ Heidegger latter sure l' humanisme , race question 3 et 4 galliard 1996 , p 67

## المصادر والمراجع

2-léo h'ock : la marque de titre, dispos tiqués d'un mouture Publisher .paris.  
1981 . p 17 .

خامسا : الدوريات

\_ إسماعيل عز الدين ، مقال ، مفهوم الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين ،  
مجلة الفصول ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ع 4 ، رمضان 1401هـ \_  
يوليو 1981م .

\_ بشرى البستاني ، قصيدة [ هكذا أريد أن أموت ] ، مجلة رسائل الشعر ،  
بغداد ، ع 2 ، نيسان 215.

\_ جربوع عزه ، التناسل القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر ، مجلة  
فكر وإبداع ، ع 13 ، 2004 .

\_ جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، بيروت ، م 25  
، ع 3 ، 1997 .

\_ خالدة سعيد ، بوادر الرفض في الشعر العربي الحديث ، مجلة  
شعر ، ع 13 ، 1961 .

\_ عبد المالك مرتاض ، في نظرية النص الأدبي ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق  
، ع 1-2 ، 1988 .

\_ علوي الهاشمي ، جدلية السكون المتحرك ، مدخل إلى فلسفة بنية الإيقاع في  
الشعر العربي ، مجلة البيان ، 1990 ، ع 290 .

\_ محمد مصطفى هدارة ، النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث ، مجلة  
فصول مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، ع 4 ، م 1 ، 1981 / 1982 .

\_ محمد العبد ، الصورة والثقافة والاتصال ، مجلة الفصول ، ع 62 ، 2003 .

\_ محمد رمضان ، سمات الشعر المقاوم ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب  
العرب ، دمشق ، ع 211 ، 1989 .

\_ نازك الملائكة ، [مقال : الشاعر و اللغة ] ، مجلة الآداب البيروتية ، ع 10 ،  
أكتوبر 1971 .

## المصادر والمراجع

\_ نوري حمودي القيسي ، من صور الرفض والتحدي في الأدب الجاهلي ،  
مجلة قضايا عربية ، لبنان، ع6 ، 1981.

### سادسا \_ الرسائل الجامعية

1\_ سكيئة قدور ، الحبسيات في الشعر العربي ، أطروحة دكتوراه دولة في  
الأدب العربي الحديث ، إشراف أد: لخضر عيكوس جامعة منتوري قسنطينة ،  
2007/2006 .

2\_ محمد سعدي ، ملامح الرفض في شعر محمد الغماري ، رسالة مقدمة لنيل  
الماجستير في الأدب العربي ، إشراف أد ، محمد عباس ، قسم اللغة والأدب  
العربي جامعة تلمسان ، 2000\_2001 م .

3\_ نور عبد الرزاق محمود القيسي ، الصورة في شعر بشرى البستاني ،  
رسالة ماجستير ، إشراف : علي متعب جاسم ، جامعة ديالي العراق ، قسم اللغة  
والأدب العربي 2014.

### سابعا \_ المقابلات

\_ مقابلة مع الشاعرة بشرى البستاني في كلية الآداب ، جامعة الموصل في  
2007/06/20م.

\_ حوار مع الشاعرة، صحيفة المثقف، بغداد، 20 / 02 / 2011 ، ع1079 .

\_ تقرير الهيئة المستقلة الخاصة بالقضايا الإنسانية الأمم المتحدة ، هل تكسب  
الإنسانية معركتها ، تر محمد عصفور ، مطبعة بنك البتراء ، الأردن ، 1989 .

\_ حوار مع الشاعرة البستاني ، جريدة العراق اليوم ، 26 / 03 / 2015 م .

المقدمة	أ - د
المدخل	1
■ ماهية المصطلح	7 _ 1
■ شعرية الرفض	18 _ 7
■ عوامل الرفض لدى الشاعرة	26 _ 19

## الفصل الأول

### الاتجاه الشعري لدى بشرى البستاني

1_ بداية الشعر الحديث في العراق	32_28
2_ التجديد في الشعر	32
■ اللغة الشعرية	48 _ 33
■ الإيقاع في شعرها	62 _ 48
■ الصورة الرفضية في شعرها	74 _ 62
3_ التجديد في النقد	75
■ النص الشعري	81 _ 75
■ التناص عند الشاعرة	94 _ 82

## الفصل الثاني

### الأبعاد السياسية للرفض في شعر بشرى البستاني

- 1\_ البعد الديني ..... 97.....
- النزعة الصوفية ..... 97\_ 104.
  - البستاني وابن عربي الصوفي ..... 104\_ 108.
  - القدس في شعر البستاني ..... 108\_ 113.
  - القومية العربية و البستاني ..... 113\_ 121.
- 2\_ البعد الوطني ..... 121.....
- الوطن ..... 122\_ 130.
  - الاحتلال الأمريكي للعراق ..... 131\_ 135.
- 3\_ البعد الإنساني ..... 136.....
- النزعة الإنسانية ..... 136\_ 137.
  - رفض الضعف الإنساني ..... 137\_ 139.
  - رفض العصر الدموي ..... 139\_ 141.

## الفصل الثالث

### الأبعاد الاجتماعية للرفض في شعر بشرى البستاني

- 1\_ القيمة الخلقية ..... 143.
- الشعر والأخلاق ..... 143\_149.
- شعر المقاومة ..... 149\_152.
- مقاومة الحرب والموت ..... 153\_158.
- 2\_ رفض الاضطهاد ..... 158\_161.
- حضور المرأة في التفاعل الاجتماعي ..... 161\_171.
- اضطهاد والحرب على الطفل ..... 171\_176.
- خاتمة..... 178\_179.
- ملحق الدراسة..... 181\_188.
- قائمة المصادر والمراجع ..... 190\_212.
- فهرس الموضوعات ..... 214.



## ملخص

بشرى البستاني من الشاعرات اللواتي حققن \_ في الساحة الأدبية العربية \_ الحضور الفعلي في الإبداع الشعري الهادف إلى محاولة التغيير السياسي والإصلاح الاجتماعي عن طريق الكلمة الحرة ، فقد جعلت لنفسها مكانةً علميةً نتيجة تنوع ثقافتها التي كونت منها قريحتها الشعرية المتميزة ، وجاءت هذه الدراسة لتقف على ظاهرة الرفض التي تمثلها الشاعرة في مضمون الشعر العربي المعاصر الخاص بالمرأة . الكلمات المفتاحية : [ملمح ، الرفض ، الشعر المعاصر النسوي ، بشرى البستاني ] .

## Résumé

**Bushra EL-Boustani des poètes qui ont fait \_ dans l'arène de l'arabe littéraire \_ présence effective dans la créativité poétique visant à tenter de changement politique et la réforme sociale par la liberté d'expression, il a lui-même fait un prestige scientifique en raison de la diversité de la culture qui les a formés Qrihtha distinctive poétique, est venu cette étude représente le phénomène rejet représenté par le poète dans le contenu de la poésie arabe .contemporaine des femmes privées**

**Mots clés: [allusive, le rejet, les poèmes des femmes .contemporaines, Boushra EL-Boustani .**

## Abstract

**Boushra EL-Boustani of the poets who have made \_ in the arena of literary Arabic \_ actual attendance in poetic creativity aimed at attempting to political change and social reform by free speech, it has made itself a scientific prestige as a result of the diversity of culture that formed them Qrihtha distinctive poetic, came this study stands for the phenomenon rejection represented by the poet in the content of the private women's contemporary Arabic .poetry**

**Key words: [allusive, rejection, contemporary women's hair, Boushra EL-Boustani .**

شكل الرفض مرتكزا مهما في حياة الشعر ، حين تحالف الفن مع الحياة ودفع بالشاعر إلى اتخاذه كأداة تعبيرية ليوائم بين الصدق النفسي والفني والمجتمع خاصة ، إذ وحد الشاعر بين أفكاره ومبادئه وما يجري في واقعه .

تطرت إلى تعريف الرفض وإلى المعاني المختلفة التي عرف بها ، ومن أهمها الترك ، والتكسير والقوت ، والمعنى الشائع هو البديل بمعنى رفض وضع من الأوضاع أي الموافقة على وضع آخر يخالفه ، ليأخذ معان أبعد اصطلاحا فكل فسره حسب توجهه وفكره وتصوره لواقع الحياة ، فالفلسفيون أعطوه معنى مواجهة الانقياد أي البحث عن البديل لما يحوم حولهم من نزاعات وصراعات ، ليؤيد هذا التوجه الماديون وربطوه بجانب الوعي أي استحضار العقل في عملية الرفض وطرحوا سؤال من هو الإنسان المتمرد ؟ وأعطوا إجابة هو من يصرخ ب"لا" وأكدوا على الثائر إذا ما رفض ألا يتراجع ، في حين يرى كلون ولسون أن الشخص إذا لم يرفض فهو شخص غير منتمي ونصفه نصفين الأول فعال والثاني سلمي أي فوضوي.

في حين ربطه آخرون بالتمرد لما يشتركان في مدلولهما اللغوي غير أنهما يختلفان من الوجهة الاصطلاحية والفلسفية ، فالتمرد هو من المشكلات التي تواجه البشرية ، أي شعور الأفراد في مختلف المجتمعات بالعجز عن تحقيق بعض أهدافهم الجوهرية في الحياة .

كما يختلف منطلق الشخصين الراض والتمرد لأن منطلق الثاني يكون في الفكر والأدب مما يؤدي به إلى الكفر والإلحاد ، في حين يجعل من الأول فعال ويهوى التغيير لكن من خلال تبنيه أفكار يواجه بها الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري ، والثاني قد يكون سلمي يدفع للفوضى . ثم عرجت على اقتران الرفض بالشعر كافتران الروح بالجسد ، نتيجة ما اكتنفه كل عصر من العصور من مشاكل وتناقضات التي شملت كل الميادين والمجالات ، فعمل الشعراء بأقلامهم وأفواههم

على تغيير هذه السلبيات ، فافتزان الشعر بالرفض ميزة ينفر بها الشعر أكثر من سواه من الفنون الأدبية الأخرى .

وقد تميز الشعراء وتميزت أشعارهم حسب كل فترة زمنية ، فالشاعر هو لسان الأمة وضميرها الحي فيدفعه السخط والغضب إلى رفض الذل والخضوع .

امتزج شعر الرفض بالغضب وعد دافعا له ، فشعراء الجاهلية وخاصة منهم الصعاليك ، لتثور ثورتهم على أحكام القبيلة والعصبية فعد شعرهم من أجود الشعر ، ليحتكم صدر الإسلام واقتسم الشعراء شطرين نصف مدافع عن الدين والجديد والثاني متعصب لكفره وجاهليته .

ثم عرجنا على بقية العصور لنسجل في العصر الأموي انتشار الطائفية وظهور أحزاب جديدة ، فاشتمل على حركة شعرية واسعة متسمة بالرفض والثورة وعدم الانقياد لما كان سائدا ، لتلقى هذه الظاهرة انتشارا واسعا وكبيرا في العصر العباسي بشطريه الأول والثاني وما عرف عنه من صراعات اجتماعية واقتصادية وسياسية خاصة على الحكم ما بين الشيعة والسنة والعلويين والعباسيين ، مع الاحتكاك الكبير للعرب بالأمم الأخرى ، فقاد هذه الحركة الشعرية الراضية شعراء كثر وعلى رأسهم أبو الطيب المتنبي ، وبشار بن برد ، والشريف الرضى ... .

ورغم الانتشار الكبير لهذه الظاهرة لم تجد ضالتها إلا في العصر الحديث ، فاستهل الشعراء في شعرهم رفضهم بالثورة على القالب القديم ، ليزعم أصحاب هذا المذهب أنه لا يرتقي إلى ما تكتنفه روح العصر ولا يلي احتياجاتهم الفكرية ؛ لتظهر إلى العلن أصوات رافضة بقوة وثائرة ومتمردة حتى عدت أيقونة هذه الظاهرة وأصدق من مثله أمل دنقل ، وأدونيس ، والسياب ، وشاعرتنا بشرى البستاني إحدى الأصوات النسائية القليلة التي اتخذت من الرفض سمة بارزة في شعرها نتيجة الظروف التي تحيط بها من كل حذب وصوب ، فدفعتها جملة من الأسباب للرفض من أهمها الغربة والألم

والمعاناة اخل وطنها العراق الذي دمره الاحتلال وعالمنا العربي المشتت ، مع اغتصاب الصهاينة للأراضي المقدسة ، مما جعل مجمل شعرها رافض كل هذه الظواهر السلبية .

وبعد التعرض الوجيز لمفهوم الرفض لغة واصطلاحا ، واقتران هذه الظاهرة بالشعر وذكر أسباب

الرفض عند الشاعرة البستاني ، تدرجت في البحث لأتحدث عن بدايات الشعر الحر في العراق

والمراحل التي مر بها حتي وصل إلى هذه الصفة من التطور والنضج ، إذ كانت بداياته مع التجديد

بعد الحرب العالمية الثانية على لسان صاحبة التجديد نازك الملائكة في قصيدتها بعنوان الكوليرا ؛ غير

أن بداية التجديد في الشعر من حيث المضمون ظهرت منذ العصر الجاهلي وسجلت في أشعار عنتره

بن شداد وشعراء الصعاليك ، ثم يتسع نطاق التجديد في العصور الموالية ليظهر شعر النقائض في

العصر الأموي ، لتنتشر أنواع جديدة سميت بمسميات مختلفة منها الدوبيت والمخمس والمربع والمزدوج

وغيرها ، إلا أن هذه الأشكال لم تخرج عن الإطار القيم وخاصة من حيث الشكل .

أما في العصر الحديث فعمل شعراء عدة ومن بينهم شاعرنا على التجديد شكلا ومضمونا ،

وسجل هذا التجديد على حساب اللغة والإيقاع والصورة .

إذ لا يمكن اعتماد لغة جاهلية أو أموية أو عباسية ، للتعبير عن متطلبات العصر ومشاكله

وهومومه ، لنعرج على لغة شاعرنا والتي تميزت بالرفض والغضب والثورة والتمرد على كل أشكال

العنف والدمار وما يلقاه شعبها وأبناء أمتها من اضطهاد ، إذ تعد اللغة في شعرها أشبه بمسكن

الوجود فالكلمة لدى الشاعرة لها معني ومدلول .

والتجديد الذي أدخلته البستاني على لغتها خاص بالعنوان وبمضمون القصائد لتلجأ إلى الرمز

والغموض معبرة عن خلجات النفس ومكابداتها لآلام الأمة ، فاللفظة جاءت مصاحبة بذلك

التحولات الستينية التي رافقت الحركة الأدبية والتي بدأت تعالج الشاعرة من خلالها رسم الكلمات

وتستسقي ثورتها الإبداعية عن طريق المحاكاة الصوتية وتعليق معنى وهذا ما يتضح في مجمل شعرها كقصيدتها " جروح الأرض " .

والتحولات التي أحدثت على الشعر اتخذت من الرمز منطلقا عاما ، لما يحدثه في نفسية القارئ إذ يدخله في عوالم لا حدود لها ، وبشرى البستاني جعلته كنقطة مركز لتدفع بالمتلقي إلى الغوص في أغوار النص ويتذوق معانيه ولغته المتميزة ، وحسن استخدام البستاني للرمز جاء نتيجة عمق ثقافتها بالتراث مع امتزاج المعاصرة .

أجادت البستاني استخدام الرمز في نصوصها مما أضفى عليه رونقا وإيقاعا جميلا معبرة به عما يختلج في صدرها من مكابدات ، غير أن الدارس لشعرها لا يمكنه أن يغفل جانب الغموض وهو من الأمور التي جدت في الشعر فهي تعبر به عن غضبها ورفضها لمعاناة شعبها ، كما تخلق به البستاني إيقاعا خاصا منبثقا من تجربتها الشعورية النابعة من إحساسها العميق بالحياة ونزوع نحو الحرية التي تحارب من أجلها بإيقاعات تمشي ووتر العصر ، لتكشف عن معنى الفعل والوجود في الفن والواقع معا ، فالإيقاع في الشعر يرتبط كارتباط الروح بالجسد ، فتختار شاعرتنا كلمات وألفاظ تتماشى مع الزمن الذي تعيشه لتتحرر من ضوضاء الواقع .

كما تمكنت الشاعرة من استخدام اللغة ، تمكنت من اللعب بالأوزان العروضية الخليلية باعتمادها معظم البحور الخليلية الصافية والمركبة ، مما أبعدها عن الركود والجمود والرتابة والعلل التي تحرك الإيقاع وتلونه كما وظفت كغيرها من الشعراء التدوير الذي منح نصوصها موسيقى متميزة حققت لها سردا فنيا ، لتؤكد الوحدة العضوية وفيه نجحت في إبراز توتر الذات الشاعرة وشعورها بالخطر إزاء المحن المحيطة بها وبوطنها وشعبها ، مظهرة ذلك بقافية منسجمة ، فهي في شعرها ليست مجرد أداة بل تجربة نابعة من صميم شعورها وإحساسها الراض لواقع عصرها

بايقاعات متممة .

نواصل رحلتنا في شعر البستاني لنسجل امتزاج الإيقاع بصور متلوّنة بانفعالات رافضة ومفردات ومعان متمردة ، فرسمت في شعرها صور شعرية متنوعة مرتبطة أساسا بالتنوع في التجربة النفسية والشعورية المنادية بالتغيير ، فالصورة عند البستاني رسما قوامه الكلمات ، إذ لم تعد تتشكل من علم البيان والبديع بل أصبحت تحتوي على بعث الفوارق والمتناقضات والصياغات الجديدة .

لنعبّر إلى الصورة التي تأخذ طابع متميز ، إذ أصبحت مغشاة بمسحة انفعالية شديدة التعقيد لإختلاط الواقع بالخيال ، وشاعرتنا لم تنفرد بهذا الجانب بل شاركها شعراء معاصرين فيه للتعبير عما يختلج في ذواتهم لأن الذات هي محرّكة الأفكار والشعور ، والمتتبع للمنجز الشعري لشاعرتنا يسجل أن الصورة رمز مصدره اللاشعور ومهما أخذت من الواقع فإنها تبقى بعيدة عن بناء الصورة الشعرية الحقة ، ولهذا مزجت شاعرتنا كل العوامل المحيطة بها انطلاقا من الذات إلى الخيال مروراً بالواقع المر الذي يعيشه الإنسان العراقي والعربي فاتخذت من هذه العوامل دافعا لرفضها وثورتها .

الشاعرة تعلن بصراحة واضحة التزامها بتيار الوعي الإنساني وذلك عن طريق إيقاظ المجتمع ، مما يجعل تربية الوعي الجمالي في الإنسان مقترنا بتربية الوعي السياسي والاجتماعي ، والصورة الشعرية عند البستاني أكسبت نصوصها ميزة متفردة وهو انحيازها للنص الأنثوي الذي تجسد فيه سمة الرفض بوضوح لمعاناة النفس العربية خاصة والذات البشرية عامة ، ومن خلال تطرقنا للنص وقفنا على العنوان الذي يعد العتبة الأساسية للولوج في عالم النص الأدبي والشعري عامة .

ثم تطرقنا إلى التناص وما اعتمدت عليه الشاعرة في تكوين نصوصها فنلاحظ سعة ثقافتها إذ تنوعت المصادر ما بين الدينية والتراثية والأدبية .

وعليه فالبيستاني استطاعت برؤية حديثة أن تعالق بين الأنواع المختلفة بل وبين الأجناس أيضا لتكسب نصوصها القدرة على خلق رؤية مركبة ساهمت في التجديد .

نكمل الولوج في عالم شعر البيستاني ، لندخل عالم السياسة والأب السياسي في شعرها ، اذ يعد عندها ثوري رافض تغبر من خلاله عن النزعة الينية بطبيعة توجهها الديني ، فارتحلت نحو التصوف كنوع من التوسع النوعي والعمودي واصطفاف ضد الظلم والاضطهاد ورفض مجريات الواقع ، إذا فالتعبير الصوفي عند البيستاني احتجاج على هيمنة الحس المادي وغياب المعالم الروحية ، لتعرج بصوفيتها على واقع الأمة القائم والأكثر مرارة مستخدمة تعابير انزياحية ، تعمل على محاربة الظلم والتوعية والتنوير والرغبة في العيش بسلام، والذي نادى به شعراء كثر ومنذ نعومة أظافر الشعر العربي، لأن الشاعر لا يرى وإنما يدرك بإحساسه مراميه مع الارتقاء إلى المبادئ العليا والسامية حسب فكر ابن عربي الصوفي ، الذي نجد تجسيد واضح لمعظم أفكاره فيشعر البيستاني فاشتركا في طرح الأفكار ولكن كل حسب طريقته البيستاني بالشعر وابن عربي بفلسفته إذ اتفقت معه في مبدأ تجسيد الذات واحتلها في نفس الفكرة .

كما لا يمكن لأي شاعر عربي ومسلم أن ينسى أولى القبليين وثالث الحرمين ومهد السيد المسيح، فلسطين الأرض المغتصبة اذ احتلت جانبا مهما من وعي الشاعرة بهذه القضية وما تتعرض له من انتهاكات ، فمحمل القصائد التي وجهت لها مشحونة بالحسرة الموجهة والإحساس باليأس من موقف السياسة منها ، فالتجربة الفلسطينية ممتدة في وجدان الشاعرة لتمثل رمزا لواقع فاسد يملؤه التنكيل والطغيان والتفسخ ، ليقبع العالم العربي كله في مصيدة الغرب والصهاينة .

والبيستاني كغيرها من الشعراء لم تكن بمعزل عن مشكلات عصرها وقضاياها العربية ، إذ تجاوزت مع الصدمات التي حفلت بها الساحة العربية ، وجعلت من بعض شعرها وقود المعركة التي تقودها

الإنسانية نحو الحياة والسعادة والاستمرار .

واستحضارها لمعاناة الأمة دليل على مشاركتها الصميمة بصوتها وقلمها في جراحات الدامية التي تتعرض لها أمتها لتظهر موقفها من القضايا التي تفرض وجودها وشعورها ضمن اطار ذلك العصر، كما تتضامن البستاني في شعرها مع أبناء أمتها جاء نتيجة وقوع وطنها العراق في أيادي الاحتلال ، لأن التاريخ العراقي المعاصر دائم الحضور في الذاكرة الشعرية ، فحملت البستاني الهم الوطني منذ أول قصيدة فخصصت بعدا بهذا الجانب ، فالأرض هي الإرتباط الشديد بالمكان ، والمتبع للمنجز الشعري للبستاني يسجل أن الوطن أخذ الحيز الأكبر في شعرها لأنه بالنسبة لشاعرنا الغيث الذي يسقي الأرض العطشى وهو الحبيب والصديق والصاحب ... والشعر الذي خصصته شاعرنا للعراق وما يحيط به كالاحتلال شكل منعطفا حاسما في حياة الإنسان العراقي خاصة والعربي عامة ، اذ يعد شعرا متطورا في اللغة والشكل في زمن عربي حافل بالقمع والاضطهاد والتجزئة ، لأن صوتها أحد الأصوات التي تمثل روح الأمة وقلبها النابض بمبدية قمة الشعور الصادق .

فشعرها الوطني مزيج بين حب ورفض ، أمل وألم فهي تشحن به طاقة شعبها لتدفعه إلى الانتفاضة ورفض الموت والاندفاع نحو الحياة .

كما لم تنسى إنسانيتها بتوجه فكري وقصائد شعرية خاصة بالبعد الإنساني التي تدعوا من خلاله إلى المساواة ونشر الخير والعدل والرحمة والمحبة بين أفراد المجتمع الواحد عامة ، فكان لها مواقع متباينة من هذه القضية برفضها الهزيمة والضعف الإنساني والدعوة إلى تغيير الوضع الذي يعيشه بمواجهة صعوبات الحياة والقوى الفاشية المسيطرة على الواقع لتستخدم لغة محفزة ورافضة ووتدعو لتحقق القوة والصلابة وتثور ضد الركود والاستسلام ، وتسعى بكل ما تملكه من الأسلحة لدحر العصر الدموي والذي غدا فيه العنف حقيقة ، اذ لا تزال الحروب تنهك الشعوب والأمم ، فنجد شاعرنا ترفضه رفضا مطلقا .



فابداعها الراض في بعده الإنساني غير اعتيادي داخل ما هو اعتيادي ومألوف ببحثها وقدرة اختيارها للكلمات التي تناسب الموقف ، وتحث الإنسان على الكفاح من أجل الحرية والحياة ، فلا يستحقهما من لا يغزوهما كل يوم .

اهتمام الشاعرة بالجانب السياسي وما يدور حولها من نزاعات وتطرف ، لم يشغلها عن مجتمعتها وتخصيص قصائد خاصة لهذا الجانب ، لأنه من المعروف أن الإنسان إن بيئته ويتأثر بها في جميع النواحي ؛ والبستاني ابنة العراق ولا يمكنها أن تغفل هذا الجانب ، اذ خصصت له جانبا واسعا من شعرها صارخة فيه ضد الألم والاضطهاد ومطالبة بالحرية ، غير أن اهتمامها بالجانب الاجتماعي كان من جميع النواحي الأخلاقية والإنسانية محاربة أشكال الإضطهاد وخاصة عند المرأة والطفل .

كما أولت البستاني في شعرها عناية كبيرة للأخلاق ، فهي تدعو إلى الإصلاح والاعتدال والاستقامة ، لأن الشعر قد يفقد قيمته الفنية والأدبية حين يبتعد عنها ، وهذا ما دعى إليه فلاسفة اليونان في التعامل مع الشعر والنقاد العرب كابن السلام الجمحي ، وقبل كل هذا ما أكد عليه الله عز وجل حين مدح نبيه الكريم بها .

ومن هذا المنطلق يتأكد لنا أن شعر البستاني أخلاقي المبدأ ويهدف إلى بناء إنسانية سامية ، فاتخذت من الأخلاق سياج منيع تتحصن وترسم به ملامح شعرها ، لأن الأخلاق عنوان حضارتنا العربية ، وهي كما شعراء آخريين لم تتخلى عن الأخلاق في كتاباتها للشعر ، اذ زينت نصوصها الشعرية بألفاظ ذات بعد أخلاقي ترفض من خلاله كل أشكال الضعف والإضطهاد والخيانة والاسنسلام .

ومن المعروف على شخصية الانسان العربي حبه للشجاعة والوفاء والتحلي بمكارم الأخلاق ، غير أننا سجلنا في شعرها تتحدث عن ما يملك نفسا ضعيفة اتسمت فيه شخصية الإنسان الخائن ، فالشاعرة حددت موقفها من هذه السلوكات السيئة وعدتها من المثالب التي تفكك المجتمع وتلغي

القيم ، فالخونة هم السرطان الخبيث الذي ينهش جسم الأمة ، فهي تعلن رفضها للمبدأ الذي ينطلقون منه فهم لم يجلبوا للعراق إلا الدمار مستخدمة لغة شعرية اتسمت بالقهر والتحسر مفعمة بالرفض والثورة على من يملك مفاتيح الأمة ، مستحضرة في شعرها الشخصية التاريخية الخائنة والتي تسببت في سقوط الخلافة الإسلامية .

وشاعرنا ترفض هذا الجانب وتزدرية ، فتدعو إلى مقاومتها بكل ما أوتيت المجتمعات من قوة، فالمقاومة في شعرها هي تحقيق حضور حر ومستقل وفاعل .

فالمقاومة عندها مبدأ حياة ومتأصل في عقابة الانسان العربي عامة والعراقي خاصة ، إذ تعددت أشكال المقاومة في هذا البلد تارة بالسلاح وأخري بالكلمة وذلك عن طريق التغني ببطولات الأجداد لتؤكد الشاعرة على أصالة الإنتماء إلى القيم الإسلامية والعربية الراضية المحتل وكل أنواع القهر .  
والمقاومة في الشعر العراقي ليست وليدة العصر الحديث وانما جاءن مكملة للقصائد قبلها والتي تمجد المقاومة الوطنية والاجتماعية .

كما أبدعت البستاني في هذا الجانب من شعرها وعن طريق إدانتها للظلم ودعت إلى ضرورة تغيير الواقع بمحتوي اجتماعي ، فقصائدها تحمل بنية تصعيدية رافضة كل مظاهر التمزق والإنسحاق داخل المجتمع وتدعوه إلى الممارسة النضالية الحقة بمواجهة الحرب وعدم الإستسلام للموت التي تفرضه القوى الكبرى ، فالبستاني في شعرها تقاوم الموت بحب كبير متشبثة بالأمل .  
والشاعرة تنتمي إلى مجتمع عانى كل أشكال الإضطهاد ، فحملت همهم ، وحاربتهم بقلمها صابة معظم غضبها ورفضها عليه موظفة في ذلك مجموعة من الرموز والألفاظ تنطلق من واقعها الاجتماعي وداعية إلى العدالة الاجتماعية ، وهذه العدالة لا تتحقق إلا بتفعيل كل الطبقات في المجتمع كالمرأة والتي خصصت لها البستاني قصائد تدعوها من خلالها إلى أن تكون فاعلة ومغيرة

للوضع الذي تعيشه حتى ترفع عن نفسها قيود السيطرة والعبودية وتفرض نفسها داخل مجتمعها الذكوري.

أما الجانب الثاني للإضطهاد والذي أولنه البستاني عناية لافتة وهو الطفل باعتباره أمل الغد وقوة المجتمع ومستقبل البلد ، فأعلت صوتها بالتنديد لما يتعرض له أطفال العراق ، والشعر الذي خصصته لهم ثوري ورافض كل أساليب القمع وانتهاك معاهدات الني تحمي الطفولة .

وفي خاتمة البحث قدمت نبذة وجيزة عن حياة الشاعرة .